مجموع فيه

الصفات الإلهية

ومعه

موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات

و

مقالة التعطيل والجعد بن درهم

للدكتور محمد خليفة بن علي التميمي

أضواء السلف







الصفات الإلهية

تعريفها . أقسامها

تأليف

د. محمد بن خليفة بن علي التميمي

أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م







الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص ب ١٢١٨٩٢

الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٥٠٥٢٨٠٣٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد :

فإن شرف العلم تابع لشرف المعلوم ، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو اللّه الذي لا إله إلا هو رب العالمين ، وقيوم السموات والأرضين الملك الحق المبين ، الموصوف بالكمال كله ، المنزه عن كل عيب ونقص ، وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله .

ولا ريب أن العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ، ونسبته إلى

سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات[١] .

وكما أنه أجل العلوم وأشرفها وأعظمها ، فهو أصلها كلها ، فكل علم هو تابع للعلم به ، مفتقر في تحقيق ذاته إليه ، فالعلم به أصلُ كل علم ومنشؤه ، فمن عرف اللّه عرف ما سواه ، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل ، فعلى أساس العلم الصحيح باللّه وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص ، وتنبني مطالب الرسالة جميعها ، فلا حياة للقلوب ولا نعيم ، ولا سرور ، ولا أمان ، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه ، والإنسان بدون الإيمان باللّه لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية ، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيًا معذبًا ، كما هو حال الكافرين .

لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه ، وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه ، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه ، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده ، وأعظم مطالبه ، وأجل غاياته ، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه ؛ وله خُلِقَ الخلق ؛ ولأجله نزل الوحي ؛ وأرسلت الرسل ؛ وقامت السموات والأرض ؛ ووجدت الجنة والنار ، ولأجله شرعت الشرائع ، وأسست الملة ، ونصبت القبلة ، وهو قطب رحى الخلق ، والأمر الذي مداره عليه . وهو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدركته العقول ، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة .

فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه[١].

وبابٌ هذه أهميته حريّ بأن تُولَى مسائلهُ ومباحثهُ حقها من العناية والاهتمام والدراسة ، وإن من بين مباحث هذا الباب مسألة : « تعريف الصفات الإلهية وبيان أقسامها » .

فأحببت تناول هذه الجزئية بالبحث آخذًا في الاعتبار إعطاء الأهمية لتحرير قول أهل السنة والجماعة في المسألة مع الإشارة إلى أقوال المخالفين بحسب ما تدعو إليه الحاجة وذلك في فصلين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة وفهارس فنيّة :

المقدمة .

الفصل الأول : تعريف الصفات والعلاقة بينها وبين باب الأسماء وباب الإخبار ، وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصفات ، وضَمَّ مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الصفات .

المطلب الثاني : الفرق بين الوصف والصفة .

المبحث الثاني : أنواع المضافات إلى الله ، وانتظم ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالنوعين .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في تقرير المسألة .

المطلب الثالث : موقف المخالفين من المسألة .

المبحث الثالث : العلاقة بين باب الصفات وباب الأسماء وباب الإخبار وفيه مطلبان :

---

(١) انظر : الفتوى الحموية الكبرى ص ٢٨ - ٢٩ .

المطلب الأول : العلاقة بين الأبواب الثلاثة .

المطلب الثاني : الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها .

الفصل الثاني : أقسام الصفات ، وهو في مبحثين :

المبحث الأول : أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة ، واحتوى مطلبين :

المطلب الأول : أقسام الصفات عمومًا .

المطلب الثاني : أقسام الصفات الثبوتية .

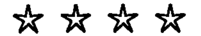
المبحث الثاني : أقسام الصفات عند المخالفين ، واشتمل مطلبين :

المطلب الأول : أقسام الصفات عند من ينكر جميع الصفات الثبوتية .

المطلب الثاني : أقسام الصفات عند من يثبت بعض الصفات وينكر بعضها .

وختمت ذلك بخاتمة وثبت للمراجع وآخر للموضوعات .

وإني لا أدعي أني وصلت بهذا البحث إلى درجة الكمال ، ولكن حسبي أني اجتهدت ، فإن وفقت فذلك فضل من الله وحده ، وإن كان غير ذلك فهذا من طبيعة البشر ، فأرجو ممن وقف على شيء من ذلك أن يبادرني بالنصيحة ، وأسأل الله عز وجل أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا ، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئًا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفصل الأول

تعريف الصفات والعلاقة بينها وبين باب الأسماء وباب الإخبار

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الصفات .

المبحث الثاني : أنواع المضافات إلى الله .

المبحث الثالث : العلاقة بين باب الصفات وباب الأسماء وباب الإخبار .



المبحث الأول

تعريف الصفات

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الصفات .

المطلب الثاني : الفرق بين الوصف والصفة .



المطلب الأول

تعريف الصفات

حدود الأشياء وتفسيرها الذي يوضحها ، تتقدم أحكامها ، فإن الحكم على الأشياء فرع عن تصورها . فمن حكم على أمر من الأمور ـ قبل أن يحيط علمه بتفسيره ، ويتصوره تصورًا يميزه عن غيره ـ أخطأ خطأً فاحشًا[١] .

فلابد عند الحكم على الشيء من أن يكون مسبوقًا بتصور ماهية المحكوم عليه والمحكوم به ، فإن كل تصديق بشيء لابد أن يكون مسبوقًا بتصور[٢] .

والغرض من وضع الحدود والتعريفات هو التمييز بين المحدود وبين غيره من جهة .

وكذلك فإن من وظيفته تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال ، فالحدود والتعريفات تساعد على تصور حقيقة المحدود ، ولذلك كان من شرطها أن تكون جامعة مانعة .

فلابد أن يكون الحد جامعًا حتى يتصور السامع حقيقة المحدود ، ولابد كذلك أن يكون مانعًا ليتميز المحدود عن غيره[٣] .

ومن هذا المنطلق لابد من تعريف للصفات يساعد على تصور مضمون هذا اللفظ من جهة ويحدد الفرق بين الصفة والاسم من جهة ، وبين الصفة والخبر

---

(١) انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص ٧ .

(٢) التصور : إدراك المفردات ، كإدراك لفظ « محمد » وكذلك إدراك لفظ « رسول » . وأما التصديق : فهو إدراك نسبة الرسالة لمحمد وتصديقك لهذه النسبة .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٣١٩ ، ٣٢٠ « بتصرف » .

من جهة أخرى ؛ كما يحدد الفرق بين ما يضاف إلى اللّٰه إضافة صفة وما يضاف إلى اللّٰه إضافة تشريف وتكريم .

والتعريف الذي سأذكره هاهنا هو تعريف الصفات الثبوتية ، وأما تعريف الصفات السلبية (أي المنفية) فسيأتي عند ذكر أقسام الصفات .

ضابط الصفات : هي ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها ، ووردت به نصوص الكتاب والسنة .

شرح مفردات التعريف :

أ ـ « ما قام بالذات » يخرج من هذا التقييد ما كان من إضافة المُلْك والتشريف ، إذ الإضافة إلى اللّٰه نوعان :

النوع الأول : إضافة مُلْك وتشريف ، وضابطها : كل ما يضاف إلى اللّٰه ويكون عينًا قائمة بنفسها ، أو حالًا في ذلك القائم بنفسه . ومثال ما يضاف ويكون عينًا قائمة بنفسها قوله تعالى ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس : ١٣] .

ومثال ما يكون حالًا في ذلك القائم بنفسه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] . فهذا لا يكون صفة لأن الصفة قائمة بالموصوف .

النوع الثاني : إضافة الصفة إلى اللّٰه ، وضابطها : ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به[١] وهي المقصود هنا .

فاللّٰه لا يتصف إلا بما قام به لا بما يخلقه في غيره ، وهذا حقيقة الصفة ، فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له ، صفة لغيره[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما إضافة الوصف إلى اللّٰه فتعريفها : ما

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦ / ٣١٨ .

كان صفة قائم بغيرها ليس لها محل تقوم به »[١] أي قبل الإضافة والتخصيص .

ومن فوائد هذا التقييد الرد على زعم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم الذين زعموا أن الصفة هي مجرد قول الواصف[٢] ، فزعموا أن إضافة الصفات هي إضافة وصف من غير قيام معنى به[٣] وهذا باطل ، فإن حقيقة الصفة هي ما قام بالموصوف ، فإن كل موصوف لا يوصف إلا بما قام به لا بما هو مباين له[٤] .

أ ـ « بالذات الإلهية » .

لفظ « الذات » في أصل اللغة تأنيث ذو ، وهذا اللفظ لا يستعمل إلا فيما كان مضافًا إلى غيره كأسماء الأجناس ، ويتوصلون به إلى الوصف بذلك فيقال : فلان ذو علم وذو مال وشرف .

وحيث جاء لفظ ذو في القرآن أو لغة العرب وكذا لفظ « ذات » لم يجئ مقرونا إلا بالإضافة كقوله ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١] وقوله ﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧] ، وقول خُبيب رضي اللَّه عنه الذي في صحيح البخاري .

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع[٥]

فاسم الذات في كلام النبي ﷺ ، والصحابة ، والعربية المحضة بهذا المعنى .

---

(١) رسالة العقل والروح ـ مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية ٢ / ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٦ / ٣١٨ ، ٣٤١ .

(٣) انظر مجموع التاوى ٦ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ٦ / ٣١٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل ح ٧٤٠٢ .

ثم أطلقه المتكلمون وغيرهم على النَّفْس ، فإنهم لما وجدوا اللّٰه في القرآن قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وصفوها فقالوا : نفس ذات علم ، وقدرة ، ورحمة ، ومشيئة ، ونحو ذلك . ثم حذفوا الموصوف وعرفوا الصفة فقالوا : الذات . وهي كلمة مولدة ليست من العربية العرباء .

فهذا لفظ يقتضي وجود صفات تضاف الذات إليها[1] ، فأطلق بإزاء النفس[2] .

ب ـ « مما يميزها عن غيرها » .

في هذا إشارة إلى وظيفة الصفة ، فاللّٰه عز وجل وصف نفسه بصفات كثيرة تَعَرَّفَ بها إلى عباده ، وهذه الصفات هي التي تميز الخالق عز وجل عما سواه وتُظْهِرُ للعباد كمال الرب عز وجل وعظمة شأنه ، وجلال قدرته ، وتزيد العبد معرفة باللّٰه عز وجل ، ولا شك أن حاجة الناس إلى معرفة ربهم هي أعظم الحاجات ، ولذلك تَعَرَّفَ اللّٰه لعباده بصفاته ، ليكون ذكرهم له أعظم وأكثر « وكلما كانت حاجة الناس إلى معرفة الشيء وذكره اشد وأكثر ، كانت معرفتهم به وذكرهم له أعظم وأكثر ، وكانت طرق معرفته أكثر وأظهر وكانت الأسماء المعرِّفة له أكثر ، وكانت على معانيه أدل »[3] .

وهذا الشأن حاصل في باب أسماء اللّٰه وصفاته ، فاللّٰه هو أجل معلوم

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٩٨ ، ٣٤١ « بتصرف » .

(٢) وانظر درء تعارض العقل والنقل ٤ / ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٣٣٠ .

وأعظمه وأكبره . ولذلك كان العلم بأسماء اللّٰه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها ، فمن عرف اللّٰه عرف ما سواه ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل ، فالعلم باللّٰه أصل كل علم وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته ، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به ، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته(١) .

وعلى أساس العلم الصحيح باللّٰه وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص ، وتنبني مطالب الرسالة جميعها .

فالمعرفة للّٰه تَلْزَمُ العبد المؤمن لينعقد بها أصل الإيمان ولتجعله في سلامة من الكفر والشرك المخرجين من الإيمان .

ج - « ووردت به نصوص الكتاب والسنة » .

أي يجب الوقوف في هذا الباب على ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، فلا نثبت للّٰه تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته .

قال الإمام أحمد : « لا يوصف اللّٰه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يُتَجاوز القرآن والحديث »(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف اللّٰه بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يُتَجاوز القرآن والحديث »(٣) .

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفات ثلاثة أوجه :

---

(١) مفتاح دار السعادة ١ / ٨٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥ / ٢٦ .

(٣) الفتوى الحموية ص ٦١ .

الوجه الأول : التصريح بالصفة .

كالعزة في قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر : ١٠] .

وقوله ﷺ : « أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت »(١) .

والقوة في قوله تعالى ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

والرحمة في قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام : ١٣٣] .

واليدين في قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] .

والبطش في قوله تعالى ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج : ١٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وفي حديث الاستخارة « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك »(٢) ، وفي الحديث الآخر « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق »(٣) ، فهذا في الإضافة الاسمية .

وأما بصيغة الفعل فكقوله : ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقوله ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

أما الخبر الذي هو جملة اسمية فمثل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

---

(١) أخرجه البخاري ٤ / ١٩٤ ، ومسلم ٤ / ٢٠٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى ، انظر (فتح الباري ٣ / ٤٨ ، ح ١١٦٢) .

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية رقم (١٨٨) والحاكم في المستدرك ١ / ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

وذلك لأن الكلام الذي توصف به الذوات :

١ ـ إما جملة ٢ ـ أو مفرد .

فالجملة إما اسمية : كقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

أو فعليه : كقوله ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ .

أما المفرد فلابد فيه من :

١ ـ إضافة الصفة لفظًا أو معنى كقوله ﴿ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ وقوله ﴿ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] .

٢ ـ أو إضافة الموصوف كقوله ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾ [الذاريات : ٥٨] »(١).

الوجه الثاني : تضمن الاسم للصفة .

فمن الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء اللّٰه الحسنى متضمنة للصفات ، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر .

* فالعزيز متضمن لصفة العزة وهو مشتق منها .
* والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها .
* والرحيم متضمن لصفة الرحمة وهو مشتق منها .

فأسماء اللّٰه مشتقة من صفاته .

وترجع أسماء اللّٰه الحسنى من حيث معانيها إلى أحد الأمور التالية :

١ ـ إلى صفات معنوية : كالعليم ، والقدير ، والسميع ، والبصير .

٢ ـ ما يرجع إلى أفعاله : كالخالق ، والرازق ، والبارئ ، والمصور .

٣ ـ ما يرجع إلى التنزيه المحض ولابد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ١٤٤ ، ١٤٥ .

المحض : كالقدوس ، والسلام ، والأحد .

٤ ـ ما دل على جملة أوصاف عديدة ولم يختص بصفة معينة بل هو دال على معنى مفرد نحو : المجيد ، العظيم ، الصمد(١) .

الوجه الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها .

أي ما فيها معنى الصفة والفعل مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] .

وقوله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] .

وقوله تعالى ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُۥ ﴾ [محمد : ٢٨]

وقوله تعالى ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

وقوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ ﴾ [المؤمنون : ١١٨] .

وقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] .

وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

وبما تقدم من شرح لمفردات التعريف أرى أنه هذا التعريف هو المناسب لتعريف الصفات والله أعلم .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) بدائع الفوائد ١ / ١٥٩ ، ١٦٠ « بتصرف » .

المطلب الثاني

الفرق بين الوصف والصفة

كل واحد من لفظ « الوصف » و « الصفة » مصدر في الأصل كـ « الوعد ـ والعِدَة » و « الوزن ـ والزِنة »[(١)] .

فالصفة : مصدر وصفتُ الشيء أصفه صفة[(٢)] .

والوصف والصفة :

١ ـ تارة يراد به : الكلام الذي يوصف به الموصوف ، مثاله : قول الصحابي في ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] : أحبها لأنها صفة الرحمن[(٣)] .

٢ ـ وتارة يراد به : المعاني التي دل عليها الكلام كالعلم والقدرة ، والجهمية والمعتزلة وغيرهم تنكر هذا ويقولون : إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف ، فقالوا : إن إضافة الصفات إلى الله من إضافة وصف من غير قيام معنى به[(٤)] .

والكلابية ومن اتبعهم من الصفاتية قد يفرقون بين الوصف والصفة فيجعلون الوصف : هو القول ، والصفة : المعنى القائم بالموصوف[(٥)] .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦ / ٣٤٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ؟ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، ح ٧٣٧٥ ولفظ البخاري (فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها)

(٤) مجموع الفتاوى ٦ / ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٥) مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٥ . ٦ / ٣٤١ . التمهيد للباقلاني (ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥) .

فأدخلوا في الوصف (الذي هو القول عندهم) صفات الأفعال حتى ينفوا قيامها بالذات .

وأدخلوا في الصفة (التي هي المعنى القائم بالذات) ما أثبتوه من الصفات كصفات المعاني السبعة (العلم ، الحياة ، القدرة ، الإرادة ، السمع ، البصر الكلام) ليتأتى لهم على هذا التقسيم اعتبار بعض الصفات قائمًا بالذات وبعضها غير قائم بها ، فأرادوا بذلك نفي صفات الأفعال واعتبروها نسبًا وإضافات لا تقوم بالذات .

قال ابن القيم في الرد على زعمهم هذا :

فالحق أن الوصف ليس بمورد التقـ سيم هذا مقتضى البرهان

بل مورد التقسيم ما قد قام بالذات التي للواحد الرحمن

فهما إذا نوعان أوصاف وأفعـ ـال فهذي قسمة التبيان

فالوصف بالأفعال يستدعي قيا م الفعل بالموصوف بالبرهان

كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما أن بين دينك قط من فرقان

فالحق أن مورد القسمة هو نفس ما يقوم بالذات ، فيقال إن ما يقوم بالذات ويكون وصفًا لها ، إما أن يكون :

١ ـ صفة معنى لازمًا للذات .

٢ ـ وإما أن يكون صفة فعل .

والوصف بالفعل يستدعي قيام الفعل بالموصوف ، كالوصف بالمعنى سواء بسواء .

فإذا كان وصفه سبحانه بأنه عليم ، قدير ، حي ، ... الخ ، يقتضي قيام العلم والقدرة والحياة به .

فكذلك وصفه بأنه خالق أو رازق أو مقدم أو مؤخر يقتضي قيام هذه الأفعال من الخلق والرزق والتقديم والتأخير ونحوها به [١].

« ومن قال الصفات تنقسم إلى صفات ذاتية وفعلية ، ولم يجعل الأفعال تقوم به ، فكلامه فيه تلبيس ، فإنه سبحانه لا يوصف بشيء لا يقوم به .

وإن سلم أنه يتصف بما لا يقوم به فهذا هو أصل الجهمية الذين يصفونه بمخلوقاته ويقولون : إنه متكلم مريد وراض وغضبان ومحب ومبغض وراحم للمخلوقات يخلقها منفصلة عنه لا بأمور تقوم بذاته »[٢] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر شرح القصيدة النونية للهراس ٢ / ١٢١ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٦٣ .



المبحث الثاني
أنواع المضافات إلى اللَّه

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالنوعين .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في تقرير المسألة .

المطلب الثالث : موقف المخالفين من المسألة .

المطلب الأول

التعريف بالنوعين

يجب التفريق بين نوعين من الإضافة وردا في النصوص هما :

الأول : إضافة ملك .

الثاني : إضافة وصف .

١ ـ أما إضافة الملك فتعريفها : هي كل ما يضاف إلى الله ويكون عينًا قائمة بنفسها ، أو حالًا في ذلك القائم بنفسه ومن أمثلتها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس : ١٣] ، فإضافة الناقة إلى الله هنا من إضافة الملك والتشريف فالناقة عين قائمة بنفسها .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم : ١٧ ـ ١٩] ، فالروح هنا هو جبريل عليه السلام .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ ـ ٩] .

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْقَائِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦] .

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر : ٧] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « إن المضاف إن كان شيئًا قائمًا بنفسه أو حالًّا في ذلك القائم بنفسه ، فهذا لا يكون صفة للّٰه ، لأن الصفة قائمة بالموصوف .

فالأعيان التي خلقها اللّٰه قائمة بأنفسها ، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات للّٰه ، فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة ، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة لا لكونها صفة ، والروح الذي هو جبريل من هذا الباب ، كما أن الكعبة والناقة من هذا الباب ، ومال اللّٰه من هذا الباب ، وروح بني آدم من هذا »[1] .

وأما إضافة الوصف إلى اللّٰه فتعريفها : ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به[2] .

فإذا كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه ، بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة ، والكلام ، والرضا ، والغضب ، فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه[3] .

ومن أمثلة هذا القسم :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] فالكلام لا يقوم بنفسه إلا بالمتكلم فإضافته إلى المتكلم إضافة صفة إلى موصوفها .

وقوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] فإضافة العلم إلى اللّٰه إضافة صفة إلى موصوفها .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥١ .

(٢) رسالة العقل والروح (مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية ٢ / ٣٨ ، ٣٩) .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥٢ .

وفي الحديث : « اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك »[١] ، فعلمه صفة قائمة به وقدرته صفة قائمة به .

وفي الحديث : « أعوذ برضاك من سخط وبمعافاتك من عقوبتك »[٢] فرضاه وسخطه قائم به ، وكذلك عفوه وعقوبته .

وأما أثر ذلك وهو ما يحصل للعبد من النعمة واندفاع النقمة فذلك مخلوق منفصل عنه ليس صفة له[٣] .

تنبيه

وقد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علمًا والمقدور قدرة والمأمور أمرًا والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقًا ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] والمراد بالأمر هنا المخلوق المكوّن بالأمر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] فإذا قيل المسيح « كلمة الله » فمعناه المخلوق بالكلمة ، إذ المسيح نفسه ليس كلامًا[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، ح ١١٦٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١ / ١٥٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥٢ .

وكقوله في الحديث الصحيح للجنة : « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي » كما قال للنار : « أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها »[١] .

فالرحمة هنا عين قائمة بنفسها لا يمكن أن تكون صفة لغيرها[٢] .

☆ ☆ ☆ ☆

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ ح ٤٨٥ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٨ / ١٥١ ، طبعة دار المعرفة .

(٢) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٥٢ .

المطلب الثاني

أقوال العلماء في تقرير المسألة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما ذكر في القرآن أنه منه أو أضيف إليه ، فإن كان عينا قائمة بنفسها ، أو أمرًا قائمًا بتلك العين كان مخلوقا . كقوله في عيسى : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] .

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها ، ولم يذكر لها محل غير اللَّه كان صفة له ، فكالقول ، والعلم ، والأمر إذا أريد به المصدر كان المصدر من هذا الباب كقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] وإذا أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] .

وبهذا يفرق بين كلام اللَّه سبحانه ، وعلم اللَّه ، وبين عبد اللَّه وبيت اللَّه وناقة اللَّه وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧] .

وهذا أمر معقول في الخطاب ، فإذا قلت علم فلان وكلامه ومشيئته لم يكن شيئًا بائنًا عنه ، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به ، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف ، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره »(١) .

وقال رحمه اللَّه « إضافة الروح إلى اللَّه إضافة ملك لا إضافة وصف ، إذ كل

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٦٦ ، ٦٧ .

ما يضاف إلى الله : إن كان عينًا قائمة بنفسها فهو ملك له ، وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله .

ومن أمثلة القسم الأول :

قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ وهو جبريل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم : ١٧ - ١٩] .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] .

وقال تعالى عن آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] .

ومن أمثلة القسم الثاني :

كقولنا علم الله ، وكلام الله ، وقدرة الله ، وحياة الله ، وأمر الله .

ولكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علما ، والمقدور قدرة ، والمأمور أمرًا ، والمخلوق بالكلمة كلمة ، فيكون ذلك مخلوقا .

كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

وكقوله في الحديث الصحيح للجنة « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من

عبادي » كما قال للنار : « أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها »[١] .

وقال السفاريني : « ومما ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان :

الأول : صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم ، والقدرة ، والكلام ، والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها فالعلم والقدرة ... الخ صفات له تعالى غير مخلوقة ، وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها ، في مذهب السلف .

الثاني : إضافة أعيان منفصلة كبيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله ، ورسول الله ، وكذلك روح الله ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، ومصنوع إلى صانعه لكنها تقتضي تخصيصًا أو تشريفًا يتميز به المضاف إليه عن غيره « كبيت الله » وإن كانت كل البيوت لله ملكًا له ، وكذلك « ناقة الله » والنوق كلها ملكه وخلقه ، ولكن هذه إضافة إلى إلهيته تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته ، حيث تقتضي خلقه وإيجاده .

فالإضافة العامة تقتضي الخلق والإيجاد ، والخاصة تقتضي الاختيار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] ، فإضافة الروح إليه تعالى من هذه الإضافة الخاصة لا من العامة ، ولا من باب إضافة الصفات ، فتأمل هذا الموضع فإنه نفيس »[٢] .

---

(١) رسالة العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن الرسائل المنبرية ٢ / ٣٨ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٣٦ ، ٣٧ . وانظر كتاب الروح لابن القيم ٢ / ٥٢٥ ، ومختصر الصواعق ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ . والكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه :

واللَّه أخبر في الكتاب بأنه	منه ومجرور بمن نوعان
عينٌ ووصفٌ قائم بالعين فالأعيـ	ـان خَلْقُ الخالق الرحمان
والوصف بالمجرور قام لأنه	أولى به في عرفِ كل لسان
ونظير ذا أيضًا سواء ما يضاف	إليه من صفة ومن أعيان
فإضافة الأوصاف ثابتة لمن	قامت به كإرادة الرحمان
وإضافة الأعيان ثابتة له	مُلْكًا وخَلْقًا ما هما سِيَّان
فانظر إلى بيت الإله وعلمه	لَمَّا أضيفا كيف يفترقان
وكلامه كحياته وكعلمه	في ذي الإضافة إذ هما وصفان
لَكِنَّ ناقته وبيت إلهنا	فكعبده أيضًا هما ذاتان
فانظر إلى الجهمي لما فاته الحـ	ـق المبين الواضح التبيان
كان الجميع لديه بابًا واحدًا	والصبح لاح لمن له عينان[1]

قال الشيخ الدكتور محمد خليل هراس في شرح هذه الأبيات : « يريد المؤلف في هذا الفصل أن يفرق بين ما كان من الأعيان مخبرًا عنه أنه من اللَّه ؛ وبين ما كان من الأوصاف كذلك . وأن يفرق أيضًا بين ما كان من الأعيان مضافًا إلى اللَّه ، وبين ما كان من الأوصاف كذلك .

فالمخبر عنه بأنه من اللَّه على نوعين لأنه :

إما أن يكون عينًا من الأعيان .

أو وصفًا قائمًا بالعين .

---

(١) شرح القصيدة النونية ١ / ١٣٨ .

فإن كان عينًا فمعنى كونه من اللَّه أنه هو خالقه سبحانه كما في قوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٩] ، وقوله ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] ، وقوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] ، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] والآيات كثيرة في هذا الباب .

وإن كان وصفًا فمعنى كونه من اللَّه أنه صفة له كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل : ١٠٢] وقوله تعالى ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت : ٢] ، وقوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر : ٢] .

ومعنى قول المؤلف : (والوصف بالمجرور قام) يعني أن ما أخبر عنه بمن إن كان وصفًا فهو قائم بالمجرور بها لأنه أحق به في عرف أهل اللغات جميعًا .

ومثل ذلك تمامًا يقال فيما يضاف إلى اللَّه عز وجل .

* فإن كان عينًا مثل بيت اللَّه ، وناقة اللَّه ، وعباد الرحمن فنسبته إليه ثابتة خلقًا وملكًا ، وتكون إضافته للاختصاص والتشريف .

* وأما إن كان وصفًا كعلم اللَّه ، وقدرته ، وإرادته ، وكلامه ، وحياته فهذه الإضافة تقتضي قيامها باللَّه وأنه موصوف بها .

وتدبر هذا الفرق بين قولك بيت اللَّه ، وعلم اللَّه ، فإن كُلًّا منهما يضاف إلى اللَّه ، ولكن لما كانت إضافة الأول إضافة ذات دلت على أنه مخلوق .

ولما كانت إضافة الثاني إضافة معنى دلت على أنه صفة للمضاف إليه .

ولهذا لما اهتدى السلف لهذا الفرق هُدُوا إلى الصراط المستقيم ، ولما ضل

عنه الجهمي الزائغ جعل الجميع بابًا واحدًا ، ولم يفرق بين الأوصاف والأعيان فوقع في الضلال والبهتان »[١] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) شرح القصيدة النونية ١ / ١٣٨ - ١٣٩ « بتصرف يسير » .

المطلب الثالث

موقف المخالفين من المسألة

موقف الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم :

ينكر الجهمية والمعتزلة صفات اللَّه عز وجل ولذلك فهم لا يعترفون بالقسم الثاني من أقسام الإضافة إلى اللَّه الذي هو إضافة الصفة إلى الموصوف .

فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به ، لاعتقادهم أن الصفات أعراض ، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه ، فردوا جميع ما يضاف إلى اللَّه إلى إضافة خلق ، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به[١] لأنهم يقولون إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف ، وينفون أن يكون للَّه وصف قائم به علم أو قدرة أو إرادة أو كلام[٢] .

موقف الكلابية ومن اتبعهم من الصفاتية :

يفرقون بين الوصف والصفة .

* فيجعلون الوصف : هو القول .
* ويجعلون الصفة : المعنى القائم بالموصوف[٣] .

فقالوا : إن الوصف الذي هو القول يراد به الأفعال ، وزعموا أنها لا تقوم به والصفة : هي الصفات اللازمة القائمة بالذات .

فظنوا أن هناك نوعين مختلفين من الصفات :

---

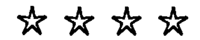
(١) مجموع الفتاوى ٦ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٥ .

أحدهما : قائم بالذات لازم لها ، كصفات المعاني السبعة التي هي العلم والقدرة ، والإرادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

والثاني : صفات أفعال لا تقوم عندهم بالذات ، بل هي نسب إضافية عدمية تنشأ من إضافة المفعول لفاعله ، ولا يعقل لها وجود إلا بتلك الإضافة فوجودها أمر سلبي ، وليس لها وجود في نفسها ، فليس ثمت عندهم موجود إلا المفعولات ، وأما الأفعال فنسب وإضافات[١] .



(١) شرح القصيدة النونية للهراس ٢ / ١٢٠ .

المبحث الثالث
العلاقة بين باب الصفات وباب الأسماء وباب الإخبار

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : العلاقة بين الأبواب الثلاثة .

المطلب الثاني : الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها .



المطلب الأول

العلاقة بين الأبواب الثلاثة

أولًا : يجب أن يُعْلَم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : باب الأسماء .

الباب الثاني : باب الصفات .

الباب الثالث : باب الإخبار .

فنحن إذا وقفنا وقفةَ تأمل عند نصوص الكتاب والسنة الواردة في هذا الشأن نجد الحقائق التالية :

أن اللَّه أطلق على نفسه أسماء كـ « السَّميع » و « البصير » ، وأوصافًا كـ « السمع » و « البصر » ، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] ، وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥] . فاستعملها في تصاريفها المتنوعة ، مما يدل على أن مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه في أي صورة ورد .

وأطلق على نفسه أفعالًا كـ « الصُّنع » و « الصِّبغة » و « الفعل » ونحوها . قال تعالى : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْء ﴾ [النمل : ٨٨] ، وقال تعالى ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨] وقال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : ١٠٧] ، لكنه لم يَتَسَمَّ ولم يصف نفسه بها ولكن أخبر بها عن نفسه ، ممَّا يدل على أنَّها تخالف الأوَّل في الحكم فوجب الوقوف فيها على ما ورد .

ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح كـ « يريد » و « يشاء » فقال جلَّ شأنه

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] وقال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩] إلا أنه لم يشتق له منها أسماء فدل على أن هذا النوع مخالف للقسمين الأولين ، فوجب رده إلى الكتاب والسنة وذلك بالوقوف حيث أوقفنا الله ورسوله ﷺ .

ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] وقال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٣٠] . ولم يشتق منها أسماء له تعالى فدل ذلك على أن مثل هذه الأفعال لها حكمٌ خاصٌ فوجب الوقوف على ما ورد .

فهذه الحقائق السابقة قررت عند العلماء النتائج التالية :

١ ـ أن النصوص جاءت بثلاثة أبواب هي « باب الأسماء » و « باب الصفات » و « باب الإخبار » .

٢ ـ أن باب الأسماء هو أخص تلك الأبواب ، فما صح اسمًا صحَّ صفة وصحّ خبرًا وليس العكس .

٣ ـ باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، فما صحَّ صفة فليس شرطًا أن يصحَّ اسمًا ، فقد يصحُّ وقد لا يصح ، مع أن الأسماء جميعها مشتقة من صفاته .

٤ ـ أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، فالله يُخْبَرُ عنه بالاسم وبالصفة وبما ليس باسم ولا صفة كألفاظ « الشيء » و « الموجود » و « القائم بنفسه » و « المعلوم » ، فإنه يخبر بهذه الألفاظ عنه ولا تدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

إن باب الأسماء والصفات توقيفيان .

فالأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيهما عن اللّه تعالى هو كتاب اللّه وسنة نبيه ﷺ ، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته ، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه .

وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء والصفات إطلاقًا(١) .

قال الإمام أحمد رحمه اللّه : « لايوصف اللّه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون اللّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ »(٢) .

أما باب الإخبار فالسلف لهم فيه قولان :

القول الأول : أن باب الإخبار توقيفي ، فإن اللّه لا يُخْبَرُ عنه إلا بما ورد به النص ، وهذا يشمل الأسماء والصفات ، وما ليس باسم ولا صفة مما ورد به النص كـ « الشيء » و « الصنع » ونحوها .

وأما ما لم يرد به النص فإنهم يمنعون استعماله(٣) .

القول الثاني : إن باب الإخبار لا يشترط فيه التوقيف ، فما يدخل في الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته ، كـ (الشيء) و (الموجود) و (القائم بنفسه) ، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه

---

(١) رسالة في العقل والروح لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبوعة ضمن مجموع الرسائل المنيرية (٢ / ٤٦ - ٤٧) .

(٢) منهاج السنة (٢ / ٥٢٣) .

(٣) انظر رسالة في العقل والروح (٢ / ٤٦ - ٤٧) .

الحسنى وصفاته العليا ، فالإخبار عنه قد يكون باسم حسن ، أو باسم ليس بِسَيِّءٍ ، أي باسم لا ينافي الحسن ، ولا يجب أن يكون حسنًا ، ولا يجوز أن يخبر عن اللَّه باسم سيِّءٍ[١] فيخبر عن اللَّه بما لم يرد إثباته ونفيه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه ، فإن أراد به حَقًّا يليق باللَّه تعالى فهو مقبول وإن أراد به معنى لا يليق باللَّه عز وجل وجب رده[٢] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ١٦١) ، مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٢ - ١٤٣) .

(٢) رسالة في العقل والروح (٢ / ٤٦ - ٤٧) .

المطلب الثاني

الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها

يمكن تقسيم الألفاظ المجملة ـ أي التي لم يرد استعمالها في النصوص ـ على النحو التالي :

أولًا : ألفاظ ورد استعمالها ابتداءً في بعض كلام السلف .

ومن أمثلة ذلك لفظ (الذات) و (بائن) .

وهذه الألفاظ تحمل معاني صحيحة دلت عليها النصوص .

وهذا النوع من الألفاظ يجيز جمهور أهل السنة استعمالها .

وهناك من يمنع ذلك بحجة أن باب الإخبار توقيفي كسائر الأبواب .

والصواب أنه ما دام المعنى المقصود من ذلك اللفظ يوافق ما دلت عليه النصوص ، واستعمل اللفظ لتأكيد ذلك فلا مانع .

كقول أهل السنة : « إن اللّٰه استوى على العرش بذاته » .

فلفظة (بذاته) مراد بها أن الله مستو على العرش حقيقة وأن الاستواء صفة له .

وكقولهم : « إن الله عالٍ على خلقه بائن منهم » .

فلفظة (بائن) يراد بها إثبات العلو حقيقة ، والرد على زعم من قال إن اللّٰه في كل مكان بذاته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مع ما

تُوقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة ، بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينت معانيها ، فإن مَا كان مأثورًا حصلت به الألفة ، وما كان معروفًا حصلت به المعرفة »[١] .

وقال أيضًا : « فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل .

ويراعون أيضًا الألفاظ الشرعية ، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه .

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقًا وباطلًا نسبوه إلى البدعة ، وقالوا إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلًا بباطل »[٢] .

فيستفاد من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الألفاظ على أربعة أقسام :

القسم الأول : الألفاظ المأثورة وهي التي وردت بها النصوص .

القسم الثاني : الألفاظ المعروفة وهي التي بُيِّنَت معانيها .

القسم الثالث : الألفاظ المبتدعة التي تدل على معنى باطل .

القسم الرابع : الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل .

فلفظ (الذات) و (بائن) هي من القسم الثاني .

وهذه الألفاظ كما أسلفنا إنما تستعمل في باب الإخبار ولاتستعمل في باب الأسماء والصفات ، ولذلك لما اعترض الخطابي على استعمالها بقوله : « وزعم بعضهم أنه جائز أن يقال له تعالى حد لا كالحدود كما نقول يد لا كالأيدي فيقال له : إنما أُحوِجْنَا إلى أن نقول يد لا كالأيدي لأن اليد قد جاء ذكرها في

(١) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٧١) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٥٤) .

القرآن وفي السنة فلزم قبولها ولم يجز رَدُّها . فأين ذكر الحد في الكتاب والسنة حتى نقول حد لا كالحدود ، كما نقول يد لا كالأيدي ؟! »(١) .

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية على قول الخطابي من وجوه منها :

« أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا : إن له صفة هي الحد ، كما توهمه هذا الراد عليهم . وهذا لم يقله أحد ، ولا يقوله عاقل ؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات ـ كما وصف باليد والعلم ـ صفة معينة يقال لها الحد ، وإنما الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره »(٢) .

فأهل السنة لم يثبتوا بهذه الألفاظ صفة زائدة على ما في الكتاب والسنة بل بينوا بها ما عطله المبطلون من وجود الرب تعالى ومباينته من خلقه وثبوت حقيقته »(٣) .

ثانيًا : ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف تارة لإثباتها وتارة لنفيها .

ومن أمثلة ذلك : لفظ (الحد) ولفظ (المماسة) ، فإطلاق السلف لها ليس من باب الصفات وإنما هو من باب الإخبار ، ولهم في حال الإثبات والنفي توجيه ليس هذا محل بسطه .

ثالثًا : ألفاظ ورد استعمالها في كلام بعض السلف وفي كلام خصومهم .

ومن أمثلة ذلك : لفظة (الجهة) .

رابعًا : ألفاظ ورد استعمالها في كلام الخصوم ولم يرد استعمالها في كلام السلف

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٤٤٢) .

(٢) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣) .

(٣) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٤٤٥) .

ومن أمثلة ذلك : لفظ (الجسم) و (الحيز) و (واجب الوجود) و (الجوهر) و (العرض) .

وأما النوعان الثالث والرابع فالجواب عن ذلك أن نقول الأصل في هذا الباب أن الألفاظ نوعان :

النوع الأول : نوع مذكور في كتاب اللَّه وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع . فهذا يجب اعتبار معناه ، وتعليق الحكم به ، فإن كان المذكور به مدحًا استحق صاحبه المدح ، وإن كان ذمًا استحق الذم ، وإن أثبت شيئًا وجب إثباته ، وإن نفى شيئًا وجب نفيه ، لأن كلام اللَّه حق ، وكلام رسوله حق ، وكلام أهل الإجماع حق .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ - ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٣] ، ونحو ذلك من أسماء اللَّه وصفاته .

وكذلك قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ، وأمثال ذلك مما ذكره اللَّه تعالى ورسوله ﷺ ، فهذا كله حق .

النوع الثاني : الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع .

فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع ، والألفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب

كلفظ (الجسم) و (الحيز) و (الجهة) و (الجوهر) و (العرض)[١] . فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أمورًا مما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله ، فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه ، ويقولون إن القرآن مخلوق ، ولم يتكلم اللَّه به ، وينفون رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم ، ثم يقولون : واللَّه منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته . وكذلك يقولون إن المتكلم لا يكون إلا جسمًا متحيزًا ، واللَّه ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلمًا ، ويقولون : لو كان فوق العرش لكان جسمًا متحيزًا ، واللَّه ليس بجسم متحيز ، فلا يكون متكلمًا فوق العرش وأمثال ذلك »[٢] .

الموقف من هذا النوع :

« إذا كانت هذه الألفاظ مجملة ـ كما ذُكر ـ فالمخاطب لهم إما :

١ ـ أن يفصل لهم ويقول : ما تريدون بهذه الألفاظ ؟

فإن فسروها بالمعنى الذي يوافق القرآن قُبلت . وإن فسروها بخلاف ذلك رُدَّت .

٢ ـ وأما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا . ولكن يلاحظ .

إن الإنسان إذا امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى الجهل والانقطاع . وأن الإنسان إذا تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقًا وباطلًا ، وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٤١ ـ ٢٤١) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٢٨) .

المعاني الباطلة التي ينزه الله عنها »(١) .

ولعل الراجح في المسألة أن الأمر « يختلف باختلاف المَصْلَحَةِ .

١ ـ فإن كان الخصم في مقام دعوة الناس إلى قوله وإلزام الناس بها أمكن أن يقال له : لا يجب على أحد أن يجيب داعيًا إلا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه ، ولا له دعوة الناس إلى ذلك ، ولو قدر أن ذلك المعنى حق .

وهذه الطريق تكون أصلح إذا لَبَّسَ مُلَبِّسٌ منهم على ولاة الأمور ، وأدخلوه في بدعتهم ، كما فعلت الجهمية بمن لبسوا عليه من الخلفاء حتى أدخلوه في بدعتهم من القول بخلق القرآن وغير ذلك ، فكان من أحسن مناظرتهم أن يقال : ائتونا بكتاب أو سنة حتى نجيبكم إلى ذلك وإلا فلسنا نجيبكم إلى ما لم يدل عليه الكتاب والسنة .

وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء ، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل ، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم أن العقل أدَّاه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر ، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة .

وبهذا ناظر الإمام أحمد الجهمية لما دعوه إلى المحنة ، وصار يطالبهم بدلالة الكتاب والسنة على قولهم .

فلما ذكروا حججهم كقوله تعالى ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقوله ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وقول النبي ﷺ : « تجيء البقرة وآل عمران » ، وأمثال ذلك من الأحاديث .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٢٩) .

أجابهم عن هذه الحجج بما بين به أنها لا تدل على مطلوبهم .

ولما قالوا : ما تقول في القرآن أهو اللَّه أو غير اللَّه ؟ .

عارضهم بالعلم فقال : ما تقولون في العلم أهو اللَّه أو غير اللَّه ؟ .

ولما ناظره أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث ـ وكان من أحذقهم بالكلام ـ ألزمه التجسيم ، وأنه إذا أثبت للَّه كلامًا غير مخلوق لزم أن يكون جسمًا .

فأجابه الإمام أحمد : بأن هذا اللفظ لا يُدرى مقصود المتكلم به ، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع ، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله .

وأخبره أني أقول : هو أحد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، فبين أني لا أقول هو جسم ولا ليس بجسم ، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام ، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها ، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول فيما دعاهم إليه وإجابة من دعاهم إليه رسول اللَّه ﷺ ، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع ومقصود المتكلم بها مجمل لا يُعرف إلا بعد الاستفصال والاستفسار ، فلا هي معروفة في الشرع ، ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها .

فهذه المناظرة ونحوها هي التي تصلح إذا كان المناظر داعيًا .

٢ ـ وأما إذا كان المناظر معارضًا للشرع بما يذكره ، أو ممن لايمكن أن يرد إلى الشريعة .

مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات أو ممن يدَّعي أن الشرع خاطب الجمهور ، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع ، ونحو ذلك .

أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء .

فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها إما :

١ ـ بألفاظهم .

٢ ـ وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم ، وحينئذ يقال لهم الكلام إما :

أ ـ أن يكون في الألفاظ .

ب ـ وإما أن يكون في المعاني .

ج ـ وإما أن يكون فيهما .

فإن كان الكلام في المعاني المجردة من غير تقييد بلفظ كما تسلكه المتفلسفة ونحوهم ممن لا يتقيد في أسماء اللَّه وصفاته بالشرائع بل يسميه علة وعاشقًا ومعشوقًا ونحو ذلك .

فهؤلاء إن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسنًا .

وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم ، فبيان ضلالهم ودفع صيالهم عن الإسلام بلغتهم أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ . كما لو جاء جيش كفار ولا يمكن دفع شرهم عن المسلمين إلا بلبس ثيابهم ، فدفعهم بلبس ثيابهم خير من ترك الكفار يجولون في خلال الديار خوفًا من التشبه بهم في الثياب .

وأما إذا كان الكلام مع من قد يتقيد بالشريعة .

فإنه يقال له : إطلاق هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا بدعة ، وفي كل منها تلبيس وإيهام ، فلابد من الاستفسار والاستفصال . أو الامتناع عن إطلاق كلا الأمرين في النفي والإثبات .

وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة للكلام إنما لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة كلفظ (الجوهر) و (الجسم) و (العرض) ، وقالوا : إن مثل هذا لا يقتضي الذم ، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون إليها ، أو سلاحًا يحتاجون إليه لمقاتلة العدو ، وقد ذكر هذا صاحب الإحياء وغيره .

وليس الأمر كذلك : بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث الألفاظ ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة ، ومخالفته للعقل الصريح ، ولكن علامة بطلانها مخالفتها للكتاب والسنة ، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعًا . ثم من الناس من يعلم بطلانه بعقله ومنهم من لا يعلم ذلك .

وأيضًا : فإن المناظرة بالألفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل إذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر كان كلاهما مخطئًا ، وأكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ، وفي ذلك من فساد العقل والدين ما لا يعلمه إلا الله .

فإذا رد الناس ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة فالمعاني الصحيحة ثابتة فيهما والمحقق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة[١] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٢٨ - ٢٣٣) .



الفصل الثاني

أقســــام الصــفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني : أقسام الصفات عند المخالفين .



المبحث الأول

أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام الصفات عمومًا .

المطلب الثاني : أقسام الصفات الثبوتية .



تنوعت تقسيمات أهل السنة للصفات وذلك بحسب الاعتبارات التي يرجع لها كل تقسيم ، ومن تلك التقسيمات ما يلي :

المطلب الأول

أقسام الصفات عمومًا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الصفات نوعان :

أحدهما : صفات نقص ؛ فهذه يجب تنزيه اللَّه عنها مطلقًا ؛ كالموت والعجز ، والجهل .

والثاني : صفات كمال ؛ فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء »[(١)] .

وتنقسم الصفات باعتبار ورودها في النصوص إلى قسمين :

١ ـ صفات ثبوتية .

٢ ـ صفات سلبية (أي منفية) .

القسم الأول : الصفات الثبوتية .

وتعريفها : هي ما أثبته اللَّه تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

والصفات الثبوتية كثيرة جدًا منها : العلم ـ والحياة ـ والعزة ـ والقدرة ـ والحكمة ـ والكبرياء ـ والقوة ـ والاستواء ـ والنزول ـ والمجيء ، وغيرها .

والصفات الثبوتية صفات مدح وكمال ، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر اللَّه بها عن نفسه أكثر بكثر من الصفات السلبية[(٢)] .

---

(١) الصفدية ١ / ١٠٢ .

(٢) القواعد المثلى ص ٢٤ « بتصرف » .

إضافة إلى أن معرفة اللَّه الأصل فيها صفات الإثبات والسلب تابع ومقصوده تكميل الإثبات ، بل كل تنزيه مدح به الرب ففيه إثبات(١) .

القسم الثاني : الصفات السلبية .

وتعريفها : هي ما نفاه اللَّه سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

والصفات المنفية كلها صفات نقص في حقه .

ومن أمثلتها : النوم - الموت - الجهل - النسيان - العجز - التعب - الظلم . فيجب نفيها عن اللَّه عز وجل مع إثبات أن اللَّه موصوف بكمال ضدها(٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى الأمور التالية :

الأمر الأول : أن معرفة اللَّه ليست بمعرفة صفات السلب ، بل الأصل فيها صفات الإثبات ، والسلب تابع ومقصوده تكميل الإثبات(٣) .

« فإن السلب لا يراد لذاته ، وإنما يقصد لما يتضمنه من إثبات الكمال ، فكل ما نفاه اللَّه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنه متضمن للمدح والثناء على اللَّه بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة »(٤) .

الأمر الثاني : أن صفات التنزيه يجمعها معنيان :

الأول : نفي النقائص عنه ، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ١١٢ « بتصرف » .

(٢) القواعد المثلى ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٧ / ١١٢ .

(٤) شرح القصيدة النونية للهراس ٢ / ٥٥ .

الثاني : إثبات أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له .

الأمر الثالث : الصفات السلبية تذكر غالبًا في الأحوال التالية :

الأولى : بيان عموم كماله :

كما في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ﴾ [الشورى : ١١] .

وقوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] .

والثانية : نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون .

كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٢] .

والثالثة : دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين .

كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٦] »(١) .

الأمر الرابع : أن الصفات السلبية إنما تكون كمالًا إذا تضمنت أمورًا وجودية(٢) .

فلا يوصف الرب من الأمور السلبية إلا بما يتضمن أمورًا وجودية ، وإلا فالعدم المحض لا كمال فيه .

فينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا ، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال .

والعدم المحض ليس بشيء ، وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلا

(١) القواعد المثلى ص ٢٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٧ / ١٤٤ .

عن أن يكون مدحًا وكمالًا .

لأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع ؛ والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال .

ولهذا كان عامة ما يصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح .

كقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام .

وكذلك قوله ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة : ٢٥٥] أي لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها ؛ بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته .

وكذلك قوله ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٣] فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض .

وكذلك قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] فإن نفي مس اللغوب ـ الذي هو التعب والإعياء ـ دل على كمال قدرته ونهاية القول بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه .

وكذلك قوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء ، ولم ينف مجرد الرؤية ، لأن المعدوم لا يرى ، وليس في كونه لا يرى مدح ، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحًا وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رؤي ، كما أنه لا يحاط به وإن علم فكما أنه إذا علم لا يحاط به علمًا ، فكذلك إذا رؤي لا يحاط به رؤية

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفة كمال ، وكان ذلك دليلًا على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها .

وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتًا هو مما لم يصف به نفسه »[١] .

ثم إن النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه ، فيه إساءة أدب مع اللّه سبحانه ، فإنك لو قلت لسلطان : أنت لست بزبال ولا كسَّاح ولا حجام ولا حائك لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا .

وإنما تكون مادحًا إذا أجملت النفي فقلت : أنت لست مثل أحد من رعيتك أنت أعلى منهم وأشرف وأجل ، فإن أجملت في النفي أجملت في الأدب »[٢] .

فأهل الكلام المذموم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل فيقولون : ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض إلى آخر تلك السلوب الكثيرة التي تمجها الأسماع وتأنف من ذكرها النفوس والتي تتنافى مع تقدير اللّه تعالى حق قدره[٣] .

الأمر الخامس : أن الرسل عليهم صلوات اللّه جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل .

والمعطلة ناقضوهم فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل .

فإن الرسل أخبرت كما أخبر اللّه في كتابه الذي بعث به رسوله أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه حكيم عزيز ، غفور ودود ، وأنه خلق

---

(١) الرسالة التدمرية ص ٢١ - ٢٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٣) الصفات الإلهية ص ٢٠٢ .

السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وأنه كلم موسى تكليمًا ، وتجلى للجبل فجعله دكًا ، وأنه أنزل على عبده الكتاب ، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته .

وقال في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

وهؤلاء الملاحدة جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل ، فقالوا في النفي : ليس بكذا ولا كذا ، فلا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ، ولا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا له كلام يقوم به ، ولا له حياة ، ولا علم ، ولا قدرة ، ولا غير ذلك ، ولا يشار إليه ولا يتعين ، ولا هو مباين للعالم ولا حال فيه ، ولا داخله ، ولا خارجه ، إلى أمثال العبارات السلبية التي لا تنطبق إلا على المعدوم .

ثم قالوا في الإثبات هو وجود مطلق ، أو وجود مقيد بالأمور السلبية »[(١)] .

وبذلك عكسوا منهج القرآن والسنة ، فأكثروا من وصف اللّٰه تعالى بالأمور السلبية التي لم يرد بها النص ، وأفرطوا في ذلك إفراطًا عجيبًا ، بينما أنكر بعضهم جميع الصفات الثبوتية ، والبعض الآخر لم يثبت سوى القليل منها .

الأمر السادس : للتفريق بين الصفات السلبية التي ورد بها النص والصفات السلبية التي أحدثها المعطلة النفاة نقول : إن الصفات السلبية التي ورد بها النص متضمنة لثبوت كمال الضد كما تقدم شرح ذلك .

وأما الصفات السلبية التي هي من نسج المعطلة واختراعهم فلا تتضمن ثبوت كمال الضد .

---

(١) الصفدية ١ / ١١٦ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كل تنزيه مدح فيه الرب ففيه إثبات ، فلهذا كان قول « سبحان الله » متضمنًا تنزيه الرب وتعظيمه ، ففيها تنزيهه من العيوب والنقائص ، وفيها تعظيمه سبحانه وتعالى »(١) .

فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهًا محمودًا ، بل ولا موجودًا .

وكذلك من شاركهم في بعض ذلك ، كالذين قالوا لا يتكلم ، ولا يُرى أو ليس فوق العالم ، أو لم يستو على العرش ، ويقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا مجانب له .

إذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم ، وليس هي صفة مستلزمة صفة ثبوت .

فقولهم إنه لا يتكلم ، أو لا ينزل ، ليس في ذلك صفة مدح ، بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات أو المعدومات »(٢) .

الأمر السابع : إن سلب النقائص والعيوب عن الله نوعان :

النوع الأول : سلب لمتصل .

« وضابطه : نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ ، كنفي الموت المنافي للحياة ، والعجز المنافي للقدرة ، والسنة والنوم المنافي لكمال القيومية ، والظلم المنافي للعدل والإكراه المنافي للاختيار ، والذل المنافي للعزة ... الخ » .

النوع الثاني : سلب لمنفصل .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧ / ١١٢ .

(٢) الرسالة التدمرية ص ٢٣ .

وضابطه : تنزيه اللَّه سبحانه عن أن يشاركه أحد من خلقه في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له .

وذلك كنفي الشريك له في ربوبيته ، فإنه منفرد بتمام الملك والقوة والتدبير .

وكنفي الشريك له في أُلوهيته ، فهو وحده الذي يجب أن يؤلهه الخلق ويفردوه بكل أنواع العبادة والتعظيم .

وكنفي الشريك له في أسمائه الحسنى وصفاته العليا فليس لغيره من المخلوقين شركة معه سبحانه في شيء منها .

وكذلك نفي الظهير الذي يظاهره أو يعاونه في خلق شيء أو تدبيره ، لكمال قدرته وسعة علمه ونفوذ مشيئته ، وغيره من المخلوقين عاجز فقير لا حول له ولا قوة إلا باللَّه ، فالشريك والظهير منفيان عنه بإطلاق .

وكذلك ينفى عنه سبحانه اتخاذ الصاحبة والولد الذي نسبه إليه النصارى عابدو الصلبان ، والصابئة الذين يقولون إن الملائكة بنات اللَّه .

قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الإسراء : ١١١] »[١] .

☆ ☆ ☆ ☆

(١) انظر : شرح القصيدة النونية للهراس ٢ / ٥٦ ـ ٥٨ .

المطلب الثاني

اقسام الصفات الثبوتية

أ ـ تنقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها بالله إلى قسمين[١] :

القسم الأول : الصفات الذاتية .

القسم الثاني : الصفات الفعلية .

وكلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات له تعالى أزلًا وأبدًا ، لم يزل متصفًا بهما ماضيًا ومستقبلًا لائقان بجلال رب العالمين[٢] .

أما **القسم الأول** : الصفات الذاتية .

فضابطها : هي التي لا تنفك عن الذات[٣] .

أو : التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها .

أو : الملازمة لذات الله تعالى[٤] .

ومنها : الوجه ـ اليدين ـ العينين[٥] ـ الأصابع ـ القَدَم ـ العلم ـ الحياة ـ القدرة ـ العزة ـ الحكمة .

القسم الثاني : الصفات الفعلية .

وضابطها : هي التي تنفك عن الذات .

---

(١) انظر الكواشف الجلية ص ٤٢٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧ .

(٣) الكواشف الجلية ص ٤٢٩ .

(٤) التعريفات للجرجاني ص ١٣٣ .

(٥) مجموع الفتاوى ٦ / ٦٨ .

أو : التي تتعلق بالمشيئة والقدرة[١] .

ومنها : الاستواء - المجيء - الإتيان - النزول - الخلق - الرزق - الإحسان - العدل .

فالفرق بين القسمين :

أن الصفات الذاتية لا تنفك عن الذات ، أما الصفات الفعلية يمكن أن تنفك عن الذات على معنى أن اللَّه إذا شاء لم يفعلها .

ولكن مع ذلك فإن كلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات للَّه تعالى أزلًا وأبدًا لم يزل ولا يزال متصفًا بهما ماضيًا ومستقبلًا لائقان بجلال اللَّه عز وجل[٢] .

وتنقسم الصفات الفعلية من جهة تعلقها بمتعلقها إلى قسمين :

١- **متعدية** : وهي ما تعدت لمفعولها بلا حرف جرّ مثل : خلق ، ورزق ، وهدى ، وأضل ، ونحوها .

٢- **لازمة** : وهي ما تتعدى لمفعولها بحرف جر كالاستواء والمجيء والإتيان والنزول ونحوها .

وإنما قسمت كلذك نظرًا للاستعمال القرآني من جهة ولكونها في اللغة كذلك[٣] ، قال ابن القيم : (فأفعاله نوعان : لازمة ، ومتعدية كما دلت النصوص التي هي أكثر من أن تحصر على النوعين)[٤] ، وقال رحمه اللَّه : « المجيء

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٣٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٣٣ ، ٥ / ٥١٨ . التنبيهات السنية ص ٦٩ .

(٤) مختصر الصواعق ٢ / ٢٢٩ .

والإتيان والذهاب والهبوط هذه من أنواع الفعل اللازم القائم به ، كما أن الخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والقبض ، والبسط أنواع الفعل المتعدي وهو سبحانه موصوف بالنوعين وقد يجمعهما كقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد : ٤] »[١] .

مواقف الطوائف من الصفات الذاتية والفعلية :

١- موقف أهل السنة والجماعة .

أثبت أهل السنة جميع الصفات الذاتية منها والفعلية ، وأثبتوا أن اللّٰه متصف بذلك أزلًا ، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم ، وإن كانت المفعولات محدثة[٢] .

٢- موقف المعتزلة ومن وافقهم .

أثبتوا الذات مجردة عن الصفات ، وزعموا أن اللّٰه لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره وهو قولهم : لا تحله الأعراض ولا الحوادث .

وبذلك نفوا قيام الصفات الذاتية والفعلية باللّٰه تعالى ، وجعلوا إضافة الصفات إلى اللّٰه تعالى إما من باب إضافة الملك والتشريف أو من إضافة وصف (أي القول) من غير قيام معنى به[٣] .

٣- موقف المتأخرين من الأشاعرة ومعهم الماتريدية :

نفوا جميع الصفات ما عدا الصفات السبع وهي : (العلم ـ الحياة ـ القدرة ـ الإرادة ـ السمع ـ البصر ـ الكلام) . وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة

---

(١) مختصر الصواعق (٢ / ٢٥٤) بتصرف يسير .

(٢) مجموع الفتاوى ٦ / ١٤٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ . منهاج السنة ١ / ٤٢٣ .

صفة ثامنة هي : (الإدراك)[١] . وزاد الماتريدية صفة : (التكوين)[٢] .

٤ـ موقف الكلابية ومن وافقهم من قدماء الأشاعرة وغيرهم .

يثبتون الصفات الذاتية وينفون الأفعال الاختيارية ، ولم يثبتوا للَّه أفعالًا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته ، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته[٣] كالمحبة .

٥ـ موقف الكرامية ومن وافقهم :

يثبتون الصفات بما فيها أن اللَّه تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته ، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن ، وأنه يصير موصوفًا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك ، وقالوا : لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث . ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها ، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها[٤] .

ب ـ ويمكن تقسيم الصفات الثبوتية كذلك إلى قسمين[٥] :

القسم الأول : الصفات اللازمة .

وتعريفها : هي الصفات اللازمة للموصوف لا تفارقه إلا بعدم ذاته . أو بعبارة أخرى : هي الصفات التي لا تنفك عن الذات وتنقسم إلى قسمين :

---

(١) تحفة المريد ص ٧٦ .

(٢) تحفة المريد ص ٧٥ . وانظر : إشارات المرام ص ١٠٧ ، ١١٤ ، وجامع المنون ص ١٢٠٨ ، ونظم الفوائد ص ٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ٥٢٠ . منهاج السنة ١ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .

(٤) مجموع الفتاوى ٦ / ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٥) درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٣٢١ ـ ٣٢٤ . الرد على المنطقيين ص ٨٠ .

الصفات الذاتية[١] : وهي التي لا يمكن تصور الذات مع تصور عدمها .

ومنها : الوجه ـ اليد ـ الأصبع ـ العين ـ القدم .

الصفات المعنوية : وهي ما يمكن تصور الذات مع تصور عدمها .

ومنها : الحياة ـ العلم ـ القدرة ـ العزة ـ العظمة ـ الكبرياء ـ الملك ـ الحكمة ـ السمع ـ البصر .

القسم الثاني : الصفات العارضة أو الصفات الاختيارية .

وتعريفها : هي الصفات التي يمكن مفارقتها له مع بقاء الذات .

أو : الصفات التي تنفك عن الذات .

أو : الصفات التي تتعلق بالمشيئة والقدرة .

وهي إما من باب الأفعال : كالاستواء ، والإتيان ، والمجيء ، والنزول .

وإما من باب الأقوال والكلمات : التكليم والنداء ، والمناجاة ، والقول .

وإما من باب الأحوال : كالفرح ، والغضب ، والرضا ، والضحك[٢] .

فكل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة اللّه وقدرته ، وهذا ضابط ما يدخل في الصفات الاختيارية[٣] .

الصفات الاختيارية :

وضابطها : هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته[٤] .

---

(١) ليس المقصود بالذاتية ما يلزم الذات ، إذ الجميع لازم الذات .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٤ / ٢٣ « بتصرف » .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٤٤ « بتصرف » .

(٤) مجموع الفتاوى ٦ / ٢١٧ .

والصفات الاختيارية أعم من الصفات الفعلية ، لأنها تشمل بعض الصفات الذاتية التي لها تعلق بالمشيئة ، مثل : الكلام ، السمع ، البصر ، الإرادة ، المحبة الرضا ، الرحمة ، الغضب ، السخط .

كما أنها - أي الصفات الاختيارية - تشمل الصفات الفعلية غير الذاتية .

مثل : الخلق ، الإحسان ، العدل ، وهذه فعلية متعدية .

ومثل : الاستواء ، المجيء ، الإتيان ، النزول ، وهذه فعلية لازمة .

فالكلام « صفةُ ذاتٍ وفعلٍ » فهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا بذاته وكل ما كان بعد عدمه ، فإنما يكون بمشيئة اللّٰه وقدرته[١] ، وما تعلق بالمشيئة مما يتصف به الرب فهو من الصفات الاختيارية[٢] ، والصفات الصادرة عن الأفعال موصوف بها في القدم ، ولم تتغير ذاته من أفعاله ، ولم يكتسب عن أفعاله صفات كمال ، فهو سبحانه لم يزل كريمًا خالقًا .

ومن معتقد أهل السنة والجماعة إثبات قيام جميع هذه الصفات بالذات خلافًا لقول الكلابية والأشاعرة والماتريدية .

فهذا نوع من تقسيمات الصفات يفصل بين عقيدة أهل السنة من جهة وعقيدة الصفاتية من أهل الكلام وهم (الكلابية ، والأشاعرة ، والماتريدية) من جهة أخرى .

فالكلابية وقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات ما عدا صفات الأفعال الاختيارية فإنهم ينفون كونها صفات قائمة باللّٰه .

والمتأخرون من الأشاعرة والماتريدية ينفون الصفات الذاتية والاختيارية ويثبتون

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٢١٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦ / ٢٤٤ .

سبعًا من الصفات المعنوية هي (العلم - الحياة - القدرة - الإرادة - السمع - البصر - الكلام) .

ثالثًا : تنقسم الصفات من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات الشرعية العقلية .

وضابطها : هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي ، والفطرة السليمة . وهي أكثر صفات الرب تعالى ، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي[1] وإن كان الأصل في ثبوتها الدليل الشرعي . ومنها : العلم ، السمع ، البصر ، العلو ، القدرة الإرادة ، الخلق ، الحياة . وسميت « شرعية عقلية » .

شرعية : لأن الشرع دل عليها أو أرشد إليها .

وعقلية : لأنها تعلم صحتها بالعقل ولا يقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر .

فإذا أخبر اللّه بالشيء ، ودل عليه بالدلالات العقلية صار مدلولا عليه بخبره ومدلولا عليه بدليل العقل الذي يعلم به ، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمىٰ الدلالة الشرعية[2] .

القسم الثاني : الصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية .

وضابطها : هي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن اللّه أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والتسليم[3] .

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه ص ٢٠٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦ / ٧١ ، ٧٢ .

(٣) الصفات الإلهية ص ٢٠٧ .

ومنها : الوجه - اليد - العين - الرضا - الفرح - الغضب - القَدَم - الاستواء - النزول - المجيء - الضحك .

وهي تنقسم إلى قسمين :

١ - صفات ذاتية مثل : الوجه - اليد - العين - القَدَم .

٢ - صفات فعلية مثل النزول - الاستواء - الغضب - الفرح - الضحك .

☆ ☆ ☆ ☆

المبحث الثاني
أقسام الصفات عند المخالفين

واشتمل مطلبين :

المطلب الأول : أقسام الصفات عند من ينكر جميع الصفات الثبوتية .

المطلب الثاني : أقسام الصفات عند من يثبت بعض الصفات وينكر بعضها .



المطلب الأول

أقسام الصفات عند من ينكر جميع الصفات الثبوتية

وهم الفلاسفة بشتى أصنافهم ، والجهمية ، والمعتزلة ومن وافقهم كالزيدية ، والرافضة الإمامية ، والنجارية ، والضرارية ، والإباضية ، وابن حزم ، وهؤلاء ليس عندهم تقسيم للصفات الثبوتية ، لأنهم لا يثبتونها أصلًا فضلًا عن كونهم يقسمونها .

أما في جانب النفي ـ عند من يقول به منهم فإن ابن سينا[١] وهو من الفلاسفة الإسماعيلية الباطنية يجعل الصفات إما سلبية محضة وإما إضافية محضة وإما مؤلفة من سلب وإضافة والسلوب والإضافات لا توجب كثرة في الذات[٢] .

١ـ صفات سلبية محضة :

وهذا النوع إذا وصف به واجب الوجود ـ على حد تعبيرهم ـ ، أفاد أن المقصود به نفس وجوده مع سلب ما يؤدي إليه عنه ، وهو ما يستلزمه مفهوم واجب الوجود »[٣] .

فإذا قيل جوهر : لم يعن به إلا هذا الوجود الواجب مع سلب الكون في

(١) انظر كتاب : علاقة صفات الله تعالى بالذات لراجح الكردي ص ١١٩ ـ ١٢٠ ط دار العدوي ، عمان ، الأردن .

(٢) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ١٨٢ .

(٣) الجانب الإلهي لمحمد البهي ٢ / ٥٤٨ .

موضع عنه .

وإذا قيل واحد : لم يعن به إلا الوجود الواجب وسلب الشريك عنه أو سلب الكثرة من كل وجه .

وإذا قيل قديم : لم يعن به إلا هذا الوجود مع سلب العدم عنه أولًا .

وإذا قيل باق : لم يعن به إلا هذا الوجود الواجب مع سلب العدم عنه آخرًا(١) .

٢- صفات إضافية محضة :

وضابطها : هي الأمور المتضايفة التي لا يعقل الواحد منها إلا بتعقل مقابله(٢) .

ومن أمثلتها : كونه أولًا مبدأ ، خالقًا ، قديرًا ، مريدًا ، صانعًا ، مبدعًا حكيمًا ، جوادًا ، كريمًا(٣) .

« مثلا صفة كونه (أولًا) : هي نفس وجود واجب الوجود لكن مع الوجود إضافة إذا نسب الله تعالى إلى الموجودات غيره ، أي لم يعن إلا إضافة هذا الوجود الواجب إلى الكل . وكونه تعالى (مبدأ) : إضافة له إلى معلوماته بمعنى إشارة إلى وجوده وإلى أن وجود غيره إنما هو منه .

---

(١) علاقة صفات الله تعالى بذاته ص ١٢١ .

(٢) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ١ / ٤٤ . أي هي عبارة عن ماهيتين تَعَقُّل كل واحدة لا يتم إلا مع تعقل الأخرى ، كالأبوة والنبوة ونحو ذلك ، ومن خواص الإضافة أنه إذاعرف أحد المضافين عرف الآخر أيضًا . انظر : المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص ١١٢ ، الفتاوى ١٧ / ١٤٨ - ١٥٠ ، المواقف في علم الكلام ص ١٧٩ - ١٨٠ ، المعجم الفلسفي ص ١٥ .

(٣) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ١٨١ .

وصفة كونه (خالقًا) : هي نفس وجود اللّٰه تعالى مع إضافة لأن علة الإيجاد هي علم واجب الوجود أو تعلقه للنظام الفائض منه على مقتضى علمه »[١] .

٣ ـ صفات مركبة من سلب وإضافة :

وهذا النوع من الصفات إذا وصف به واجب الوجود أفاد أن ذلك له على وجه السلب وعلى وجه النسبة والإضافة أيضًا ، وهو ما يستتبعه الاعتقاد بأنه خالق ومدبر للكون .

فإذا قيل واجب الوجود : أي موجود لا علة له وهذا سلب ، وهو علة لغيره وهذه إضافة فالسلب والإضافة مجتمعان معًا .

وإذا قيل خالق : فهم منه أن وجوده شريف يفيض عنه وجود الكل فيضًا لازمًا ، وأن وجود غيره حاصل منه بالتبع .

وإذا قيل عالم : فهم أنه لا يعلم ذاته ما لم يعلم أنه مبدأ للكل .

وإذا قيل جواد : فهم أنه لا ينحو غرضا لذاته وهذا سلب ، وأنه يفيض الجود على غيره لأنه مبدأ لكل جود[٢] .

قال الشهرستاني : « قالت الفلاسفة : واجب الوجود بذاته لن يتصور إلا واحدًا من كل وجه فلا صفة ولا حال ولا اعتبار ولا حيث ولا وجه لذات واجب الوجود بحيث يكون أحد الوجهين والاعتبارين غير الآخر بذاته ، أو يدل لفظ على شيء هو غير الآخر بذاته ولا يجوز أن يكون نوع واجب

(١) علاقة صفات الله تعالى بذاته ص ١٢٠ .

(٢) علاقة صفات الله تعالى بذاته ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، وانظر : نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ١٨٢ .

الوجود لغير ذاته لأن وجود نوعه له لعينه ولا يشاركه شيء ما صفة أو موصوفًا في واجب الوجود والأزلية ولا ينقسم هو ولا يتكثر لا بالكم ولا بالمبادئ المقومة ولا بأجزاء الحقيقة والحد . ثم له صفات سلبية : مثل تقدسه عن الكثرة من كل وجه ، فيسمى لذلك واحدًا حقًا أحدًا صمدًا[(١)] .

ومثل تنزهه عن المادة وتجرده عن طبيعة الإمكان والعدم ، ويسمى ذلك عقلًا وواجبًا .

وله صفات إضافية : مثل كونه صانعًا مبدعًا حكيمًا قديرًا جوادًا كريمًا .

وصفات مركبة من سلب وإضافة : مثل (كونه مريدًا) : أي هو مع عقليته ووجوبه بذاته مبدأ لنظام الخير كله من غير كراهية لما يصدر عنه ؛ (وجوادًا) أي هو بهذه الصفة وزيادة سلب أي لا ينحو غرضًا لذاته وأولًا : أي هو مسلوب عنه الحدوث مع إضافة وجود الكل إليه .

وصفاته عندهم إما سلبية محضة ، وإما إضافية محضة ، وإما مؤلفة من سلب وإضافة ، والسلوب والإضافات لا توجب كثرة في الذات »[(٢)] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) استدل الفلاسفة باسمه تعالى (الأحد) ، واسمه (الصمد) على نفي الصفات عنه جل وعلا واستدلالهم هذا باطل ، وهو يدل على نقيض قولهم ، فإن اسم (الصمد) يدل على استحقاق الله تعالى لجميع صفات الكمال ، واسم (الأحد) يدل على نفي المشاركة والمماثلة ، انظر مجموع الفتاوى ١٧ / ١٠٧ ، ١٠ / ٥٤ ، شرح حديث النزول ص ٧٤ ، منهاج السنة ٢ / ١٨٦ - ١٨٧ ، ٥٢٩ - ٥٣٠ .

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام ص ١٨١ .

المطلب الثاني

أقسام الصفات عند من يثبت بعض الصفات، وينكر بعضها

وهم الكلابية والأشاعرة والماتريدية ، ويسمون الصفاتية .

وهم في تقسيم الصفات على قسمين :

١ ـ الكلابية وقدماء الأشاعرة .

وهؤلاء يتفقون مع أهل السنة في تقسيم الصفات عمومًا إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات الذاتية .

القسم الثاني : الصفات الفعلية .

وكذا في تقسيمها من حيث أدلة إثباتها حيث يقسمونها إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات العقلية .

القسم الثاني : الصفات السمعية .

لكنهم يختلفون مع أهل السنة فيما يثبتونه وطريقة إثباتهم .

٢ ـ الأشاعرة المتأخرون والماتريدية .

المعروف عن متأخري الأشاعرة والماتريدية من أهل الكلام تقسيمهم الصفات إلى أربعة أقسام :

١ ـ صفات المعاني . ٢ ـ الصفات المعنوية .

٣ ـ الصفات السلبية . ٤ ـ الصفة النفسية .

القسم الأول : صفات المعاني .

وضابطها في اصطلاحهم هي : ما دل على معنى وجودي قائم بالذات ولم يقر هؤلاء إلا بسبع منها هي ، الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر

والكلام . ونفوا ما عداها من صفات المعاني كالرأفة والرحمة والحلم[١] .

وهي القدر الذي عند هؤلاء من الإثبات ، أما الأقسام الثلاثة الباقية ليس فيها إثبات على الحقيقة .

القسم الثاني : الصفات المعنوية .

وضابطها : هي الأحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلل قائمة بالموصوف وهي كونه « حيًا ، عليمًا ، قديرًا ، مريدًا ، سميعًا ، بصيرًا ، متكلمًا » وهذا العد لا وجه له لأنه في الحقيقة تكرار لصفات المعاني المتقدم ذكرها .

ثم إن من عدها من هؤلاء عدوها بناءً على ما يسمونه الحالة المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة[٢] .

والتحقيق أن هذا خرافة وخيال . وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعًا ، وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعًا ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء[٣] .

القسم الثالث : الصفات السلبية :

وضابطها عندهم : ما دل على سلب ما لا يليق باللَّه عن اللَّه من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات .

والذين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمسًا لا سادس لها[٤] وهي

---

(١) منهج ودرسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٥) .

(٢) تحفة المريد (ص ٢٧) .

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ١٠) .

(٤) يرى بعضهم أنها ليست منحصرة في هذه الخمسة ، إلا أن ما عداها راجع إليها ولو بالالتزام ، أو أن هذه مهماتها . انظر تحفة المريد (ص ٥٤) .

عندهم : القِدَمُ ، البقاء ، والمخالفة للحوادث ، والوحدانية ، والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس الذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل[١] .

وعلى ضابطهم الذي ذكروه فإن هذه الخمس لا تتضمن معنى وجوديًا . وإنما تتضمن أمرًا سلبيًا فعلى سبيل المثال :

القدم : المقصود بها نفي الحدوث .

والبقاء : المقصود بها نفي الفناء .

والوحدانية : المقصود بها نفي النظير المساوي له .

والقيام بالنفس : عدم افتقاره للمحل وعدم افتقاره للمخصص : أي الموجد .

القسم الرابع : الصفة النفسية .

وضابطها هي : كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس غير معللة بعلل قائمة بالموصوف .

وهي عندهم صفة واحدة هي : الوجود . وهي عندهم لا تدل على شيء زائد على الذات .

يقول شارح جوهرة التوحيد : « واعلم أن الوجود صفة نفسية وإنما نسبت للنفس أي الذات ، لأنها لا تتعقل إلا بها فلا تتعقل نفس إلا بوجودها ، والمراد بالصفة النفسية : صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

فقولنا : (صفة) كالجنس .

وقولنا : (ثبوتية) يخرج السلبية كالقدم والبقاء .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٨) .

وقولنا : (يدل الوصف بها على نفس الذات) معناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات .

وقولنا : (دون معنى زائد عليها) تفسير مراد لقولنا (على نفس الذات) ويخرج بذلك المعاني لأنها لا تدل على معنى زائد على الذات ، وكذلك « المعنوية » فإنها تستلزم المعاني فهي تدل على معنى زائد على الذات لاستلزامها المعاني »[١] .

وبهذا يعلم أنه ليس عند هؤلاء من الإثبات إلا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني وهي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر والكلام وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها ولهم في نصوصها أحد طريقين إما التأويل أو التفويض وفي هذا يقول قائلهم :

وكل نص أوهم التشبيها أَوِّلْهُ أو فَوِّضْ ورم تنزيها [٢]

فنصوص الصفات التي وردت في إثبات ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها ، يسمونها نصوصًا موهمة للتشبيه ، فهم يصرفونها عن ظاهرها ، ولكنهم تارة يعينون المراد كقولهم استوى : استولى ، واليد : بمعنى النعمة والقدرة ؛ وتارة يفوضون فلا يحددون المعنى المراد ويكلون علم ذلك إلى اللّٰه عز وجل . ولكنهم يتفقون على نفي الصفة لأن ناظمهم يقول : « ورم تنزيهًا » وشارح الجوهرة يقول : (أو فوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى[٣] .

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص ٥٤) .

(٢) المصدر السابق (ص ٩١) .

(٣) تحفة المريد (ص ٩١) .

فهم بذلك متفقون على نفي تلك الصفات ، ويخيرون في تحديد المعنى المراد أو السكوت عن ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات ـ أي الصفات الخبرية ـ موافقة للمعتزلة والجهمية . ثم لهم قولان :

أحدهما : تأويل نصوصها ، وهو أول قولي أبي المعالي ، كما ذكره في الإرشاد .

والثاني : تفويض معانيها إلى الرب ، وهو آخر قولي أبي المعالي كما ذكره في « الرسالة النظامية » وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب .

ثم هؤلاء منهم من ينفيها ويقول : إن العقل الصريح نفى هذه الصفات . ومنهم من يقف ويقول : ليس لنا دليل سمعي ولا عقلي ، لا على إثباتها ولا على نفيها ، وهي طريقة الرازي والآمدي »[١] .

وقال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان : « اعلم أن المتكلمين قسموا صفاته جل وعلا إلى ستة أقسام :

١ ـ صفة نفسية .

٢ ـ صفة سلبية .

٣ ـ صفة معنى .

٤ ـ صفة معنوية .

٥ ـ صفة فعلية .

٦ ـ صفة جامعة مثل العلو والعظمة مثلًا .

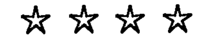
---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٢٤٩) .

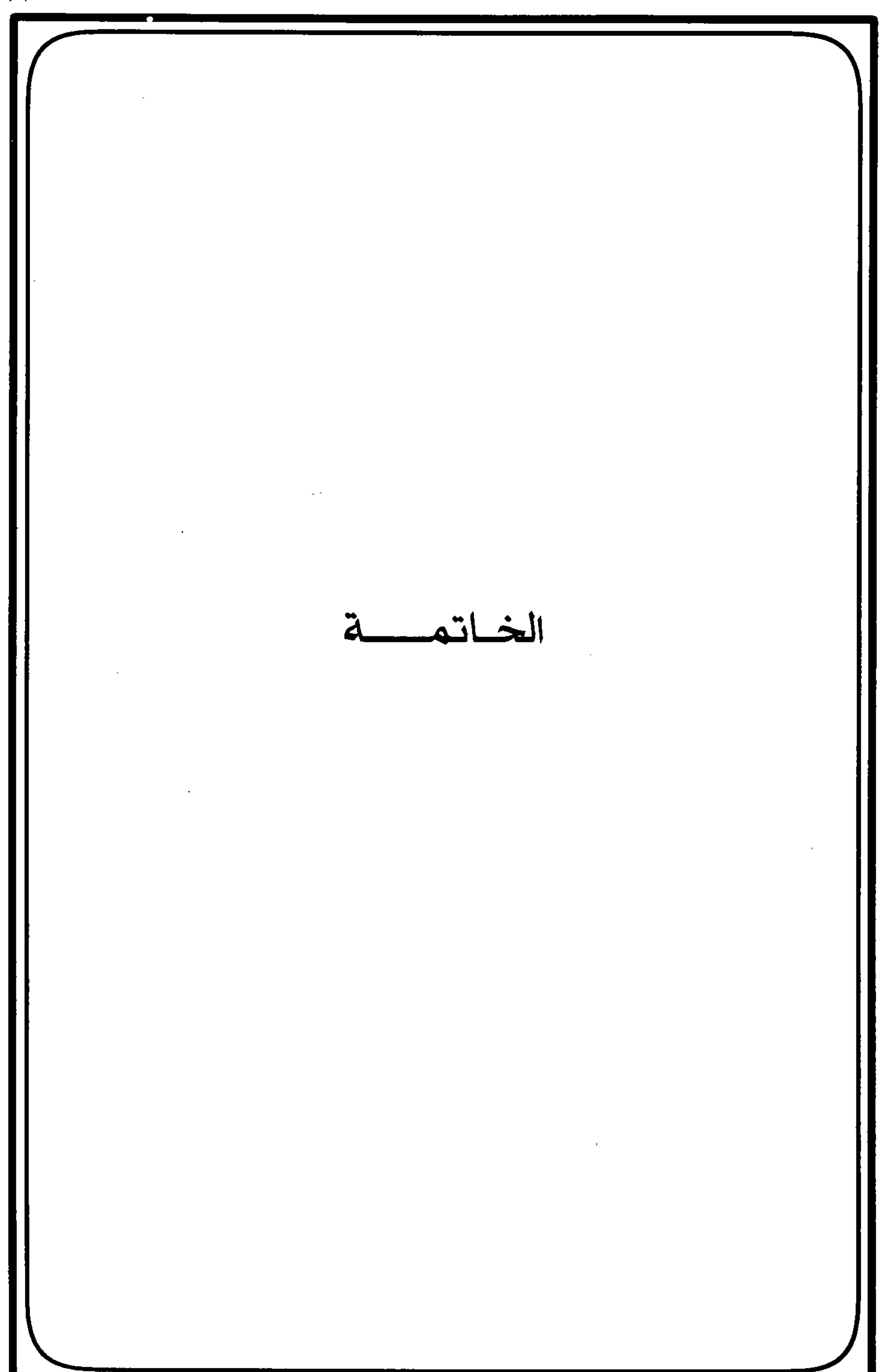
والصفة الإضافية هي تتداخل مع الفعلية .

لأن كل صفة فعلية من مادة متعدية إلى المفعول كالخلق والإحياء والإماتة فهي صفة إضافية ، وليست كل صفة إضافية فعلية ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان في نحو الخلق والإحياء والإماتة .

وتتفرد الفعلية في نحو الاستواء وتتفرد الإضافية في نحو كونه تعالى موجود قبل كل شيء ، وأنه فوق كل شيء ، لأن القَبْلِيَّةَ والفوقيَّةَ من الصفات الإضافية وليستا من صفات الأفعال »[١] .



(١) أضواء البيان ٢ / ٣٠٦ .



الخـاتمـــة



بعد هذا العرض لتعريف الصفات وبيان أقسامها والمسائل المتعلقة بذلك أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، فأقول :

أولًا : إن ضابط الصفات الإلهية عند أهل السنة هو : ما قام بالذات الإلهية ووردت به نصوص القرآن والسنة .

فأهل السنة يثبتون قيام الصفات بالذات سواء الذاتية منها أو الفعلية .

ثانيًا : يشترط لثبوت الصفات ورود النص من القرآن أو السنة بذلك فباب الصفات توقيفي .

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفات ثلاثة أوجه :

١ ـ التصريح بالصفة .

٢ ـ تضمن الاسم للصفة .

٣ ـ التصريح بفعل أو وصف دال عليها .

ثالثًا : أن كل واحد من لفظ « الوصف » أو « الصفة » لا فرق بينهما عند أهل السنة ، وأنهما قد يراد بهما الكلام الذي يوصف به الموصوف أو المعاني التي يدل عليها الكلام .

بخلاف قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم الذين جعلوا الصفات مجرد القول الذي يعبر به عن الموصوف من غير قيام معنى .

وبخلاف الصفاتية الذين يجعلون الوصف : هو القول ، والصفة : هو المعنى القائم بالموصوف ، فيفرقون بين الوصف والصفة .

رابعًا : المضافات إلى الله على نوعين هما :

١ ـ إضافة الملك .

٢ ـ إضافة صفة .

وصفات الله عز وجل من إضافة الصفة إلى الموصوف ، فتكون قائمة به سبحانه . بخلاف قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم الذين لا يعترفون بالقسم الثاني من أقسام الإضافة إلى الله ، فردوا جميع ما يضاف إلى الله من الصفات إلى إضافة الخلق أو إضافة وصف من غير قيام معنى به .

وبخلاف قول الصفاتية من الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون قيام صفات الأفعال بالذات ويجعلون إضافتها إلى الله على أنها نسب إضافية عدمية .

خامسًا : يشتمل توحيد الأسماء والصفات على ثلاثة أبواب :

١ ـ باب الأسماء .

٢ ـ باب الصفات .

٣ ـ باب الأخبار .

وباب الأسماء هو أخص تلك الأبواب ، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء ، وباب الإخبار أوسع منهما .

سادسًا : أن الألفاظ التي لم ترد بها النصوص لا تدخل في باب الصفات وإنما هي داخلة في باب الإخبار ، ولأهل السنة ضوابط في ذلك تقدم تفصيلها .

سابعًا : تنقسم الصفات عمومًا إلى قسمين :

١ ـ صفات نقص .

٢ ـ صفات كمال .

والله عز وجل موصوف بالكمال ومنزه عن صفات النقص .

ثامنًا : تنقسم الصفات باعتبار ورودها في النصوص إلى قسمين :

١ ـ الصفات الثبوتية .

٢ ـ الصفات السلبية .

والأصل في هذا الباب صفات الإثبات وأما الصفات المنفية فهي تابعة للصفات الثبوتية ومكملة لها .

تاسعًا : تنقسم الصفات السلبية إلى قسمين :

القسم الأول : سلب متصل .

القسم الثاني : سلب منفصل .

عاشرًا : تنقسم الصفات الثبوتية من جهة تعلقها باللَّه إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات الذاتية .

القسم الثاني : الصفات الفعلية .

وكل من النوعين يجتمعان في أنهما صفات اللَّه تعالى أزلًا وأبدًا ، لم يزل ولا يزال متصفًا بها ماضيًا ومستقبلًا .

الحادي عشر : تنقسم الصفات الثبوتية كذلك إلى قسمين :

القسم الأول : الصفات اللازمة وهي على نوعين :

١ ـ ذاتية .　　٢ ـ معنوية .

القسم الثاني : الصفات العارضة .

الثاني عشر : الصفات الاختيارية أعم من الفعلية ، فكل صفة فعلية فهي اختيارية وليس العكس .

الثالث عشر : تنقسم الصفات الثبوتية باعتبار أدلتها إلى قسمين :

القسم الأول : صفات شرعية عقلية ، وهي ما اشترك في إثباتها الدليل العقلي مع الدليل الشرعي .

القسم الثاني : الصفات الخبرية . وهي ما اقتصر في إثباتها الدليل الشرعي فقط .

الرابع عشر : ينكر الغلاة من المعطلة الصفات الثبوتية ومن أقر منهم بالصفات السلبية قسمها إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ صفات سلبية محضة .

٢ ـ صفات إضافية محضة .

٣ ـ صفات مركبة من سلب وإضافة .

الخامس عشر : يتفق الكلابية وقدماء الأشاعرة مع أهل السنة في طريقة تقسيمهم للصفات ، ولكن يخالفونهم في القدر المثبت .

السادس عشر : يقسم الأشاعرة المتأخرون والماتريدية الصفات إلى أربعة اقسام هي :

١ ـ صفات المعاني .

٢ ـ الصفات المعنوية .

٣ ـ الصفات السلبية .

٤ ـ الصفات النفسية .

وليس عندهم من الإثبات إلا صفات المعاني السبع وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام .

وفي الختام ، فهذا جهدي أقدمه للقراء فما كان فيه من صواب فمن فضل اللَّه عز وجل ، وما كان فيه من خطأ فمني وأستغفر اللَّه ، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆ ☆

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ أضواء البيان ـ محمد الأمين الشنقيطي ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

٢ ـ بدائع الفوائد ـ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٣ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية) ـ شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ـ مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ .

٤ ـ تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد ـ إبراهيم اللقاني ـ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٥ ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ـ فالح بن مهدي آل مهدي ـ ط : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٦ ـ التعريفات ـ علي بن محمد الجرجاني ـ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .

٧ ـ التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ـ زيد بن عبد العزيز بن فياض .

٨ ـ تهذيب التهذيب ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط ١ ، ١٣٢٥ .

٩ ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ـ عبد الرحمن بن سعدي ـ ط المشهد الحسيني ، القاهرة مصر .

١٠ ـ الجامع الصحيح ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ طبعة دار السلام ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١١ ـ درء تعارض العقل والنقل ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق د / محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١٢ ـ الرد على المنطقيين ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان .

١٣ ـ الرسالة التدمرية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد السعوي ، ط : ١ ، ١٤٠٥ هـ .

١٤ ـ رسالة العقل والروح ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ (مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية) .

١٥ ـ الروح ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق بسام العموش ، دار ابن تيمية ، ط ١ .

١٦ ـ شرح حديث النزول ـ ابن تيمية ـ تحقيق : د / محمد الخميس ، دار العاصمة ، الرياض .

١٧ ـ شرح العقيدة الأصفهانية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار الكتب الإسلامية ، مصر .

١٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٦ ، ١٤٠٠ هـ .

١٩ ـ شرح القصيدة النونية لابن القيم ـ محمد خليل هراس ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

٢٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ مسلم بن الحجاج القشيري ـ دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ .

٢١ ـ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ـ محمد أمان الجامي ـ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

٢٢ ـ الصفدية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢٣ ـ علاقة صفات الله تعالى بالذات ـ راجح الكردي ـ دار العدوي ، عمان ، الأردن .

٢٤ ـ فتح الباري ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٥ ـ الفتوى الحموية الكبرى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المكتبة السلفية ، القاهرة ، مصر ، ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ .

٢٦ ـ القواعد المثلى ـ محمد بن صالح العثيمين ـ مكتبة الكوثر .

٢٧ ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ـ عبد العزيز المحمد السلمان ـ ط ١٨ ، ١٤١٣ هـ .

٢٨ ـ لوامع الأنوار البهية ـ محمد بن أحمد الفاريني ـ مطبعة المدني .

٢٩ ـ مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، دار العربية ، بيروت ، لبنان .

٣٠ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ـ محمد بن الموصلي ـ دار الفكر .

٣١ ـ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ـ د / محمد بن خليفة التميمي ـ دار إيلاف الدولية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .

٣٢ ـ منهاج السنة ـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ،

طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٣٣ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ـ محمد الأمين الشنقيطي ـ طبعة الجامعة الإسلامية .
٣٤ ـ المواقف في علم الكلام ـ عضد الدين الإيجي ـ عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .





فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المــقدمة	٣
الفصل الأول : تعريف الصفات والعلاقة بينها وبين باب الأسماء وباب الإخبار	٧
المبحث الأول : تعريف الصفات	٩
المطلب الأول : تعريف الفات	١١
المطلب الثاني : الفرق بين الوصف والصفة	١٩
المبحث الثاني : أنواع المضافات إلى الله	٢٣
المطلب الأول : التعريف بالنوعين	٢٥
المطلب الثاني : أقوال العلماء في تقرير المسألة	٢٩
المطلب الثالث : موقف المخالفين من المسألة	٣٥
المبحث الثالث : العلاقة بين باب الصفات وباب الأسماء وباب الإخبار	٣٧
المطلب الأول : العلاقة بين الأبواب الثلاثة	٣٩
المطلب الثاني : الألفاظ المجملة وحكم دخولها في باب الصفات وموقف أهل السنة من استعمالها	٤٣

الفصل الثاني : أقسام الصفات ٥٣

المبحث الأول : أقسام الصفات عند أهل السنة والجماعة . . ٥٥

المطلب الأول : أقسام الصفات عمومًا ٥٧

المطلب الثاني : أقسام الصفات الثبوتية ٦٥

المبحث الثاني : أقسام الصفات عند المخالفين ٧٣

المطلب الأول : أقسام الصفات عند من ينكر جميع الصفات الثبوتية ٧٥

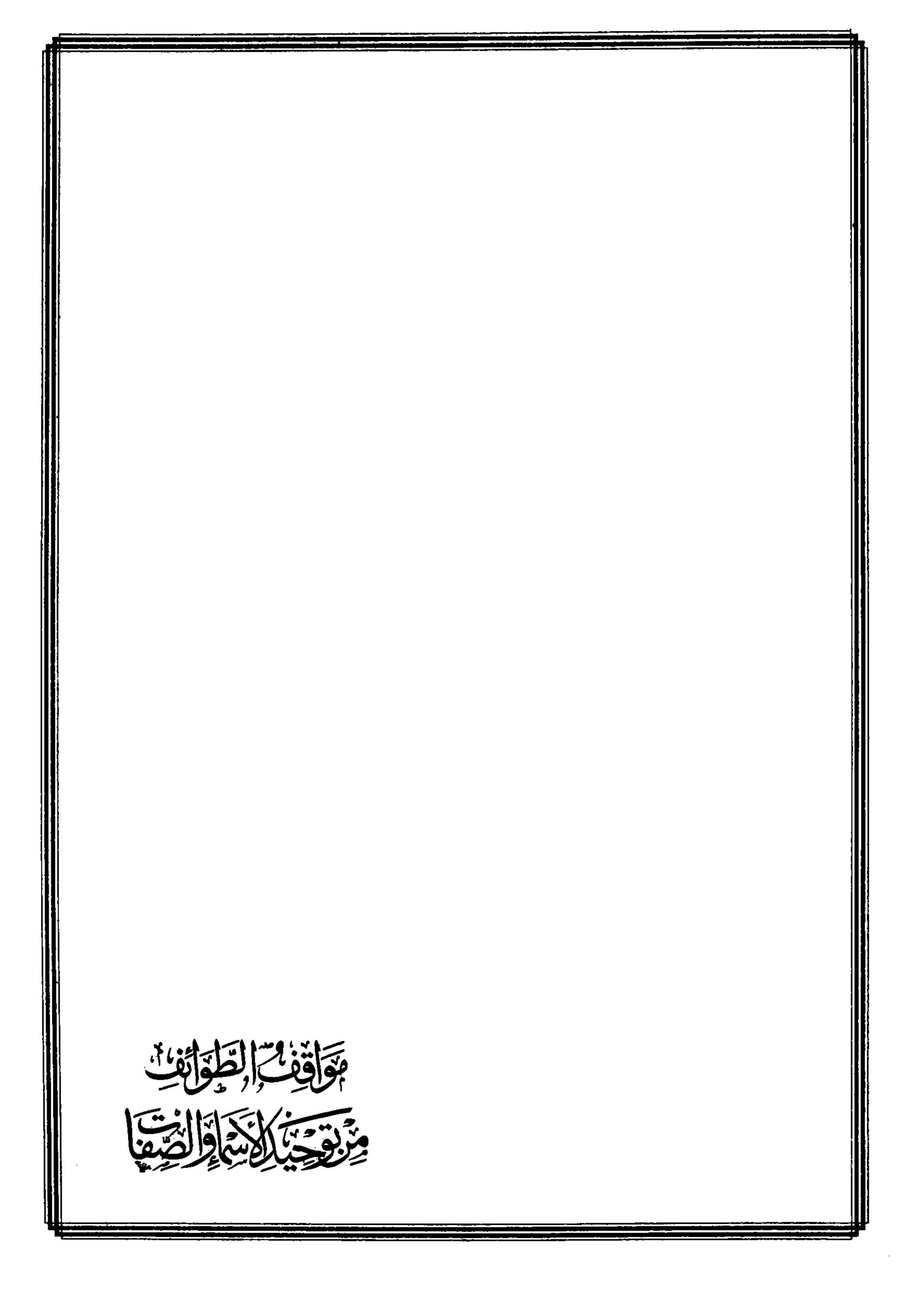
المطلب الثاني : أقسام الصفات عند من يثبت بعض الصفات وينكر بعضها . ٧٩

الخاتمة ٨٥

فهرس المصادر والمراجع ٩١

فهرس الموضوعات ٩٥

* * * *


مواقف الطوائف
من توحيد الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

مواقف الطوائف

من توحيد الأسماء والصفات

تأليف

د. محمد بن خليفة بن علي التميمي

أضواء السلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م







لصاحبها

الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص.ب ١٢١٨٩٢

الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٠٥٥٢٨٠٣٢٨


مواقف الطوائف
من توحيد الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد :

فإنه على أساس العلم الصحيح بالله وأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص ، وتنبني مطالب الرسالة جميعها ؛ فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان ، وهو أصل الدين الذي يقوم عليه ، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه ، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان وهي مهمة جدًا للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه ، وصلاح معتقده

واستقامة جوارحه ، فالمعرفة لأسماء اللَّه وصفاته وأفعاله توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر ، والتوحيد والشرك ، والإقرار والتعطيل ، وتنزيه الرب عما لا يليق به ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام .

وبهذه المعرفة تحصل زيادة الإيمان ورسوخه ، فكلما ازداد العبد علمًا باللَّه زاد إيمانه وخشيته ومحبته لربه وتعلقه به قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، كما تجلب للعبد النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة .

ولذا كان هذا العلم هو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول ، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه .

وإن من واجب طالب العلم أن يتعمق في فهم الحق في هذا الباب المبني على الكتاب والسنة ؛ فإنه بالنظر إلى كون باب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب التي حصل فيها النزاع بين علماء السلف وخصومهم الأمر الذي تسبب في حدوث نزاع في مسائل كثيرة ومتعددة ترتب عليها انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام : أهل السنة ، وأهل التعطيل ، وأهل التمثيل ، ومثل هذا الحال يوجب على طالب العلم أن يميز بين قول أهل الحق في تلك المسائل وأقوال أهل الباطل ، وأن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة مسائل هذا الباب ، وأن تكون تلك المعرفة سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع .

فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة ، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة

إيمانه ، وقوة يقينه ، وطمأنينة أحواله .

ولما كان باب الصفات هو قلب هذا الباب ومحور النزاع مع الخصوم فيه فإن من الواجب على المسلم أن يدرس مسائل هذا الباب ويتعمق في فهمها وفق ما ورد في الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضرت بأصحابها وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع .

ومن منطلق توضيح مسائل الصفات وبيان الخلاف الحاصل بين الطوائف فيها ، أحببت جمع شتات تلك المسائل وترتيبها ، ليسهل على الراغب في دراستها الاطلاع عليها بأقصر طريق وأقل مؤنة .

وقد سميت البحث « مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات » .

ورتبت عناصره في ثلاثة فصول وخاتمة تسبقها مقدمة وفق ما يأتي :

المقدمة : وفيها استهلال البحث وبيان بفصوله ومباحثه .

الفصل الأول : أهل السنة والجماعة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بأهل السنة والجماعة ، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهم .

المطلب الثاني : بيان وسطيتهم .

المبحث الثاني : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

وانتظم ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات عمومًا .

المطلب الثاني : موقفهم من باب الأسماء .

المطلب الثالث : موقفهم من باب الصفات .

الفصل الثاني : طوائف المعطلة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

واحتوى مبحثين :

المبحث الأول : الفلاسفة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

واشتمل مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بهم .

المطلب الثاني : قولهم في توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : أهل الكلام وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

وضمّ مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بهم .

المطلب الثاني : مواقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثالث : المشبهة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

واندرج تحته مبحثان :

المبحث الأول : من عرف بالتشبيه وبيان أقوالهم .

المبحث الثاني : من نسب إلى التشبيه .

الخاتمة .

وإني لا أدعي أني وصلت بهذا البحث إلى درجة الكمال ، ولكن حسبي أني اجتهدت فإن وفقت فذلك بفضل من اللّه وحده ، وإن حصل تقصير أو خطأ فهذا من طبيعة جهد البشر ، وأسأل اللّه أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله عملًا صالحًا ، ولوجهه خالصًا ، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئًا .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

الفصل الأول

أهل السنة والجماعة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بأهل السنة والجماعة .

المبحث الثاني : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الأول
التعريف بأهل السنة والجماعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهم

المطلب الثاني : بيان وسطيتهم

المطلب الأول

التعريف بهم

« المقصود بأهل السنة والجماعة : هم الصحابة ، والتابعون ، وتابعوهم ، ومن سلك سبيلهم ، وسار على نهجهم ، من أئمة الهدى ، ومن اقتدى بهم من سائر الأمة أجمعين .

فيخرج بهذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء .

فالسنة هنا في مقابل البدعة ، والجماعة هنا في مقابل الفُرقة »(١) .

فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] قال : « تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفُرقة »(٢) .

والجدير بالذكر هنا أن نعرف أن العلماء يستعملون هذه العبارة لمعنيين ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلفظ أهل السنة يراد به :

١ ـ من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة(٣) .

٢ ـ وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من يثبت

---

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٩٢ ـ ٩٤ ، وكتاب لزوم الجماعة ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٠ .

(٣) قال شيخ الإسلام : « ولا ريب أنهم (أي الرافضة) أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة ، ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة ، فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي ، فإذا قال أحدهم أنا سني فإنما معناه لست رافضي » . مجموع الفتاوى ٣ / ٣٥٦ .

الصفات للَّه تعالى ويقول : « إن القرآن غير مخلوق ، وإن اللَّه يُرَى في الآخرة ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة »[١] .

ومقصودنا بعبارة (أهل السنة) هو المعنى الثاني الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ ذلك لأن لأهل السنة أصولهم التي اتفقوا عليها ونصوا عليها في كتب الاعتقاد المعروفة .

ولأهل السنة عدة مسميات منها : أهل الحديث ، الفرقة الناجية ، الجماعة الطائفة المنصورة وغير ذلك .

ويمكن حصر قواعد منهج أهل السنة في النّقاط التالية :

أولًا : ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها .

ثانيًا : التقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث . وذلك يتم بـ :

أ ـ الاجتهاد في تمييز صحيحه من سقيمه .

ب ـ الاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفهمه[٢] .

ثالثًا : العمل بذلك والاستقامة عليه اعتقادًا ، وتفكيرًا ، وسلوكًا ، وقولًا والبعد عن كل ما يخالفه ويناقضه .

رابعًا : الدعوة إلى ذلك باللسان والبنان .

فمن التزم هذه القواعد في الاعتقاد ، والعمل ، فهو على نهج أهل

---

(١) منهاج السنة ٢ / ٢٢١ ط : جامعة الإمام محمد بن سعود .

(٢) بيان فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (ص ١٥٠ ـ ١٥٢) ، وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١ / ٩ ـ ١٠ .

السنة بإذن الله[١] .

وأهل السنة قالوا : الأصل في الدين الاتباع والعقل تبع ، فالعقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام ، وإنما المرجع في ذلك إلى القرآن والسنة .

ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء ولبطل الأمر والنهي ، ولقال من شاء ما شاء[٢] .

والتقرير بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يُفهم منه أن أهل السنة ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف والتفكير به في خلق السموات والأرض وفي الآيات الكونية الكثيرة ، فأهل السنة لا ينكرون استعمال العقل ولكنهم توسطوا في شأن العقل بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما :

أهل الكلام : الذين يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له ، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن ، فجعلوا عقولهم هي التي تثبت وتنفي والسمع معروضًا عليها ، فإن وافقها قُبِلَ اعتضادًا لا اعتمادًا ، وإن عارضها رُدَّ وطُرِح ، وهذا من أعظم أسباب الضلال التي دخلت على الأمة .

وأهل التصوف : الذين يذمون العقل ويعيبونه ، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة ، لا تحصل إلا مع عدمه ويقرون من الأمور بما يكذِّب صريح العقل .

ويمدحون السُّكْر والجنون والوَلَه ، وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا بزوال العقل والتمييز ، كما يصدقون بأمور يُعْلَمُ بالعقل الصريح بطلانها .

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص ٥٤ .

(٢) انظر الحجة في بيان المحجة ١ / ٣٢١ .

وكلا الطرفين مذموم .

وأما أهل السنة فيرون أن العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال وبها يكمل العلم والعمل ، ولكنه ليس مستقلًا بذلك . فالعقل غريزة في النفس وقوة فيها ، بمنزلة البصر التي في العين .

فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن ، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس أو النار .

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها .

وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية .

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن إدراكه ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه[1] .



(١) مجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٨ - ٣٣٩ بتصرف .

المطلب الثاني

بيان وسطيتهم

وقد توسط أهل السنة في كثير من مسائل الاعتقاد ، منها ما يلي :

١ ـ في أسماء الله وصفاته : فإن مذهب السلف هو إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، فتوسطوا بذلك بين المعطلة الذين نفوها فأبطلوا ما أثبته الله ورسوله ، والمشبهة الذين خرجوا بها إلى ضرب من التشبيه والتكييف .

٢ ـ في أفعال الله « القدر » : فإن مذهب السلف هو أنهم أثبتوا لله فعلًا ومشيئة وأثبتوا للعبد فعلًا ومشيئة داخلة تحت مشيئة الله وقدرته ، فتوسطوا بذلك بين الجبرية الذين أنكروا قدرة العبد ومشيئته ، والقدرية الذين أنكروا قدرة الله في أفعال العباد .

٣ ـ في الإيمان : فإن مذهب السلف هو أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص ، فتوسطوا بذلك بين المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان والخوارج والمعتزلة الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه .

٤ ـ في وعيد الله « أي مرتكب الكبيرة » : فإن مذهب السلف هو أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ، وهو مستحق للوعيد ولكنه تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه على قدر ذنبه ثم يخرجه من النار ، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة .

فهم بذلك توسطوا بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وبين الوعيدية (الخوارج والمعتزلة)

فالخوارج يقولون : هو كافر في الدنيا ، والمعتزلة يقولون : هو في منزلة بين المنزلتين ، ويتفقون على أنه في الآخرة خالد مخلد في النار .

٥ ـ في أصحاب رسول الله ﷺ : فإن مذهب السلف هو الاعتراف بفضل الصحابة جميعًا رضي الله عنهم وأرضاهم ، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانًا وإسلامًا وعلمًا وحكمةً ، وأنهم عدول بتعديل الله لهم ، ولكنهم لم يغلوا فيهم ولم يعتقدوا عصمتهم ، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ ، فهم بذلك توسطوا بين الرافضة والخوارج .

فالرافضة ـ قبحهم الله ـ يسبون الصحابة ويلعنونهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم ، والغالية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في علي رضي الله عنه وأولاده ويعتقدون فيهم الإلهية[١] .

والخوارج قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا عليا ومعاوية ومن معهما من الصحابة وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم .

والمقصود أن أهل السنة هم أعرف الناس بالحق ، ولذلك فإن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله ﷺ ، لا ينفردون عن طائفة أهل السنة إلا بقول فاسد ، ولا ينفردون بقول صحيح ، وكل من كان عن السنة أبعد ، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر .

فالسعيد من لزم السنة ، والله الموفق وهو الهادي إلى سبيل الرشاد .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر تفصيل هذه المسألة في كتاب وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق للدكتور / محمد باكريم .

المبحث الثاني

موقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات عمومًا .

المطلب الثاني : موقفهم من باب الأسماء .

المطلب الثالث : موقفهم من باب الصفات .

المطلب الأول

موقفهم من توحيد الأسماء والصفات عمومًا

معتقد أهل السنة في أسماء اللَّه وصفاته ، يقوم على أساس الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا ، فهم بذلك :

١ ـ يسمون اللَّه بما سمى به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه .

٢ ـ ويثبتون للَّه عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف[(١)] ، ولا تعطيل[(٢)] ، ومن غير تكييف[(٣)] ولا تمثيل[(٤)] .

٣ ـ وينفون عن اللَّه ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله محمد ﷺ ، مع اعتقاد أن اللَّه موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي .

---

(١) التحريف لغة : التغير والتبديل . والتحريف في باب الأسماء والصفات هو : تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد اللَّه بها .

(٢) التعطيل لغة : مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك ، والتعطيل في باب الأسماء والصفات هو : نفي أسماء اللَّه وصفاته أو بعضها .

(٣) التكييف لغة : جعل الشيء على هيئة معينة معلومة ، والتكييف في صفات اللَّه هو : الخوض في كنه وهيئة الصفات التي أثبتها اللَّه لنفسه .

(٤) التمثيل لغة : من المثيل وهو الند والنظير ، والتمثيل في باب الأسماء والصفات هو : الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوق .

راجع في معاني هذه الألفاظ كتاب « معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات » (ص ٧٠ ـ ٨١) .

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة ، فكل اسم أو صفة للَّه سبحانه وتعالى وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها .

وأما النفي فهو أن ينفى عن اللَّه عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي .

قال الإمام أحمد : « لا يوصف اللَّه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون اللَّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ولا تكييف ، ولا تمثيل ، إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، فهذا رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] رد على المعطلة .

وقولهم في الصفات مبني على أصلين :

أحدهما : أن اللَّه سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقًا كالسِّنَةِ والنوم ، والعجز ، والجهل ، وغير ذلك .

والثاني : أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها ، على وجه الاختصاص بما له من الصفات ، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات »[2] .

وقد ارتكز معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء اللَّه وصفاته على ثلاثة

---

(١) لمعة الاعتقاد ص ٩ .

(٢) منهاج السنة ٢ / ٥٢٣ .

أسس رئيسة ، هي[١] :

الأساس الأول : الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء اللَّه وصفاته إثباتًا ونفيًا .

الأساس الثاني : تنزيه اللَّه جلّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين .

الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف اللَّه بتلك الصفات .

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفصِّل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل (من الفلاسفة وأهل الكلام) من جهة .

وعن عقيدة أهل التمثيل (من الكرامية والهشامية وغيرهم) من جهة أخرى .

فالأساس الأول : فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة ، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن اللَّه تعالى هو كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ ، ولا يتجاوزنهما ، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته ، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه .

« وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقًا ، وأما في باب الإخبار فمن السلف من يمنع ذلك ، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه ، فإن أراد به حقًا يليق باللَّه تعالى فهو مقبول ، وإن أراد به معنى لا يليق باللَّه عز وجل وجب رده »[٢] .

ومجمل القول أن في الأمر ثلاثة أبواب :

١ ـ باب الأسماء : وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط .

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٥ .

(٢) رسالة في العقل والروح لابن تيمية ٢ / ٤٦ ـ ٤٧ (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) .

٢ ـ باب الصفات : وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط .

٣ ـ باب الإخبار : وهذا لا يشترط فيه النصّ الشرعي ، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء :

أما أهل التعطيل : فقد جعلوا « العقل » وحده هو أصل علمهم ، فالشُّبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم ، وهي التي تُثبت وتَنفي ، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية ، فإن وافقتها قُبِلَت اعتضادًا لا اعتمادًا ، وإن عارضتها رُدت تلك النصوص الشرعية وطُرِحت ، وفي هذا يقول قائلهم : « كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزًا له وجب التصديق به ... وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به ، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول . وظواهر أحاديث التشبيه ـ يعني بها أحاديث الصفات ـ أكثرها غير صحيح والصحيح منها ليس بقاطع ، بل هو قابل للتأويل »[1] .

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضًا عليها ، فما أجازته عقولهم قبلوه ، وما لم تُجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه ، ومن ثَمَّ سعوا في تأويله وتحريفه ، ومن يُلقي نظرةً على كتب الأشاعرة مثلًا يجد أن القوم يُقسِّمون أبواب العقيدة إلى إلهيات ـ ونبوات ـ وسمعيات ، وهم في باب

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ، وقال في كتابه المستصفى ٢ / ١٣٧ ـ ١٣٨ : « كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال ، إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكذيبها ، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل ، فإما أن لا يكون متواترًا فيعلم أنه غير صحيح ، وإما أن يكون متواترًا فيكون مؤولًا ولايكون متعارضًا » .

الإلهيات والنبوات لا يعتمدون نصوص الكتاب والسنة ، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية ، ويا عجبا أنأخذ ديننا من ملاحدة اليونان وتلامذتهم أم من كلام اللّه ورسوله ﷺ ؟!

وأما باب السمعيات ـ أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد ـ فهم يقبلون النصوص الشرعية ، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات في مقابل باب الإلهيات والنبوات ؛ إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات ، وهؤلاء شابهوا حال من قال اللّه تعالى فيهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

وأما **الأساس الثاني** : وهو تنزيه اللّه عن مشابهة المخلوقين ، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة ، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى .

فأهل السنة : يعتقدون أن ما اتصف اللّه به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه ، فاللّه ـ عز وجل ـ قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فإذا ورد النص بصفة من صفات اللّه تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين ، فالشر كل الشر في عدم تعظيم اللّه وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق ، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات اللّه التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ ، أن يكون معظما للّه ـ عز وجل ـ غير متنجس بأقذار التشبيه ، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه ؛ أخذًا بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] (١).

أما أهل التعطيل : فإنهم لم يفهموا من أسماء اللَّه وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة ، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل ، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه ، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى اللَّه بها على نفسه كاستوائه على عرشة ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال ، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق ، فَلِتَلَطُّخ القلب بأقذار التشبيه لم يُقَدِّر اللَّه حق قدره ولم يعظم اللَّه حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق ، فيكون أولا نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفى صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق ، فيكون فيها أولًا مشبهًا ، وثانيًا معطلًا ضالًا ابتداءً وانتهاءً متهجمًا على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق(٢) .

وأما عقيدة أهل التمثيل : فهي تقوم على دعواهم أن اللَّه عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل ، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة ، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين ، فقالوا : له يد كأيدينا ونحو ذلك ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا .

وأما العارفون به ، المصدقون لرسله ، المقرون بكماله فهم يثبتون للَّه جميع صفاته ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه

(١) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ١٩ ـ ٢٠ .

وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فمذهبهم حسنة بين سيئتين ، وهدى بين ضلالتين .

وأما الأساس الثالث : ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة ، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى اللَّه عز وجل ، فلا علم للبشر بكيفية ذات اللَّه تبارك وتعالى ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا ، فكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على اللَّه عز وجل ، واعتقاد ما لم يأذن به اللَّه ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة ، ولو كان ذلك مطلوبا من العباد في الشريعة لَبَيَّنه اللَّه تعالى ورسوله ﷺ فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بيَّنه ووضحه ، والعباد لا يعلمون عن اللَّه تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] فليؤمن العبد بما علَّمه اللَّه تعالى وليقف معه ، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه[١] .

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات اللَّه وتقولوا على اللَّه بغير علم ، حيث يقول أحدهم : له بصر كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي تعالى اللَّه عما يقولون علوا كبيرًا .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) انظر معارج القبول ١ / ٣٢٦ - ٣٢٧ .

المطلب الثاني

موقفهم من باب الأسماء

يمكن إجمال معتقد أهل السنة في أسماء اللّٰه في النقاط التالية :

أولًا : الإيمان بثبوت الأسماء الحسنى الواردة في القرآن والسنة ، من غير زيادة ولا نقصان .

فمن الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة في باب أسماء اللّٰه الحسنى أن من ضابط أسماء اللّٰه الحسنى ورود النص بذلك الاسم فلا يسمى اللّٰه إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

ولذلك يرى السلف أن من أحكام باب الأسماء ما يلي :

١ ـ إثبات ما أثبته اللّٰه لنفسه من الأسماء الحسنى الواردة في نصوص القرآن والسنة الصحيحة .

٢ ـ ألّا ننفي عن اللّٰه ما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

٣ ـ ألّا نسمي اللّٰه بما لم يسم به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ .

وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة أسماء اللّٰه تبارك وتعالى إلا من طريق واحد هو طريق الخبر (أي الكتاب والسنة) .

ومن أقوال أهل العلم في تقرير هذه المسألة ما يلي :

قال ابن القيم رحمه اللّٰه : « أسماء اللّٰه تعالى هي أحسن الأسماء وأكملها فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض ، بل هو على سبيل

التقريب والتفهيم .

فإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى ، وأبعده عن شائبة عيب أو نقص .

فله من صفة الإدراكات :

العليم الخبير دون العاقل الفقيه .

والسميع البصير دون السامع والباصر والناظر .

ومن صفات الإحسان :

البر الرحيم الودود دون الشفوق .

وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف .

وكذلك الكريم دون السخي .

وكذلك الخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المُشكِّل .

وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه فتأمل ذلك ، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات ، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره ، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون »(١) .

وقال أبو سليمان الخطابي : « ومن علم هذا الباب ـ أعني الأسماء والصفات ـ ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط ، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف ، ولا يستعمل فيها القياس فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام :

« فالجواد » لا يجوز أن يقاس عليه السخي وإن كانا متقاربين في ظاهر

(١) بدائع الفوائد ١ / ١٦٨ .

الكلام ، وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد .

و « القوي » لا يقاس عليه الجَلْدُ ، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد .

ولا يقاس على « القادر » المطيق ولا المستطيع .

وفي أسمائه « العليم » ومن صفته العلم ، فلا يجوز قياسًا عليه أن يسمى عارفًا لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء وكذلك لا يوصف بالعاقل .

وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يغفل ، فإن عائدته عظيمة والجهل به ضار وباللَّه التوفيق »[(١)] .

وقال السفاريني في منظومته :

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفية

ثم قال في شرحه : « لكنها ـ أي أسماء اللَّه ـ في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها ، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات على البارئ جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع ، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه »[(٢)] .

من خلال ما تقدم من نقول يتضح لك مدى تمسك علماء أهل السنة بالتوقيف في باب الأسماء الحسنى ، ومنعهم لاستخدام القياس اللغوي والعقلي في هذا الباب .

وهذا هو القول الحق الذي تدل عليه النصوص الشرعية ومنها ما يلي :

---

(١) شأن الدعاء ١١١ ـ ١١٣ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ١ / ١٢٤ .

أولًا : قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

فهذه الآية تدل على أن الأسماء توقيفية من وجهين :

١ - قوله ﴿ ٱلْأَسْمَاءُ ﴾ فهي هنا جاءت (بأل) وهي هنا للعهد ، فالأسماء بذلك لا تكون إلا معهودة ، ولا معروف في ذلك إلا ما نص عليه في الكتاب أو السنة[١] .

٢ - قوله ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فهذا الوصف يدل على أنه ليس في الأسماء الأخرى أحسن منها ، وأن غيرها لا يقوم مقامها ولا يؤدي معناها[٢] فلا يجوز بحال أن يدخل في أسماء اللّٰه ما ليس منها ، فهذا الوصف يؤكد كونها توقيفية .

ثانيا : قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

قال الإمام البغوي : « قال أهل المعاني الإلحاد في أسماء اللّٰه تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب اللّٰه ولا سنة رسوله ﷺ »[٣] .

وقال ابن حجر : « قال أهل التفسير : من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة »[٤] .

قال ابن حزم : « منع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد »[٥] .

---

(١) المحلى ١ / ٢٩ .

(٢) بدائع الفوائد ١ / ١٦٨ .

(٣) معالم التنزيل ٣ / ٣٠٧ .

(٤) فتح الباري ١١ / ٢٢١ .

(٥) المحلى ١ / ٢٩ .

وبهذا يتبين أن هذه الآية دليل على أن أسماء اللَّه توقيفية ، وأن مخالفة ذلك وتسميته تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها ، فالإقدام على فعل شيء من ذلك هو نوع من الإلحاد في أسماء اللَّه .

ثالثًا : قوله تعالى ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن جعله تسبيحًا للاسم يقول المعنى : أنك لا تسم به غير اللَّه ، ولا تلحد في أسمائه فهذا ما استحقه اسم اللَّه »(١) .

فإذا فسرت الآية بهذا الوجه ففيها دليل على ما سبق في الآية التي قبلها من اعتبار تسميته بما لم يسم به نفسه من أنواع الإلحاد في أسمائه .

رابعًا : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فإذا كانت هذه الآيات تحرم وتحذر من الخوض في الأمور المغيبة عند فقد الدليل الشرعي ، فإن ذلك التحريم والتحذير يدخل فيه باب أسماء الله باعتباره من الأمور المغيبة التي لا تعرف إلا من طريق النص الشرعي .

ولذلك من الواجب هنا الاقتصار على الأسماء الواردة في النصوص وترك ما سواها .

خامسًا : حديث « ما أصاب عبدًا قط هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا حزن فقال : اللهم

---

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ١٩٩ .

إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ... » الحديث[١] .

والشاهد من الحديث قوله : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » .

قال ابن القيم : « فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم »[٢] .

و « أو » في قوله : « سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك » حرف عطف والمعطوف بها أخص مما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فإن ما سمى به نفسه يتناول جميع الأنواع المذكورة بعده ، فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام ، فوجه الكلام أن يقال « سميت به نفسك فأنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك »[٣] .

ثانيًا : الإيمان بأن اللَّه هو الذي يسمي نفسه ، ولا يسميه أحد من خلقه فاللَّه عز وجل هو الذي تكلم بهذه الأسماء ، وأسماؤه منه ، وليست محدثة مخلوقة كما يزعم الجهمية ، والمعتزلة ، والكلابية ، والأشاعرة ، والماتريدية .

فمن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنهم يؤمنون بأن اللَّه الذي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٣٩١ ، ٤٥٢ ، وابن حبان ، انظر : موارد الظمآن ح ٢٤٧٢ ، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٠٩ ، والطبراني في الكبير ح ١٠٣٥٢ .

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٦ (بتصرف) .

سمى نفسه بأسمائه الحسنى وتكلم بها حقيقة ، وهي غير مخلوقة وليست من وضع البشر ، يستدلون لقولهم بما يلي :

١ ـ حديث : « ما أصاب عبدًا قط هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ... » الحديث[١] .

والشاهد من الحديث قوله : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » .

فقد دل الحديث على أن أسماء اللّٰه غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ، ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك ؛ فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم وأن اللّٰه سبحانه تكلَّم بتلك الأسماء وسمَّى بها نفسه[٢] .

٢ ـ أن أسماء اللّٰه من كلامه ، وكلامه تعالى غيرُ مخلوق ، فأسماؤه غير مخلوقة ، فهو المُسمِّى لنفسه بتلك الأسماء[٣] .

٣ ـ أن اللّٰه عز وجل يُسألُ بهذه الأسماء ، ولو كانت مخلوقة لم تجز أن يُسألَ بها . فإن اللّٰه لا يُقسَمُ عليه بشيء من خلقه[٤] ، فالسائلَ للّٰه بغير اللّٰه :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٣٩١ ، ٤٥٢ ، وابن حبان ، انظر : موارد الظمآن ح ٢٤٧٢ ، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٠٩ ، والطبراني في الكبير ح ١٠٣٥٢ .

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٧ (بتصرف) .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ١٨٦ .

(٤) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

أ ـ إما أن يكون مقسمًا عليه .

ب ـ وإما أن يكون طالبًا بذلك السبب ، كما توسَّل الثلاثة في الغار بأعمالهم .

فإن كان إقسامًا على اللَّه بغيره فهذا لا يجوز ، وإن كان سؤالًا بسبب يقتضي المطلوب ، كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعةُ اللَّه ورسوله مثل السُّؤال بالإيمان بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك فهذا جائزٌ(١) .

٤ ـ أن اليمين بهذه الأسماء منعقدةٌ ، فمن حلف باسم من أسماء اللَّه فهو حالف باللَّه ، ولو كانت الأسماء مخلوقة لما جاز الحلفُ بها ، لأن الحلف بغير اللَّه شركٌ باللَّه ، واللَّه لا يُقسَمُ عليه بشيء من خلقه(٢) .

قال الإمام الشافعي : « من حلف باسم من أسماء اللَّه فحنث فعليه الكفَّارة ؛ لأن اسم اللَّه غير مخلوق ، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا أو بالمروة فليس عليه كفَّارة لأنه مخلوق وذلك غير مخلوق »(٣) يعني أسماء اللَّه .

٥ ـ أن أسماء اللَّه مشتقةٌ من صفاته ، وصفاته قديمةٌ به ، فأسماؤه غير مخلوقة(٤) .

وروي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه لما سُئل عن قوله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٨] ، ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٩٦] قال : « هو سمَّى نفسه بذاك ، وهو لم يزل كذلك » .

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٧٤ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٧٧ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٢١١ .

(٤) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

فأثبت قدم معاني أسمائه الحسنى ، وأنه هو الذي سمَّى نفسه بها[(١)] .

والربُّ تعالى يُشتق من أوصافه وأفعاله أسماءٌ[(٢)] ، ولا يُشتق من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتقٌ من صفة من صفاته ، أو فعل قائم به ، فلو كان يُشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل لسُمِّيَ متكوِّنًا أو متحركًا ، وساكنًا وطويلًا ، وأبيض وغير ذلك ، لأنه خالقُ هذه الصفات ، فلما لم يُطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه عُلم أنما تُشْتَقُّ أسماؤه من أفعاله وأوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ، ولا يتسمَّى باسمه[(٣)] .

ثالثًا : الإيمان بأن هذه الأسماء دالة على معان في غاية الكمال ، فهي أعلام وأوصاف ، وليست كالأعلام الجامدة التي لم توضع باعتبار معانيها ، كما يزعم المعتزلة .

فمن الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء اللَّه الحسنى متضمنة للصفات ، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر ، فالعزيز متضمن لصفة العزة وهو مشتق منها ، والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها ، فأسماء اللَّه مشتقة من صفاته وليست جامدة كما يزعم المعتزلة ومن وافقهم الذين ادعوا أنها أعلام لا معاني لها فقالوا سميع بلا سمع بصير بلا بصر وعزيز بلا عزة ، فسلبوا بذلك عن أسماء اللَّه معانيها

---

(١) مجموع الفتاوى ٦ /٢٠٥ .

(٢) قال ابن القيم : « أسماء اللَّه الحسنى هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة ، بخلاف أوصافه تعالى » بدائع الفوائد ١ / ١٦٢ .

(٣) شفاء العليل ص ٢٧١ .

فالرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به .

ولمزيد من الإيضاح وإلقاء الضوء على هذه المسألة وبيان عقيدة أهل السنة أود طرح ذلك في النقاط التالية :

النقطة الأولى : أن أسماء اللَّه الحسنى لها اعتباران :

أسماء اللَّه الحسنى كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر[١] .

وذلك لأن أسماءه الحسنى لها اعتباران :

اعتبار من حيث الذات .

واعتبار من حيث الصفات .

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات .

وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني .

وهي بالاعتبار الأول : مترادفة لدلالتها على مسمى واحد هو اللَّه عز وجل فـ « الحي ، العليم ، القدير ، السميع ، البصير ، الرحمن ، الرحيم ، العزيز الحكيم » كلها أسماء لمسمى واحد وهو اللَّه سبحانه وتعالى .

قال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

فأسماء اللَّه تعالى تدل كلها على مسمى واحد ، وليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى يضاد دعاؤه باسم آخر ، بل كل اسْم يدل على ذاته .

وهي بالاعتبار الثاني : متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فمعنى

---

(١) الإيمان لابن تيمية ص ١٧٥ .

الحي غير معنى العليم غير معنى القدير وهكذا[١] .

النقطة الثانية : الوصف بها لا ينافي العلمية :

قال ابن القيم : « أسماء اللّٰه الحسنى هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ؛ بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة ، بخلاف أوصافه تعالى »[٢] .

وقال رحمه اللّٰه : « أسماء الرب تعالى وأسماء كتبه ، وأسماء نبيه ﷺ هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف ، فلا تُضادُّ فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين فهو اللّٰه الخالق البارئ المصور القاهر فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته ... »[٣] .

قال الدارمي : « لا تقاس أسماء اللّٰه بأسماء الخلق ؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم ، بل مخلوقة لصفاتهم ، وأسماء اللّٰه وصفاته ليس شيء منها مخالفًا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفًا لأسمائه .

فمن ادعى أن صفة من صفات اللّٰه مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر لأنك إذا قلت (اللّٰه) فهو (اللّٰه) وإذا قلت (الرحمن) فهو (الرحمن) وهو (اللّٰه) فإذا قلت (الرحيم) فهو كذلك ، وإذا قلت (حكيم ـ عليم ـ حميد ـ مجيد ـ جبار ـ متكبر ـ قاهر ـ قادر) فهو كذلك هو (اللّٰه) سواء ، لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسمًا .

وقد يسمى الرجل حكيمًا وهو جاهل ، وحَكَمًا وهو ظالم ، وعزيزًا وهو

---

(١) بدائع الفوائد ١ / ١٦٢ ، جلاء الأفهام ص ١٣٨ ، القواعد المثلى ص ٨ .

(٢) بدائع الفوائد ١ / ١٦٢ .

(٣) جلاء الأفهام ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

حقير ، وكريمًا وهو لئيم ، وصالحاً وهو طالح ، وسعيدًا وهو شقي ، ومحمودًا وهو مذموم ، وحبيبًا وهو بغيض ، وأسدًا وحمارًا ، وكلبًا وجديًا ، وكليبًا وهرًا وحنظلة ، وعلقمة وليس كذلك .

والله تعالى تقدس اسمه كل أسمائه سواء ، ولم يزل كذلك ولا يزال . لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك ، كان خالقًا قبل المخلوقين ، ورازقًا قبل المرزوقين ، وعالمًا قبل المعلومين ، وسميعًا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة »(١) .

رابعًا : احترام معاني تلك الأسماء ، وحفظ ما لها من حرمة في هذا الجانب وعدم التعرض لتلك المعاني بالتحريف والتعطيل كما هو شأن أهل الكلام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومذهب السلف أنه يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل . ونعلم أن ما وُصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف ، والدلالة والإرشاد »(٢) .

فمن المعلوم أن نصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع ، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع .

فمن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان :

---

(١) الرد على المريسي ص ٣٦٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥ / ٢٦ .

النوع الأول : نوع جاء به الكتاب والسنة .

فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته اللّه ورسوله وينفي ما نفاه اللّه ورسوله .

فاللفظ الذي أثبته اللّه أو نفاه حق ، فإن اللّه يقول الحق هو يهدي السبيل .

والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه بالمعاني .

فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر . ونطيعه في كل ما أوجب وما أمر .

ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان . وقد قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

النوع الثاني : الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها .

فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده .

فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به .

وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره(١) .

خامسًا : الإيمان بما تقتضيه تلك الأسماء من الآثار وما ترتب عليها من الأحكام(٢) .

قال ابن القيم رحمه اللّه : « وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة . فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال . وكل صفة لها مقتض وفعل : إما لازم .

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) انظر تفاصيل هذه المسألة في كتاب « معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء اللّه الحسنى » .

وإما متعد . ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه . وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه . كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها .

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافه ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعولاته عن أفعاله وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

وإذا كانت أوصافه صفات كمال ، وأفعاله حكمًا ومصالح ، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه ؛ ولهذا ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه ، وثوابه وعقابه ، وأنه بذلك نسبه إلى ما لا يليق به وإلى ما يتنزه عنه وأن ذلك حكم سيء ممن حكم به عليه ، وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب ﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المخلوقين ، كالأبرار والفجار والمؤمنين والكفار ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] ، فأخبر أن هذا حكم سيء لا يليق به تأباه أسماؤه وصفاته .

وقال سبحانه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ - ١١٦] عن هذا الظن والحسبان ، الذي تأباه أسماؤه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثيرة ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته إذ ذلك تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها .

فاسمه « الحميد ، المجيد » يمنع ترك الإنسان سُدى مهملًا معطلًا ، لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه « الحكيم » يأبى ذلك .

وكذلك اسمه « الملك » واسمه « الحي » يمنع أن يكون معطلًا من الفعل ؛ بل حقيقة « الحياة » الفعل . فكل حي فعال . وكونه سبحانه « خالقًا قيومًا » من موجبات حياته ومقتضياتها .

واسمه « السميع البصير » يوجب مسموعًا ومرئيًا .

واسمه « الخالق » يقتضي مخلوقًا . وكذلك « الرزّاق » .

واسمه « الملك » يقتضي مملكة وتصرفًا وتدبيرًا ، وإعطاءً ومنعًا ، وإحسانًا وعدلًا ، وثوابًا وعقابًا .

واسمه « البر ، المحسن ، المعطي ، المنان » ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها إذا عرف هذا . فمن أسمائه سبحانه « الغفار ، التواب ، العفو » فلابد لهذه الأسماء من متعلقات . ولابد من جناية تغتفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها .

ولابد لاسمه « الحكيم » من متعلق يظهر فيه حكمه . إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كاقتضاء اسم « الخالق ، الرازق ، المعطي ، المانع » للمخلوق والمرزوق والمعطَى والممنوع . هذه الأسماء كلها حسنى .

والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه . فهو عفو يحب العفو ، ويحب المغفرة ، ويحب التوبة ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال .

وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله ، ويحلم عنه ، ويتوب عليه ويسامحه ، من موجب أسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك .

وما يَحمدُ به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما .

ومن آثارهما : مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات : مع كمال القدرة على استيفاء الحق . والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها . فحلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٨] ، أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك . لست كمن يغفر عجزًا ويسامح جهلًا بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك . قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم ، وفي الأمر ، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها : هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال .

وغاياتها أيضًا : مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته فله في كل ما قضاه وقدّره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له ، وذكرهم له ، وشكرهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى . إذ كل اسم له تعبد مختص به ، علمًا ومعرفة وحالًا .

وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر . فلاتحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه « القدير » عن التعبد باسمه « الحليم الرحيم » . أو يحجبه عبودية اسمه « المعطي » عن عبودية اسمه « المانع » أو عبودية اسمه « الرحيم العفو الغفور » عن اسمه « المنتقم » أو التعبد بأسماء « التودد ، والبر ، واللطف ، والإحسان » عن أسماء « العدل ، والجبروت ، والعظمة ، والكبرياء » ونحو ذلك .

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى اللَّه ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعاء التعبد . وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها . ويأخذوا بحظهم من عبوديتها .

وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته .

فهو « عليم » يحب كل عليم ، « جواد » يحب كل جود ، « وِتْرٌ » يحب الوتر ، « جميل » يحب الجمال ، « عفو » يحب العفو وأهله ، « حيي » يحب الحياء وأهله ، « برٌّ » يحب الأبرار ، « شكور » يحب الشاكرين ، « صبور » يحب الصابرين ، « حليم » يحب أهل الحلم .

فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح : خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه . وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له . ليترتب عليه المحبوب له والمرضى له ... »(١) .

☆ ☆ ☆ ☆

(١) مدارج السالكين ١ / ٤١٧ .

المطلب الثالث

موقفهم من باب الصفات

يمكن إجمال معتقد أهل السنة في صفات اللّٰه في النقاط التالية :

١ ـ إثبات تلك الصفات للّٰه عز وجل حقيقةً على الوجه اللائق به ، وأن لا تعامل بالنفي والإنكار .

٢ ـ أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها اللّٰه به ، بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة ، فلا يعطل الصفة ، ولا يغير اسمها ويعيرها اسمًا آخر .

٣ ـ عدم تشبيهها أو تمثيلها بما للمخلوق . فإن اللّٰه سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

٤ ـ اليأس من إدراك كنهها وكيفيتها .

٥ ـ الإيمان بما تقتضيه تلك الصفات من الآثار وما يترتب عليها من الأحكام .

أما بالنسبة للنقطة الأولى : وهي إثبات الصفات للّٰه عز وجل حقيقةً على الوجه اللائق به ، وأن لا تعامل بالنفي والإنكار . فتفصيلها أن يقال :

صفات اللّٰه تعالى كلها صفات كمال ، قال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

وقال تعالى ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] .

قال ابن كثير : « ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي الكمال المطلق من كل وجه »(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٣ ، ط : دار المعرفة .

وقال القرطبي : « ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي الوصف الأعلى »[١] .

فالله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أن له الوصف الأعلى والكمال المطلق من كل وجه ، فيجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل ما أخبر به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الصفات هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، لأن الله تعالى هو الذي أخبر بها عن نفسه ووصف بها نفسه ، وهو سبحانه المستحق للكمال من جميع الوجوه ، كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة وغيرها .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « وصف سبحانه نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] ، فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم ، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده ، ولهذا كان له المثل الأعلى وهو أفعل التفضيل ، أي أعلى من غيره ... والمثل الأعلى : هو الكمال المطلق ، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية ، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره ، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا ، كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من كل ما سواه ، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان

---

(١) تفسير القرطبي ١٠ / ١١٩ ، وقد ذكر القرطبي فائدة جليلة هي : « فإن قيل كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ فالجواب أن قوله ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ أي الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص ؛ أي فلا تضربوا له مثلًا يقتضي نقصًا وتشبيهًا بالخلق ، والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير » .

لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر ، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده ، ويستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى ، مثل أو نظير ، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه ، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة ... فهذه الآية من أعظم الادلة على ثبوت صفات كماله سبحانه »(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « يجب أن يعلم أن الكمال ثابت للَّه ، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية ، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى ، يستحقه بنفسه المقدسة ، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه ، فثبوت الحياة مستلزم نفي الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل ، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز ، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية ، مع دلالة السمع على ذلك(٢) .

وثبوت « معنى الكمال » قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة ، دالة على مغاني متضمنة لهذا المعنى ، فما في القرآن من إثبات الحمد للَّه ، وتفصيل

---

(١) الصواعق المنزلة ٣ / ١٠٣١ ، ١٠٣٢ « بتصرف » .

(٢) دلالة القرآن على الأمور « نوعان » :

أحدهما : خبر اللَّه الصادق ، فما أخبر اللَّه ورسوله به فهو حق كما أخبر اللَّه به .

الثاني : دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية ، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها ، وأرشد إليها . وعقل لأنها تعلم صحتها بالعقل ، ولا يقال : إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر .

وإذا أخبر الله بالشيء ، ودل عليه بالدلالات العقلية : صار مدلولًا عليه بخبره ، ومدلولًا عليه بدليله العقلي الذي يعلم به ، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل ، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى « الدلالة الشرعية » . مجموع الفتاوى ٦ / ٧١ ، ٧٢ .

محامده ، وأن له المثل الأعلى ، وإثبات معاني أسمائه ، ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى .

وقد ثبت لفظ « الكمال » فيما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص : ١ - ٢] ، أن الصمد المستحق للكمال ، وهو السيد الذي كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحكم الذي قد كمل في حكمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الشريف الذي قد كمل أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذه صفة لا تنبغي إلا له ، ليس له كُفُوًا ولا كمثله شيء ، وهكذا سائر صفات الكمال .

ولم يعلم أحد من الأمة نازع في هذا المعنى ، بل هذا المعنى مستقر في فطر الناس ، بل هم مفطورون عليه ، فإنهم كما أنهم مفطورون على الإقرار بالخالق ، فإنهم مفطورون على أنه أجل وأكبر ، وأعلى وأعظم وأكمل من كل شيء فالإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًا ضروريًا في حق من سلمت فطرته ، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها »(١) .

ولقد وصف الله نفسه بصفات كثيرة في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه محمد ﷺ منها على سبيل المثال صفة الحياة أو العلم والسمع والبصر والرحمة والحكمة والعزة والعظمة والعلو والاستواء والقدرة والنزول والضحك

(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٧١ - ٧٣ « بتصرف » .

والغضب واليدين والوجه وغير ذلك ، وهذه الصفات التي أثبتها لنفسه كلها صفات كمال في حقه نثبتها للَّه حقيقة مع الاعتقاد الجازم بأنه ليس كمثله شيء في هذه الصفات .

وكما أثبت اللَّه لنفسه صفات الكمال فقد نزه نفسه عن صفات النقص كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصمم ونحوها كما في قوله تعالى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقوله عن موسى ﴿ فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] وقوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٤٤] وقوله ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠] وقال النبي ﷺ في الدجال « إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور »[١] ، وقال « أيها الناس اربعوا[٢] على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا »[٣] .

فالصفة إذا كانت صفة نقص لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق اللَّه تعالى ولقد عاقب اللَّه تعالى الواصفين له بالنقص وذمهم كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٢] وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ

---

(١) متفق عليه : البخاري ١٣ / ٩٠ ، ومسلم ١٨ / ٥٩ .

(٢) اربعوا : أي ارفقوا (النهاية ٢ / ١٨٧) .

(٣) أخرجه البخاري ١٣ / ٣٧٢ ح ٧٣٨٦ .

عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَىٰ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات : ١٨٠] وقال تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

ولقد أظهر الله بطلان ألوهية الأصنام بأنها متصفة بالنقص والعجز فقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] ، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢١] ، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٤٢] ، وعلى قومه ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٦] .

وبهذه الأدلة وغيرها يُعلم أن الواجب على المسلم أن يثبت لله ما وصف به نفسه في كتابه أو سنة نبيه محمد ﷺ حقيقة وأن تلك الصفات هي صفات كمال اختص بها سبحانه وتعالى لا يماثله ولايشابهه فيها أحد .

كما يعلم ضلال من أنكر تلك الصفات أو بعضها بدعوى تنزيه الله تعالى عن النقص ، فلقد نزه الله سبحانه نفسه عن النقص في مواطن متعددة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فلو كان ما نفوه من الصفات هي صفات نقص في حقه لنزه الله نفسه عنها ولم يثبتها لنفسه وكذلك لو كانت صفات نقص لما عاب على الأصنام عدم اتصافها بها .

النقطة الثانية : « وهي أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة ، فلا يعطل الصفة ، ولا يغير اسمها

ويعيرها اسمًا آخر . كما يفعل المعطلة الذين لم يريدوا تنزيه اللّٰه ووصفه بالكمال وإنما أرادوا أن يحولوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، ولذلك سموا إثبات صفاته وعلوه فوق خلقه ، واستواءه على عرشه : تشبيهًا وتجسيمًا وحشوًا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله إلى سماء الدنيا وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه ، وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لأصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لأفعالهم ونحو ذلك : حوادث . وسموا وجهه الأعلى ويديه المبسوطتين ، وأصابعه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة : جوارح وأعضاء . مكرًا منهم كُبّارًا بالناس . كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائعة . أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الأسماء فعل الماكر المخادع فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والفعل .

ولقد راج مكر هؤلاء المعطلة على أصحاب القلوب المظلمة الجاهلة بحقائق الإيمان وما جاء به الرسول ﷺ ، فترتب على ذلك إعراضهم عن اللّٰه وعن ذكره ومحبته ، والثناء عليه أوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواه .

ومعلوم أنه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه فالإيمان بالصفات وتعرفها : هو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان ، وثمرة شجرة الإحسان . فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل اللّٰه سبحانه منكر صفاته سَيِّءَ الظن به . وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل

الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٢] فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به وأنه هو الذي أهلكهم وقد قال في الظانين به ظن السوء ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٦] ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه ، وجَحْدُ صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به »(١) .

« وطائفة المعطلة قد أساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه :

أما إساءة الظن بالرب : فإنها عطلت صفات كماله ، ونسبته إلى أنه أنزل كتابًا مشتملًا على ما ظاهره كفر وباطل ، وأن ظاهره حقائقه غير مراده .

وأما إساءة الظن بالرسول : فلأنه تكلم بذلك وقرره وأكده ، ولم يبين للأمة أن الحق في خلافه وتأويله .

وأما إساءة ظنها بأتباعه فنسبتهم لهم إلى التشبيه والتمثيل ، والجهل والحشو »(٢) .

وطائفة المعطلة لما فهمت من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرّت إلى إنكار حقائقها ، وابتغاء تحريفها ، وسمته تأويلًا فشبهت أولًا وعطلت ثانيًا وأساءت الظن بربها وبكتابه ونبيه وأتباعه .

فانظر إلى ما أدى إليه سوء فهم المعطلة لنصوص الأسماء والصفات .

(١) مدارج السالكين ٣ / ٣٤٧ ـ ٣٥٠ « بتصرف » .

(٢) مدارج السالكين ٣ / ٣٦٠ .

ولم يكن المشبهة بأحسن حالًا من المعطلة فهم كذلك أدى بهم سوء فهمهم لنصوص الصفات إلى تشبيه الخالق سبحانه وتعالى بخلقه فقد فهموا منها مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك ، وقالوا محال أن يخاطبنا اللّه سبحانه بما لا نعقله[١] . وهم بذلك عطلوا اللّه تبارك وتعالى عن كماله الواجب له حيث مثلوه وشبهوه بالمخلوق الناقص ، وعطلوا كل نص يدل على نفي مماثلة اللّه لخلقه .

وقد هدى اللّه أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى فأثبتوا للّه حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين .

فقالوا : نصف اللّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ، ونفي مشابهة المخلوقات ، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل ولا نقول ليس له يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ، ولا استوى على عرشه .

ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم وسمع وبصر ، وحياة وقدرة واستواء ، كأسماعهم وأبصارهم وحياتهم وقدرتهم واستوائهم .

بل نقول : له ذات حقيقة ليست كذوات المخلوقين وله صفات ـ حقيقة لا مجازًا ـ ليست كصفات المخلوقين ، وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ، ويديه ، وسمعه وبصره ، وكلامه ، واستوائه .

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها كما لم يمنع ذلك

(١) الصواعق المرسلة ٢ / ٤٢٥ .

من أثبت للَّه شيئًا من صفات الكمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها ، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة ، وفهم معناهما فهكذا سائر الصفات المقدسة ، يجب أن تجري هذا المجرى وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها فإن اللَّه سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلا . بل كثير من مخلوقاته بل أكثرها لم يجعل لهم سبيلًا إلى معرفة كنهه وكيفيته وهذه أرواحهم التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها . وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار ، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه فلا شك أن المسلمين يؤمنون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل وأنهارًا من لبن ، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب ، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها ، واللبن ما خرج من الضروع ، والحرير إلا ما خرج من فم دود القز ، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلًا لما في الدنيا . قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : « ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء »[(١)] ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به في ذلك ؛ فهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ومثلها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبته سبحانه لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١ / ١٧٤ . وأبو نعيم في صفة الجنة ١ / ١٦٠ رقم ١٤ - ١٢٥ . وأورده ابن كثير في تفسيره ١ / ٩١ . والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٩٦ .

أحدها : قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل : ٦٠] .

الثاني : قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم : ٢٧] .

الثالث : قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

فنفى سبحانه المماثلة عن هذا المثل الأعلى وهو ما في قلوب أهل سمواته وأرضه من معرفته والإقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته وذاته . فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن به المؤمنون وأنس به العارفون وقامت شواهده في قلوبهم بالتعريفات الفطرية ، المكملة بالكتب الإلهية ، المقبولة بالبراهين العقلية . فاتفق على الشهادة بثبوته العقل والسمع والفطرة ، فإذا قال المثبت : « يا اللَّه » قام بقلبه ربًا قيومًا قائمًا بنفسه مستويًا على عرشه مكلمًا متكلمًا ، سامعًا رائيًا قديرًا سديدا ، فعالًا لما يشاء يسمع دعاء الداعين ، ويقضي حوائج السائلين ويفرج عن المكروبين ، ترضيه الطاعات وتغضبه المعاصي ، تعرج الملائكة بالأمر إليه وتنزل بالأمر من عنده »[١] .

النقطة الثالثة : وهي عدم تشبيهها أو تمثيلها بما للمخلوق . فإن اللَّه سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

فأما التمثيل : فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات اللَّه تعالى مماثل لصفات المخلوقين .

وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

---

(١) الصواعق المنزلة ٢ / ٤٢٥ ، ٤٣٠ « بتصرف » .

أما السمع : فمنه قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] وقوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] وقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل : ٧٤] وقوله ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل : ٦٠] .

أما العقل : فمن وجوه :

الأول : أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلًا غير قوة الذرة ، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى[1] .

الثاني : أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى ما يكمله ، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا[2] .

الثالث : أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتفاق في الاسم ، فهذه يد وهذه يد ، وهذه قوة وهذه قوة وبينهما تباين في الكيفية والوصف فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لايلزم منه الاتفاق في الحقيقة .

(١) القواعد المثلى ص ٢٦ .

(٢) المصدر السابق .

والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل : التسوية في كل الصفات .
والتشبيه : التسوية في أكثر الصفات لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ﴾ [الشورى : ١١] .

وفي هذا الباب يقول ابن القيم رحمه اللّه تعالى : « الثالث : عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن اللّه سبحانه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به ، المصدقون لرسله ، المقرون بكماله : يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فمذهبهم حسنة بين سيئتين ، وهدى بين ضلالتين ، فصراطهم صراط المنعم عليهم ، وصراط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضالين . قال الإمام أحمد : « لانزيل عن اللّه صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين »[(١)] وقال : « التشبيه : أن تقول يد كيدي »[(٢)] تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا »[(٣)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق ، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق .
فإن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق ، أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله ، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجوه »[(٤)] .

---

(١) إبطال التأويلات ١ / ٤٤ رقم ٦ .
(٢) إبطال التأويلات ١ / ٤٤ رقم ٦ .
(٣) مدارج السالكين ٣ / ٣٥٩ .
(٤) كتاب الصفدية ١ / ١٠٠ .

وقال أيضًا : « وأما لفظ المشبهة ، فلا ريب أن أهل السنة والجماعة والحديث من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق ، وعلى ذم المشبهة الذين يشبِّهون صفاته بصفات خلقه ، ومتفقون على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله »(١) .

النقطة الرابعة : وهي اليأس من إدراك كنهها وكيفيتها .

التكييف : هو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل . وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

أما السمع : فمنه قوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] وقوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبر عن كيفيتها فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم وقولًا بما لم يمكننا الإحاطة به .

وأما العقل : فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له ، أو بالخبر الصادق عنه ، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها .

وأيضًا فإننا نقول : أيّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى ؟

إن أيّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك .

وأيّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبًا فيها لأنه لا علم لك بذلك .

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢ / ٥٢٣ .

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان أو تقريرًا باللسان أو تحريرًا بالبنان .

ولقد سار السلف جميعهم على منع التكييف في صفات اللّه تعالى ، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه اللّه تعالى عن قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] كيف استوى ؟ أطرق رحمه اللّه برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة »(١) . وروى عن شيخه ربيعة أيضًا : « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول »(٢) . وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان . وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي ، فوجب الكف عنه .

فالحذر الحذر من التكييف ومحاولته فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها ، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك ، قال اللّه تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] »(٣) .

وقال ابن القيم : « والعقل قد يئس عن تعرف كنه الصفة وكيفيتها ، فإنه لا يعلم كيف اللّه إلا اللّه ، وهذا معنى قول السلف « بلا كيف » أي بلا كيف يعقله

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٣٩٨ . وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ٢٨ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٣٩٨ . والبيهقي في الأسماء والصفات ٢ / ١٥١ . والعجلي في تاريخ الثقات ص ١٥٨ رقم ٤٣١ . وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص ١٦٤ . وأورده الذهبي في العلو ص ١٩٨ .

(٣) القواعد المثلى ص ٢٥ - ٢٨ .

البشر ، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته ، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته ؟

ولا يقدح ذلك في الإيمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، وكما أنا لا نعرف معاني ما أخبر اللّٰه به من حقائق ما في اليوم الآخر ، ولا نعرف حقيقة كيفيته ، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق . فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم .

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله ، والجمال كله ، والعلم كله ، والقدرة كلها ، والعظمة كلها والكبرياء كله ، من لو كُشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وما وراء ذلك . الذي يقبض سمواته بيده ، فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، ونسبة علوم الخلائق كلها إلى علمه أقل من نسبة نَقْرَة عصفور من بحار العلم الذي لو أن البحر ـ يمده من بعده سبعة أبحر ـ مداد ، وأشجار الأرض ـ من حيث خلقت إلى يوم القيامة ـ أقلام : لفني المداد وفنيت الأقلام ، ولم تنفد كلماته . الذي لو أن الخلق من أول الدنيا إلى آخرها ـ إنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم ـ جعلوا صفًا واحدًا : ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على إصبع من أصابعه ، والأرض على إصبع والجبال على إصبع ، والأشجار على إصبع ، ثم يَهزُّهُنَّ ، ثم يقول : أنا الملك .

فقاتل اللّٰه الجهمية والمعطلة أين التشبيه ههنا ؟ وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل ههنا كل موجود سواه ، فضلًا ممن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه . فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته ، وولاها ما تولت من وقوفها مع الألفاظ التي لا حرمة لها ، والمعاني التي لا حقائق لها »[1] .

(١) مدارج السالكين ٣ / ٣٦٠ .

النقطة الخامسة : وهي الإيمان بما تقتضيه تلك الصفات من الآثار وما يترتب عليها من الأحكام .

أي الإيمان بما تضمنته من المعاني وبما ترتب عليها من مقتضيات وأحكام . فهذا ما جاء الأمر به والحثُّ عليه في القرآن والسنة .

فمن القرآن قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] والشاهد من الآية قوله ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ .

ووجه الاستشهاد أنَّ اللّه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها فإن الدعاء بها يتناول :

دعاء المسألة : كقولك : ربي ارزقني .

ودعاء الثناء : كقولك سبحان اللّه .

ودعاء التعبد : كالركوع والسجود[(١)] .

ومن السنة قوله ﷺ : « إن للّه تسعة وتسعين اسمًا ، مائه إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة » متفق عليه[(٢)] .

الشاهد من الحديث : قوله ﷺ : « من أحصاها » .

ووجه الاستشهاد : أن معنى من أحصاها : أي حفظها ألفاظًا ، وفهم معانيها ومدلولاتها ، وعمل بمقتضياتها وأحكامها .

فالعلم بأسماء اللّه وصفاته واعتقاد تسمي اللّه واتصافه بها هو من العبادة وإدراك القلب لمعانيها ، وما تضمنته من الأحكام والمقتضيات ، واستشعاره

(١) مدارج السالكين ١ / ٤٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . انظر : فتح الباري ١٣ / ٣٧٧ ، ح ٧٣٩٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ٨ / ٦٣ .

وتجاوبه لذلك بالقدر الذي يؤدي إلى سلامة تفكيره واستقامة سلوكه ، هو عبادة أيضًا .

فأهل السنة يؤمنون بما دلَّت عليه أسماء اللَّه وصفاته من المعاني ، وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام ، بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك وعطَّلوه .

ويجب تحقيق المقتضى والأثر لتلك الصِّفات ، فلكُلِّ صفة عبوديةٌ خاصةٌ هي من موجباتها ومقتضياتها ـ أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ـ فعلم العبد بتفرُّد الرَّبّ بالخلق والرّزق والإحياء والإماتة ، يُثمر له عبودية « التوكل » .

وعلم العبد بجلال اللَّه وعظمته وعزِّه ، يُثمرُ له الخضوع والاستكانة والمحبة .

فالسَّلف يؤمنون بأسماء اللَّه وصفاته ، وبما دلَّت عليه من المعاني والأحكام ، أما كيفيَّتها فيفوِّضون علمها إلى اللَّه .

وهم برآء مما اتَّهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون بألفاظ نصوص الأسماء والصِّفات ، ويُفوِّضون معانيها .

وهذا الزعم جهلٌ على السَّلف ، فإنهم كانوا أعظم النَّاس فهمًا وتدبُّرًا لآيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ ، خاصة بما يتعلق بمعرفة اللَّه تعالى ، فكانوا يدرون معاني ما يقرءون ويحملون من العلم ، ولكنَّهم لم يكونوا يتكلَّفون الفهم للغيب المحجوب ، فلم يكونوا يخوضون في كيفيَّات الصِّفات شأن أهل الكلام والبدع ، فإنهم حين خاضوا في ذات اللَّه وصفاته وقعوا في التأويل والتَّعطيل ، وإنما ألجأهم إلى ذلك الضيقُ الذي دخل عليهم بسبب التَّشبيه فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل ، ولم يقع تعطيلٌ إلا بتشبيه ، ولو أنهم نزَّهوا اللَّه تعالى ابتداءً عن مشابهة الخلق ، وأثبتوا الصِّفة مع نفي المماثلة لسَلموا ونجوا ، ولوافقوا اعتقاد السلف ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة

أسفار لا يدرون ما فيها .

ومن تدبَّر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب عَلِمَ أنهم كانوا أدقَّ النَّاس نظرًا وأنهم أعلم النَّاس في هذا الباب ، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة ، ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب ، مخالفين للكتاب ، وقد قال تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِي ٱلْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

ومن له اطلاع على أقوال السَّلف المدوَّنة في كتب العقيدة والتفسير والحديث عند الحديث عن نصوص الصفات يعلم أن السلف تكلموا في معاني الصِّفات وبيَّنوها ولم يسكتوا عنها ، وهذه الأقوال هي أكبر شاهدٍ على فهم السَّلف لمعاني الصِّفات وإيمانهم بها والله أعلم[1] .



(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص ١٠٣ - ١٠٤ .



الفصل الثاني

طوائف المعطلة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الفلاسفة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثاني : أهل الكلام وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات .



المبحث الأول

الفلاسفة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهم .

المطلب الثاني : مواقفهم من توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الأول

التعريف بهم

« الفلاسفة ، اسم جنس لمن يُحِبُ الحكمة ويُؤْثِرُها .

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصًا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه .

وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو ، وهم المَشَّاؤُون خاصة وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها . وهي التي يعرفها بل لايعرفُ سواها ، المتأخرون من المتكلمين »[(١)] .

والذي ينبغي معرفته أن الفلاسفة لا يؤمنون بوجود اللّٰه حقيقة ، ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة ، وينكرون كل غيب ، فالمبادئ الفلسفية جميعها تقوم على أصلين هما :

الأصل الأول : أن الأصل في العلوم هو عقل الإنسان ، فهو عندهم مصدر العلم .

الأصل الثاني : أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط .

فتحت الأصل الأول أبطلوا الوحي ، وتحت الأصل الثاني أبطلوا الأمور الغيبية بما فيها الإيمان باللّٰه واليوم الآخر .

وقد تسلط الفلاسفة على المسائل الاعتقادية وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة ولا وجود لها في الخارج ، فلا اللّٰه موجود حقيقة ، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق ، ولا ملائكة ، ولا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا نشور .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٥٧) .

فإيمانهم بالله تبارك وتعالى لا يكاد يتعدى الإيمان بوجوده المطلق ، - أي بوجوده في الذهن والخيال دون الحقيقة - ، وأما ما عدا ذلك فلا يكادون يتفقون على شيء ، فالمباحث العقدية عندهم من أسخف وأفسد ما قالوا به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أما الإلهيات فكلياتهم فيها أفسد من كليات الطبيعة ، وغالب كلامهم فيها ظنون كاذبة فضلًا عن أن تكون قضايا صادقة »(١) .

ويتجلى فساد معتقد الفلاسفة في الله أكثر عندما نعرض لك بعض أقوالهم في ذات الله وصفاته .

فالفلاسفة يطلقون على الله مسمى (واجب الوجود) ، وتوحيد واجب الوجود عندهم يكفي مجرد تصوره للعلم الضروري بفساده .

فالتوحيد عندهم يقتضي تجريده من كل صفات الكمال اللازمة له ، فهو ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام ، ولا غير ذلك من الصفات ويقولون بدلًا من ذلك : « إنه عاقل ومعقول وعقل ، ولذيذ وملتذ ولذة وعالم ومعلوم وعلم » ، وجعلوا كل ذلك أمورًا عدمية .

ودفعهم إلى ذلك زعمهم أن تعدد الصفات موجب للتركيب في حق الله وفساد هذا القول جلي واضح ، فالله وصف نفسه بالصفات ، ووصفه بها رسوله ﷺ وثبت ذلك في الكتاب والسنة نقلًا .

كما أن العقل يشهد بفساد قولهم ، فإن تعدد الصفات لم تقل لغة ولا شرع ولا عقل سليم إنه يوجب تركيب الموصوف إلا عند الفلاسفة(٢) .

---

(١) الرد على المنطقيين (ص ١١٤) .

(٢) الرد على المنطقيين ص ٣١٤ .

ومن شنيع كلامهم كذلك زعمهم أن اللّٰه لا يعلم الجزئيات ، فهو عندهم لا يعرف عين موسى ، ولا عيسى ، ولا محمد عليهم الصلاة والسلام ، فضلًا عن الوقائع التي قصها القرآن وغيرها من أمور المخلوقات . وفساد هذا القول واضح جلي في النقل والعقل .

أما النقل فاللّٰه يقول ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] وكذا العقل أيضًا شاهد بفساد هذا المعتقد فكيف يجهل اللّٰه أمورًا سيرها بأمره وأجراها بقدره وأخبر عنها في كتابه .

ومن شنيع قولهم ما قالوه في قدرة اللّٰه من أنه فاعل بالطبع لا بالاختيار لأن الفاعل بالطبع يتحد فعله ، والفاعل بالاختيار يتنوع فعله ، وما دروا أنهم بهذا جعلوا الإنسان الفاعل بالاختيار أكمل من اللّٰه الفاعل بالطبع على حد زعمهم . وهذا القول مردود بقول اللّٰه ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] ، ومردود بالعقل لأن اللّٰه هو أكمل الفاعلين فكيف يُشَبه فعله بفعل الجماد .

فهذا ما عند هؤلاء من خبر الإيمان باللّٰه عز وجل .

« وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة ، ولا يؤمنون بهم . وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبيُّ بزعمهم في نفسه من أشكال نُورانِية ، هي العقول عندهم ، وهي مجرَّدات ليست داخل العالم ، ولا خارجه ، ولا فوق السموات ولا تحتها ، ولا هي أشخاص تتحرك ، ولا تصعد ، ولا تنزل ، ولا تدبِّر شيئًا ، ولا تتكلم ، ولا تكتب أعمال العبد ، ولا لها إحساس ولا حركة البتة ، ولا تنتقل من مكان إلى مكان ، ولا تَصُفُّ عند ربها ، ولاتصلي ، ولا لها تصرف في أمر العالم البتة ، فلا تقبض نفس العبد ، ولا تكتب رزقه وأجله

وعمله ، ولا عن اليمين وعن الشمال قعيد ، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة .

وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام ، فقال : الملائكة هي القوى الخَيِّرة الفاضلة التي في العبد ، والشياطين هي القوى الشريرة الرَّديئة ، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل .

وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك ، فإنه ما قال شيئًا ، ولا يقول ، ولا يجوز عليه الكلام . ومن تقرب إليهم ممن ينتسب للمسلمين يقول : الكتب المنزلة فَيْضٌ فاضَ من العقل الفَعَّال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية ، فتصورت تلك المعاني ، وتشكلت في نفسه بحيث توهم أصواتًا تخاطبه ، وربما قَوِيَ الوهم حتى يراها أشكالا نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك حتى يُخَيِّلها لبعض الحاضرين ، فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج .

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص ، من استكملها فهو نبيّ :

أحدها : قوة الحدس ، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة .

الثانية : قوة التخيل والتخييل ، بحيث يتخيل في نفسه أشكالًا نورانية تخاطبه ، ويسمع الخطاب منها ، ويخيلها إلى غيره .

الثالثة : قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم . وهذا يكون عنده بتجرد النفس عن العلائق ، واتصالها بالمفارقات ، من العقول والنفوس المجردة .

وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب . ولهذا طلبَ النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين ، وابن هود ، وأضرابهم . والنبوة عند هؤلاء صنعةٌ من الصنائع ، بل من أشرف الصنائع ، كالسياسة ، بل هي سياسة العامة وكثير منهم لا يرضى بها ، ويقول : الفلسفة نبوة الخاصة . والنبوة : فلسفة العامة .

وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات ، وانتشار الكواكب وقيامة الأبدان ، ولا يقرون بأن اللّه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأوجد هذا العالم بعد عدمه .

فلا مبدأ عندهم ، ولامعاد ، ولا صانع ، ولا نبوة ، ولا كتب نزلت من السماء ، تكلم اللّه بها ، ولا ملائكة تنزلت بالوحي من اللّه تعالى .

فدين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خير من دين هؤلاء .

وحَسبُكَ جهلًا باللّه تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، من يقول : إنه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب ، واستكمل بغيره . وحسبك خذلانًا ، وضلالًا وعمى : السير خلف هؤلاء ، وإحسان الظن بهم ، وأنهم أولو العقول »[١] .



(١) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٦١ - ٢٦٢) .

المطلب الثاني

قولهم في توحيد الأسماء والصفات

الفلاسفة يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود ، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق ، لا صفة له ولا نعْتَ ، ولا فعل يقوم به ، لم يخلق السموات والأرض بعد عدمها ، ولا له قدرة على فعل ، ولا يعلم شيئًا . ولا شك أن الذي كان عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون من هذا ، فعباد الأصنام كانوا يثبتون ربًا خالقًا عالمًا قادرًا حيًا ، وإن كانوا يشركون معه في العبادة .

وفساد أقوال الفلاسفة في الله لا يضاهيها فساد ، فهم ينفون جميع الأسماء والصفات ، سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة كالفارابي(١) ، أو فلسفة باطنية رافضية إسماعيلية قرمطية كابن سينا(٢) ، وإخوان الصفا ، أو فلسفة صوفية اتحادية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتحقيق أن التجهم المحض وهو نفي الأسماء والصفات ، كما يُحكي عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم من نفي أسماء الله الحسنى ، كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول »(٣) .

فهؤلاء جميعًا لا يثبتون الأسماء والصفات لله تعالى . ويمنعون الإثبات بأي حال من الأحوال ولهم في النفي درجات :

الدرجة الأولى : درجة المكذبة النفاة

---

(١) منهاج السنة (٢ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٧٦) .

(٣) النبوات (ص ١٩٨) .

وهي التي عليها طائفة من الفلاسفة[١] كابن سينا وأمثاله .[٢]

فهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان[٣] ، فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن ، لا فيما خرج عنه من الموجودات[٤] .

الدرجة الثانية : المتجاهلة الواقفة

الذين يقولون لا نثبت ولا ننفي ، وهذه الدرجة تنسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية المتفلسفة[٥] .

فهؤلاء هم غلاة الغلاة[٦] لأنهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون : لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ، ولا جاهل ، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين ، وهذا ممتنع في بداهة العقول ؛ وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول ﷺ ، فوقعوا في شر مما فروا منه ، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذا سلب النقيضين كجمع

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٧ - ٨) .

(٢) الصفدية (١ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٧) ، شرح الأصفهانية (ص ٥١ ، ٥٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٨) .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٧٦) .

(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٠٠) .

النقيضين ، كلاهما من الممتنعات[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب ، فلا يقال حي عالم ولا ليس بحي عالم ، ولا يقال هو عليم قدير ولا يقال ليس بقدير عليم ، ولا يقال هو متكلم مريد ، ولا يقال ليس بمتكلم مريد ، قالوا لأن في الإثبات تشبيهًا بما تثبت له هذه الصفات وفي النفي تشبيه له بما ينفي عنه هذه الصفات »[٢] .

الدرجة الثالثة : المتجاهلة اللاأدرية

الذين يقولون : نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت فلا ننفي النقيضين ، بل نسكت عن هذا وهذا ، فنمتنع عن كل من المتناقضين لا نحكم بهذا ولا بهذا ، فلا نقول : ليس بموجود ولا معدوم ولكن لا نقول هو موجود ولا نقول هو معدوم .

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج ، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط ، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[٣] .

الدرجة الرابعة : أهل وحدة الوجود

الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق ، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق . فعلى سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٧ - ٨) .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٧٦) .

(٣) الصفدية (١ / ٩٦ ، ٩٨) .

يوجد من الكلام وفي ذلك يقول ابن عربي :

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون فمنه إليه بدؤه وختامه[(١)]

فيزعمون أنه هو المتكلم على لسان كل قائل . ولا فرق عندهم بين قول فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] و ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] وبين القول الذي يسمعه موسى ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] .

بل يقولون : إنه الناطق في كل شيء ، فلا يتكلم إلا هو ، ولا يسمع إلا هو حتى قول مسيلمة الكذاب ، والدجال ، وفرعون ، يصرحون بأن أقوالهم هي قوله »[(٢)] .

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي ، وابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمساني .

وأصل مذهبهم : أن كل واحد من وجود الحق ، وثبوت الخلق يساوى الآخر ويفتقر إليه وفي هذا يقول ابن عربي :

فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده[(٣)]

ويقول : إن الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات ، وإن المحدث يتصف بجميع صفات الرب ، وإنهما شيء واحد إذ لا فرق في الحقيقة بين

---

(١) الفتوحات المكية (٤ / ١٤١) ط : دار صادر ، بيروت .

(٢) بغية المرتاد (ص ٣٤٩) .

(٣) فصوص الحكم (١ / ٨٣) ..

الوجود والثبوت[١] فهو الموصوف عندهم بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل ، كما هو الموصوف عندهم بصفات المجد والكمال فهو العالم والجاهل ، والبصير والأعمى ، والمؤمن والكافر ، والناكح والمنكوح ، والصحيح والمريض ، والداعي والمجيب ، والمتكلم والمستمع ، وهو عندهم هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم ، وقد يقولون لا هو العالم ولا غيره ، وقد يقولون : هو العالم أيضا وهو غيره ، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين[٢] .

وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي العام والإثبات العام فعندهم أن ذاته لا يمكن أن ترى بحال وليس له اسم ولا صفة ولا نعت ، إذ هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ، وهو من هذه الجهة لا يرى ولا اسم له .

ويقولون : إنه يظهر في الصور كلها ، وهذا عندهم هو الوجود الاسمي لا الذاتي ، ومن هذه الجهة فهو يرى في كل شيء ، ويتجلى في كل موجود لكنه لا يمكن أن ترى نفسه ، بل تارة يقولون كما يقول ابن عربي : ترى الأشياء فيه ، وتارة يقولون يرى هو في الأشياء وهو تجليه في الصور ، وتارة يقولون كما يقول ابن سبعين :

عين ما ترى ذات لا ترى وذات لا ترى عين ما ترى

وهم مضطربون لأن ما جعلوه هو الذات عدم محض ، إذ المطلق لا وجود له في الخارج مطلقًا بلا ريب ، لم يبق إلا ما سموه مظاهر ومجالي فيكون الخالق عين المخلوقات لا سواها ، وهم معترفون بالحيرة والتناقض

(١) بغية المرتاد (ص ٣٩٧ ، ٣٩٨) .

(٢) بغية المرتاد (ص ٤٠٨) .

مع ما هم فيه من التعطيل والجحود[١] .

وفي هذا يقول ابن عربي :

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدًا وإن قلت بالتشبيه كنت محددًا

وإن قلت بالأمرين كنت مسددًا وكنت إمامًا في المعارف سيدًا

فمن قال بالإشفاع كان مشركًا ومن قال بالإفراد كان موحدًا

فإياك والتشبيه إن كنت ثانيًا وإياك والتنزيه إن كنت مفردًا

فما أنت هو بل أنت هو وتراه في عين الأمور مسرحا ومقيدًا[٢]

خلاصة أقوال غلاة المعطلة

كلام غلاة المعطلة المتقدم ذكره يدور على أحد أصلين :

١- الأصل الأول :

النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه ، بأن جعلوا الحق لا وجود له ، ولا حقيقة له في الخارج أصلًا وإنما هو أمر مطلق في الأذهان . وهذا الذي عليه المكذبة النفاة ، والمتجاهلة الواقفة ، والمتجاهلة اللاأدرية .

٢- الأصل الثاني :

أن يجعلوا الحق عين وجود المخلوقات ، فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلًا ، ولا يكون رب كل شيء ولا مليكه . وهذا الذي عليه حال أهل وحدة الوجود الاتحادية في أحد حاليهم فهذا حقيقة قول القوم وإن كان بعضهم لا يشعر بذلك .

---

(١) بغية المرتاد (ص ٤٧٣) .

(٢) بغية المرتاد (ص ٥٢٧) .

ولذلك كان الغلاة من القرامطة والباطنية والفلاسفة والاتحادية نسخة للجهمية الذين تكلم فيهم السلف والأئمة ، مع كون أولئك كانوا أقرب إلى الإسلام . فقد كان كلام الجهمية يدور أيضًا على هذين الأصلين فهم يظهرون للناس والعامة أن اللَّه بذاته موجود في كل مكان ، أو يعتقدون ذلك .

وعند التحقيق يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم : ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولامباين له ومحايث ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، وأشباه هذه السلوب .

فكلام أولهم وآخرهم يدور على هذين الأصلين :

١ ـ إما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه .

٢ ـ وإما الإثبات الذي يقتضي أنه هو المخلوقات . أو جزء منها أو صفة لها .

وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الإثبات المتناقضين ، وإذا حوقق في ذلك قال : ذاك السلب مقتضى نظري . وهذا الإثبات مقتضى شهودي وذوقي . ومعلوم أن العقل والذوق إذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما(١) .

وهذا حالهم يترددون بين هذا النفي العام المطلق ، وهذا الإثبات العام المطلق وهم في كليهما حائرون ضالون لا يعرفون الرب الذي أمروا بعبادته(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « نفاة الصفات تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد ، أو يصرحون بذلك . وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل ، فنفاتهم لا يعبدون شيئًا ، ومثبتتهم يعبدون كل شيء »(٣) .

---

(١) بغية المرتاد (ص ٤١٠ ، ٤١١) .

(٢) نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٤٦٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٩) .

ولا ريب أن هؤلاء المعطلة بصنيعهم هذا قد أعرضوا عن أسمائه وصفاته وآياته وصاروا جهالًا به ، كافرين به ، غافلين عن ذكره ، موتى القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته ، وهذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية أنهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر ، لا يعرفون اللّه ولا يذكرونه[١] .



(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٤٨) بتصرف .



المبحث الثاني

أهل الكلام وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهم .

المطلب الثاني : مواقفهم من توحيد الأسماء والصفات .



المطلب الأول

التعريف بهم

وأما أهل الكلام فقد شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم ، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية ، وتأثروا بها إلى درجة كبيرة . وسلكوا في تقرير مسائل الاعتقاد المسلك العقلاني على حد زعمهم ، وهم وإن كانوا يخالفون الفلاسفة في قولهم : إن هذه الحقائق مجرد وهم وخيال ، إلا أنهم شاركوهم في تشويه كثير من الحقائق الغيبية ، فلا تجد في كتب أهل الكلام على اختلاف طوائفهم تقريرًا لمسائل الاعتقاد كما جاءت بها النصوص الصحيحة ، فبدل أ ن تسمع أو تقرأ قال اللَّه أو قال رسوله ﷺ أو قال الصحابة ، فإنك لا تجد في كتبهم إلا قال الفضلاء ، قال العقلاء ، قال الحكماء ، ويعنون بهم فلاسفة اليونان من الوثنيين ، فكيف جاز لهم ترك كلام اللَّه وكلام رسوله ﷺ والأخذ بكلام من لا يعرف اللَّه ولا يؤمن برسوله .

والمطلع على كتب أهل الكلام يدرك عظم الضرر الذي جَنَتْهُ على الأمة المسلمة ، إذ تسببت تلك الكتب في حجب الناس عن المعرفة الصحيحة للَّه ورسوله ولدينه ، وجُعِلَ بدل ذلك مقالات التعطيل والتجهيل والتخييل .

وأهل الكلام ليسوا صنفًا واحدًا بل هم عدة أصناف ، وأشهرهم :

١ ـ الجهمية ، ٢ ـ المعتزلة ، ٣ ـ الكلابية ، ٤ ـ الأشاعرة ، ٥ ـ الماتريدية .

وهذه الأصناف الخمسة كل له قوله ورأيه بحسب الشبه العقلية التي استند إليها .

أولًا : الجهمية ، وهم أتباع جهم بن صفوان الذي أخذ عن الجعد بن درهم

مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة[١] ، وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظرًا لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء .

من أشهر معتقداتهم :

١ - إنكارهم لجميع الأسماء والصفات كما سيأتي تفصيله .

٢ - إنهم في باب الإيمان مرجئة ، يقولون : إن الإيمان يكفي فيه مجرد المعرفة القلبية ، وهذا شر أقوال المرجئة .

٣ - إنهم في باب القدر جبرية ، ينكرون قدرة العبد واختياره في فعله .

٤ - ينكرون رؤية الخلق لله يوم القيامة .

٥ - يقولون : إن القرآن مخلوق .

٦ - يقولون بفناء الجنة والنار .

إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي قال بها الجهمية .

ثانيًا : المعتزلة ، وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي :

١ - التوحيد ، ٢ - العدل ، ٣ - الوعد والوعيد ، ٤ - المنزلة بين المنزلتين ، ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطًا من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر ، فقد جمع المعتزلة بين أفكار الجهمية ، والقدرية ، والخوارج والرافضة .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (٦ / ٥٠) ، والبداية (٩ / ٣٥٠) .

فقد شاركوا الجهمية في بعض أصولهم ، فوافقوهم في إنكار الصفات فزعموا أن ذات اللَّه لا تقوم به صفة ولا فعل ، كما سيأتي تفصيله . وقالوا بإنكار رؤية اللَّه يوم القيامة وقالوا : إن القرآن مخلوق إلى غير ذلك .

كما شاركوا القدرية في إنكارهم لقدرة اللَّه في أفعال العباد ، وأخذوا عنهم القول بأن العباد يخلقون أفعالهم .

كما شاركوا الخوارج في مسألة الإيمان ، وقالوا بقولهم إن الإيمان قول واعتقاد ، وعمل ، لا يزيد ولا ينقص ، وإنه إذا ذهب بعضه زال الإيمان .

وبناءً على ذلك شاركوهم في مسألة مرتكب الكبيرة ، فالمعتزلة وإن قالوا بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ، لكنهم وافقوا الخوارج في قولهم بأن مرتكب الكبيرة في الآخرة خالد مخلد في النار .

وأخذوا كذلك عن الخوارج رأيهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كما أنهم شاركوا الروافض في الطعن في أصحاب النبي ﷺ ، فقد كان من كلام واصل بن عطاء في أهل صفين قوله : « إن كليهما فاسق لا بعين » وقوله عن علي ومعاوية رضي اللَّه عنهما : « لو أن كليهما جاء عندي يشهد على حزمة بقل ما قبلت شهادتهما » ، وأواخر المعتزلة كانوا أقرب إلى التشيع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك (يعني مسائل الصفات والقدر) ، فأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك ، فإنهم سار فيهم من يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم ، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام ابن النعمان المفيد وصاحبيه أبي جعفر الطوسي ، والملقب بالمرتضى ونحوهم هو من كلام المعتزلة ، وصار حينئذ في المعتزلة من يميل إلى نوع من التشيع إما تسوية علي

بالخليفتين ، وإما تفضيله عليهما ، وإما الطعن في عثمان ، وإن كانت المعتزلة لم تختلف في إمامة أبي بكر وعمر . وقدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد وذويه كانوا منحرفين عن علي حتى كانوا يقولون : لو شهد هو وواحد من مقاتليه شهادة لم نقبلها ، لأنه قد فسق أحدهما لا بعينه . فهذا الذي عليه متأخروا الشيعة والمعتزلة خلاف ما عليه أئمة الطائفتين وقدماؤهم »(١) .

كما أخذوا عن الشيعة الرافضة أكثر آرائهم الخاصة بالإمامة .

وعلى هذا فأفكار المعتزلة إنما هي خليط من آراء الفرق المخالفة في عصرهم .

وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من : الرافضة الإمامية ، والزيدية والإباضية ، وكذلك من يسمون بالعقلانيين .

ثالثًا : متكلمة الصفاتية (الكلابية ـ الأشاعرة ـ الماتريدية) .

١ ـ الكلابية ، وهم أتباع أبي محمد عبد اللّٰه بن سعيد بن كلاب القطان(٢) (ت ٢٤٣ هـ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين : فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم باللّٰه تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها .

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا .

فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها . ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري وغيرهما .

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٥٤ ـ ٥٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٥٥٥) .

وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب ، ولهذا أمر بهجره ، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ثم قيل عن الحارث : إنه راجع عن قوله[١] .

فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج متكلمة الصفاتية لأن ابن كلاب كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة ، لكن كان في طريقته نوع من البدعة ، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته .

وقد كانت له جهود في الرد على الجهمية[٢] ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولًا هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف ، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك[٣] فأصبح بعد ذلك قدوة وإمامًا لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها ، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول »[٤] .

فابن كلاب أحدث مذهبًا جديدًا ، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية . وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة « الصفاتية » التي اشتهرت بمذهب الإثبات ، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية[٥] .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٦٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٧٦) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٦٦) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٠٦) .

وقد سار على هذا النهج القلانسي ، والأشعري ، والمحاسبي ، وغيرهم وهؤلاء هم سلف الأشعري والأشاعرة القدماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان أبو محمد بن كلاب هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقته هو وأئمة أصحابه ، كالحارث المحاسبي ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي سليمان الدمشقي ، وأبي حاتم البستي »(١).

فابن كلاب هو إمام الأشعرية الأول ، وكان أكثر مخالفة للجهمية ، وأقرب إلى السلف من الأشعري(٢) .

ولكن هذا النهج الكلابي ابتعد شيئًا فشيئًا عن منهج السلف ، وأصبح يقرب أكثر فأكثر إلى نهج المعتزلة وذلك على يد وارثيه من الأشاعرة .

فابن كلاب كما أسلفنا كان أقرب إلى السلف من أبي الحسن الأشعري وأبو الحسن الأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي الجويني وأتباعه(٣) .

ولهذا يوجد في كلام الرازي والغزالي ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي الجويني وذويه ، ويوجد في كلام الرازي والغزالي والجويني من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه ، ويوجد في كلام أبي الحسن الأشعري من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقه .

ويوجد في كلام ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في

---

(١) منهاج السنة (٢ / ٣٢٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٠٣) .

كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة . وإذا كان الغلط شبرًا صار في الأتباع ذراعًا ثم باعًا حتى آل إلى هذا المآل والسعيد من لزم السنة(١).

وقد تلاشت الكلابية كفرقة ، لكن أفكارها حملت بواسطة الأشاعرة ، فقد احتفظ الأشعري وقدماء أصحابه بأفكار الكلابية ونشروها ، وبذلك اندرست المدرسة الكلابية الأقدم تاريخًا والأسبق ظهورًا في الأشعرية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والكلابية هم مشايخ الأشعرية ، فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب ، وابن كلاب كان أقرب إلى السلف زمنًا وطريقة . وقد جمع أبو بكر بن فورك (ت ٤٠٦ هـ) كلام ابن كلاب والأشعري وبين اتفاقهما في الأصول »(٢) .

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية ، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث ، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة ، فقد توفي ابن كلاب سنة (٢٤٣ هـ) ، وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤ هـ) والماتريدية : أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣ هـ) وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا .

٢ ـ الأشعرية :

يُعَدُّ أبو الحسن الأشعري امتدادًا للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠ هـ ـ ٣٢٤ هـ) كان معتزليًا إلى سن الأربعين ، حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في البصرة ، ثم

(١) بغية المرتاد (ص ٤٥١) .

(٢) الاستقامة (١ / ١٠٥) .

رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب وتأثر بها مدة طويلة ، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم ، وكان ابن كلاب قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم . ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت للَّه تعالى الصفات اللازمة لكنه وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته فنفى كما نفت المعتزلة أن اللَّه يتكلم بمشيئته وقدرته . كما نفى أيضًا الصفات الاختيارية مثل الرضى ، والغضب ، والبغض ، والسخط وغيرها .

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطًا يؤلف ويناظر ويلقي الدروس في الرد على المعتزلة سالكًا هذه الطريقة .

ثم التقى بزكريا بن يحيى الساجي فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث[١] ، وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها[٢] ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورًا أخرى وذلك بآخر أمره .

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة ، وخبرته بالسنة خبرة مجملة فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول ، وبين الانتصار للسنة ، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام ، والصفات الخبرية وغير ذلك[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ٣٨٦) ، تذكرة الحفاظ (٢ / ٩٠٧) .

(٢) العلو (ص ١٥٠) ، تذكرة الحفاظ (٢ / ٩٠٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٠٤) .

وقال عنه السجزي : « رجع في الفروع وثبت في الأصول »[١] أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات ، مثل دليل الأعراض وغيره[٢] .

وقال ابن تيمية : « أبو محمد عبد اللَّه بن سعيد بن كُلَّاب البصري ، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة . ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولًا فاسدة صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقًا »[٣] .

وقال أيضًا : « والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال ، مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام ، وإنكار اتصاف اللَّه بالأفعال القائمة التي يشأها ويختارها ، وأمثال ذلك »[٤] وقد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية ، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية .

« فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع من التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة الصحابة »[٥] .

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة ، كأبي الحسن الأشعري وأبي عبد اللَّه بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر الباقلاني

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص ١٦٨) .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١ / ٣٦٧) .

(٣) الاستقامة (١ / ٢١٢) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٩٧) .

(٥) المصدر السابق .

وأبي إسحاق الاسفرائيني ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي محمد بن اللبان ، وأبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم القشيري ، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء[١] .

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية ، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما .

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى .

وأما من أثبتها كالأشعري وأئمة أصحابه . فهؤلاء يقولون تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل ، فلا يكتفون بالتفويض بل يبطلون تأويلات النفاة[٢] .

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية ، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية ، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان :

فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها ، وبعضهم يقر ببعضها ، وفيهم تجهم من جهة أخرى .

فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة ، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٧ ، ١٤٨) .

(٢) منهاج السنة (٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

وابن الباقلاني أكثر إثباتًا بعد الأشعري ، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك ، فإنه أثبت بعض ما في القرآن .

وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم ، قليل المعرفة بالآثار ، فأثر فيه مجموع الأمرين[(١)] .

فما إن جاء أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة ، وجعل هذه القواعد تبعًا للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها[(٢)] وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي فقد كان الأشعري يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع ، أما الباقلاني فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل[(٣)] ويعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري[(٤)] .

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة ، وخالف الباقلاني في كثير من القواعد التي وضعها . وإن كان الجويني قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني ، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي

---

(١) منهاج السنة (٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٦٥) ، ط : مصطفى محمد .

(٣) مقدمة التمهيد للباقلاني (ص ١٥) ، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة .

(٤) نشأة الأشعرية وتطورها (ص ٣٢٠) .

على مختارات له ، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة .

وأما كلام أبي الحسن الأشعري فلم يكن يستمد منه ، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس[١] وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة ، كالغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وابن الخطيب الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية ، وبذلك ازدادت الأشعرية بعدًا وانحرافًا .

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في « الإرشاد » و « الشامل » ونحوهما مضمومًا إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني . ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا ، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفا ، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك .

وأما الرازي فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي ، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت ٤٣٦ هـ) . وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ونحوهما[٢] والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر ، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم ، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث[٣] .

---

(١) بغية المرتاد (ص ٤٤٨ ، ٤٥١) ، بتصرف .

(٢) بغية المرتاد (ص ٤٤٨) ، بتصرف .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٥) .

والأشاعرة يخالفون أهل السنة في الكثير من مسائل الاعتقاد ومنها على سبيل المثال :

١ ـ أن مصدر التلقي عندهم في قضايا الإلهيات (أي التوحيد) والنبوات هو العقل وحده ، فهم يقسمون أبواب العقيدة إلى ثلاثة أبواب : إلهيات نبوات ، سمعيات ، ويقصدون بالسمعيات ما يتعلق بمسائل اليوم الآخر من البعث والحشر والجنة والنار وغير ذلك وسموها سمعيات لأن مصدرها عندهم النصوص الشرعية وأما ما عداها أي الإلهيات والنبوات فمصدرهم فيها العقل .

٢ ـ زعمهم أن الإيمان هو مجرد التصديق ، فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان .

٣ ـ بناءً على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا توحيد الألوهية من تقسيمهم للتوحيد ، فالتوحيد عندهم هو أن اللّٰه واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ، وواحد في صفاته لا نظير له . وهذا التعريف خلا من الإشارة إلى توحيد الألوهية ، فلذلك فإن أي مجتمع أشعري تجد فيه توحيد الإلهية مختلًا ، وسوق الشرك والبدعة رائجة لأن الناس لم يعلموا أن اللّٰه واحد في عبادته لا شريك له .

٤ ـ وبناءً ـ كذلك ـ على تعريفهم للإيمان فقد أخرجوا الاتباع من تعريفهم للإيمان بالنبي ﷺ فحصروا الإيمان بالنبي في الأمور التصديقية فقط ، ومن أجل ذلك انتشرت البدع في المجتمعات الأشعرية .

٥ ـ خالفوا أهل السنة في أسماء اللّٰه وصفاته وهذا سيأتي بيانه .

٦ ـ خالفوا أهل السنة في باب القدر ، فقولهم موافق لقول الجبرية .

٧ ـ خالفوا أهل السنة في مسألة رؤية اللّٰه من جهة كونهم يقولون يرى لا في مكان .

٨ ـ خالفوا أهل السنة في مسألة الكلام ، فهم لا يثبتون صفة الكلام على حقيقتها بل يقولون بالكلام النفسي .

إلى غير ذلك من أنواع المخالفات .

٣ ـ الماتريدية :

تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية ، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة ، ويصعب التفريق بينهما . ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلًا من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم[(١)] .

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيس هو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما خاصة مع الأشعرية المتأخرة ، هناك أسباب مهمة يرجع إليها يجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى . فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله فقل أن تجد حنفيًا على عقيدة الأشاعرة إلا ما ذكر من أن أبا جعفر السمناني ـ وهو حنفي ـ كان أشعريًا .

بينما نجد الأشعرية قد انتشرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي ، فجل الشافعية والمالكية على الأشعرية .

والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد

---

(١) مفتاح السعادة (٢ / ١٥١ ، ١٥٢) تأليف : طاش كبرى زاده .

الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣ هـ)[١] كان معدودًا في فقهاء الحنفية ، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار[٢] ، وقد نهج منهجًا كلاميًا في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة ، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما .

وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها[٣] .

ومن المعلوم أن الأحناف وأهل المشرق عمومًا كانوا من أسبق الناس تأثرًا بعلم الكلام ، فقد كانت بداية الجهم من تلك الجهات ، وفي هذا يقول الإمام أحمد في معرض كلامه عن الجهم : « وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة .. »[٤] .

فبشر بن غياث المريسي (٢٢٨ هـ) والقاضي أحمد بن أبي دؤاد (٢٤٠ هـ) وغيرهما كانوا من الأحناف ، فلا غرابة أن يكون الماتريدي الحنفي من أولئك الذين ناصروا علم الكلام وسعوا في تأسيسه وتقعيده ، إلى أن أصبح علمًا من أعلامه وصاحب إحدى مدارس الكلام التي صارت فيما بعد تعرف باسمه .

فالماتريدي لا يبعد كثيرًا عن أبي الحسن الأشعري (في طوره الثاني) فهو خصم لدود للمعتزلة ، إلا أنه كان متأثرًا بالمنهج الكلامي على طريقة ابن

---

(١) انظر ترجمته في كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (١ / ٢٠٩) للدكتور شمس الدين الأفغاني .

(٢) العقيدة السلفية في كلام رب البرية (ص ٢٧٩) تأليف : عبد الله بن يوسف الجديع .

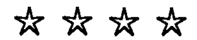
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٤٣٣) ، كتاب الإيمان (ص ٤١٤) ، منهاج السنة (٢ / ٣٦٢) .

(٤) الرد على الجهمية (ص ١٠٣ ـ ١٠٥) .

كلاب من الاعتماد على المناهج الكلامية في تقرير المسائل الاعتقادية شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأشعري ، فكلاهما يُعَدُّ امتدادًا لمدرسة ابن كلاب التي عرفت كمدرسة ثالثة بعد أن كان الخلاف دائرًا بين أهل السنة والجماعة من جهة ، والجهمية والمعتزلة من جهة أخرى ، فجاء ابن كلاب وأحدث منهجًا ثالثًا حاول فيه التلفيق بين النصوص الشرعية والمناهج الكلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الكلابية .

فالمذهب الكلابي كان له وجوده في العراق والري وخراسان وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر التي كات تغص بمختلف الطوائف والفرق(١) .

ولم تتعرض الماتريدية للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية والذي سبق بيانه في الحديث عن الأشعرية فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه .



(١) انظر أحسن التقاسيم للمقدسي (ص ٣٢٣) .

المطلب الثاني

مواقفهم من توحيد الأسماء والصفات

١ـ الجهمية :

أتباع الجهم بن صفوان وهم ينفون جميع الأسماء والصفات .

أما في أسماء الله عز وجل فقد عرف عن الجهم بن صفوان أنه له مسلكان :

الأول : نفيه جميع الأسماء الحسنى عن الله عز وجل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئًا لا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز »[١].

الثاني : أن الله يسمى باسمين فقط هما « الخالق » و « القادر » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان الجهم وأمثاله يقولون : إن الله ليس بشيء ، وروي عنه أنه قال : لا يسمى باسم يسمى به الخلق ، فلم يسمه إلا « بالخالق » و « القادر » لأنه كان جبريا يرى أن العبد لا قدرة له »[٢].

وقال رحمه الله : « ولهذا نقلوا عن جهم أنه لا يسمى الله بشيء ، ونقلوا عنه أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي يسمى بها الخلق : كالحي ، والعالم والسميع ، والبصير ، بل يسميه قادرًا خالقًا ، لأن العبد عنده ليس بقادر ، إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية »[٣].

وأما في صفات الله عز وجل فالجهمية ينفون جميع الصفات ولا يصفون الله إلا

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٣١١) .

(٢) منهاج السنة (٢ / ٥٢٦ ، ٥٢٧) ، الأنساب للسمعاني (٢ / ١٣٣) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ١٨٧) ، مجموع الفتاوى (٨ / ٤٦٠) .

بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان[١] فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن ، لا فيما خرج عنه من الموجودات[٢] .

٢ ــ المعتزلة ومن وافقهم :

ومعهم النجارية والضرارية والرافضة الإمامية والزيدية والإباضية وابن حزم وغيرهم وهؤلاء مشتركون مع الجهمية والفلاسفة في نفي الصفات[٣]وإن كان بين الفلاسفة والمعتزلة نوع فرق[٤] فالمعتزلة تجمع على غاية واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها . ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات .

الطريق الأول : الذي عليه أغلبيتهم وهو نفيها صراحة فقالوا : إن اللَّه عالم بذاته لا بعلم وهكذا في باقي الصفات .

والطريق الثاني : الذي عليه بعضهم وهو إثباتها اسمًا ونفيها فعلًا فقالوا : إن اللَّه عالم بعلم وعلمه ذاته وهكذا بقية الصفات ، فكان مجتمعًا مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ٧) ، شرح الأصفهانية (ص ٥١ ، ٥٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٣ / ١٣١) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١) .

والمقصود بنفي الصفات عندهم : هو نفي إثباتها حقيقة في الذات ومتميزة عنها ، وذلك أنهم يجعلونها عين الذات فالله عالم بذاته بدون علم أو عالم بعلم وعلمه ذاته[١] .

وهناك آراء أخرى للمعتزلة لكنها تجتمع في الغاية مع الرأيين الأولين ، وهو التخلص من إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها[٢] .

وهذه الآراء للمعتزلة حملها عنهم الزيدية والرافضة الإمامية[٣] والإباضية . وابن تومرت[٤] ، وابن حزم[٥] .

فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به ، لاعتقادهم أن الصفات أعراض ، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه فقالوا حينئذ إن القرآن مخلوق ، وإنه ليس لله مشيئة قائمة به ، ولا حب ولا بغض ونحو ذلك .

وردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق ، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به[٦] .

---

(١) المعتزلة وأصولهم الخمسة (ص ١٠٠) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٠١) .

(٣) لم يكن في قدماء الرافضة من يقول بنفي الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهورًا عن شيوخهم هشام بن الحكم وأمثاله ، شرح الأصفهانية (ص ٦٨) .

(٤) كان أبو عبد الله محمد بن تومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات ، شرح الأصفهانية (ص ٢٣) .

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٢٤٩ ، ٢٥٠) .

(٦) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٣٥٩) .

٣ ـ النجارية :

وهم أتباع حسين بن محمد بن عبد اللّه النجار المتوفى سنة (٢٢٠ هجرية) تقريبًا . وكان يزعم أن اللّه سبحانه لم يزل جوادًا بنفي البخل عنه ، وأنه لم يزل متكلمًا بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام ، وأن كلام اللّه سبحانه محدث مخلوق ، وكان يقول بقول المعتزلة في التوحيد ، إلا في باب الإرادة والجود ، وكان يخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء[١] .

٤ ـ الضرارية :

وهم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني المتوفى سنة (١٩٠ هجرية) تقريبًا وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر أنه ليس بجاهل ولا عاجز وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه »[٢] .

فكل من النجارية والضرارية يحملون النصوص الثبوتية على المعاني السلبية كما قال البغدادي عنهم : « من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفي الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه »[٣] .

وكان الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية هم خصوم أهل السنة زمن فتنة القول بخلق القرآن[٤] .

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢) ، وانظر الفرق بين الفرق (ص ٢٠٧) ، والملل والنحل (١ / ٨٩ ، ٩٠) .

(٢) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٩) .

(٣) الفرق بين الفرق (ص ٢١٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢) .

٥ـ الكلابية وقدماء الأشاعرة

ومن وافقهم (نفاة الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة) .

وهو قول الكلابية : أتباع أبي محمد عبد اللّه بن سعيد بن كلاب ، وقول الحارث المحاسبي[١] وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري في طوره الثاني ، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري والباقلاني وابن فورك ، وأبي جعفر السمناني ومن تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني والتميميين وغيرهم[٢] .

وهؤلاء يُسَمُّون الصفاتية لأنهم يثبتون صفات اللّه تعالى خلافًا للمعتزلة لكنهم لم يثبتوا للّه أفعالًا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته ، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته[٣] . وأصلهم الذي أصَّلوه في هذا أن اللّه لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته[٤] لا فعل ولا غير فعل[٥] .

والفرق بينهم وبين المعتزلة : أن المعتزلة تقول : « لا تحله الأعراض

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الحارث المحاسبي يوافقه ـ أي يوافق ابن كلاب ـ ثم قيل إنه رجع عن موافقته ؛ فإن أحمد ابن حنبل أمر بهجر الحارث المحاسبي وغيره من أصحاب ابن كلاب لما أظهروا ذلك ، كما أمر السري السقطي الجنيد أن يتقي بعض كلام الحارث ؛ فذكروا أن الحارث رحمه الله تاب من ذلك . وكان له من العلم والفضل والزهد والكلام في الحقائق ما هو مشهور وحكى عنه أبو بكر الكلاباذي صاحب (مقالات الصوفية) : (أنه كان يقول إن اللّه يتكلم بصوت) ، وهذا يوافق قول من يقول : إنه رجع عن قول ابن كلاب » . مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢١ ، ٥٢٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٤١١ ، ٦ / ٥٢ ، ٥٣ ، ٤ / ١٤٧) ، شرح الأصفهانية (ص ٧٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ /٥٢٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٤) .

(٥) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٢) .

والحوادث » فالمعتزلة لا يريدون [بالأعراض] الأمراض والآفات فقط ، بل يريدون بذلك الصفات . ولا يريدون [بالحوادث] المخلوقات ، ولا الأحداث المحيلة للمحل ونحو ذلك - مما يريده الناس بلفظ الحوادث - بل يريدون نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها فلا يجيزون أن يقوم به خلق ، ولا استواء ، ولا إتيان ، ولا مجيء ، ولا تكليم ، ولا مناداة ، ولا مناجاة ، ولا غير ذلك مما وصف بأنه مريد له قادر عليه . ولكن ابن كلاب ومن وافقه خالفوا المعتزلة في قولهم : « لا تقوم به الأعراض » وقالوا : « تقوم به الصفات ولكن لا تسمى أعراضًا » . ووافقوا المعتزلة على ما أرادوا بقولهم : لا تقوم به الحوادث من أنه لا يقوم به أمر من الأمور المتعلقة بمشيئته[١] .

ففرقوا بين الأعراض - أي الصفات - والحوادث - أي الأمور المتعلقة بالمشيئة[٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٠ ، ٥٢١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٥) .

وتتميمًا للفائدة فإن الخلاف في هذه المسألة على أربعة أقوال :

قول المعتزلة ومن وافقهم : أن الله لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره وهو قولهم : (لا تحله الأعراض ولا الحوادث) . قول الكلابية ومن وافقهم : التفريق بين الصفات والأفعال الاختيارية فأثبتوا الصفات ، ومنعوا أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا غير فعل .

قول الكرامية ومن وافقهم : يثبتون الصفات ويثبتون أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته ، ولكن ذلك حادث بعد أن لم يكن ، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك ، وقالوا لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث ، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها .

قول أهل السنة والجماعة : أثبتوا الصفات والأفعال الاختيارية وأن الله متصف بذلك أزلًا ، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم ، وإن كانت المفعولات محدثة . وهذا هو الصحيح . مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ١٤٩) .

فالكلابية ومن تبعهم ينفون صفات أفعاله(١) ، ويقولون : « لو قامت به لكان محلًا للحوادث . والحادث إن أوجب له كمالًا فقد عدمه قبله وهو نقص وإن لم يوجب له كمالًا لم يجز وصفه به(٢) .

ولتوضيح قولهم نقول : إن المضافات إلى اللَّه سبحانه في الكتاب والسنة لا تخلو من ثلاثة أقسام :

أحدها : إضافة الصفة إلى الموصوف .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، فهذا القسم يثبته الكلابية ولا يخالفون فيه أهل السنة ، وينكره المعتزلة .

والقسم الثاني : إضافة المخلوق إلى اللَّه .

كقوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس : ١٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [الحج : ٢٦] ، وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق

والقسم الثالث : وهو محل الكلام هنا - ما فيه معنى الصفة والفعل .

كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ [البقرة : ٩٠] .

فهذا القسم الثالث لا يثبته الكلابية ومن وافقهم على زعم أن الحوادث لا تحل بذاته . فهو على هذا يلحق عندهم بأحد القسمين قبله فيكون :

---

(١) الصفات الفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته ، أو التي تنفك عن الذات : كالاستواء ، والنزول ، والضحك ، والإتيان ، والمجيء ، والغضب والفرح . مجموع الفتاوى (٦ / ٦٨ ، ٥ / ٤١٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٦٩) ، وانظر الرد على هذه الشبهة (٦ / ١٠٥) .

١ ـ إما قديمًا قائمًا به . ٢ ـ وإما مخلوقًا منفصلًا عنه .

ويمتنع عندهم أن يقوم به نعت أو حال أو فعل ليس بقديم ويسمون هذه المسألة : (مسألة حلول الحوادث بذاته)[١] وذلك مثل صفات الكلام والرضا ، والغضب ، والفرح ، والمجيء ، والنزول والإتيان ، وغيرها . وبالتالي هم يؤولون النصوص الواردة في ذلك على أحد الوجوه التالية :

١ ـ إرجاعها إلى الصفات الذاتية واعتبارها منها ، فيجعلون جميع تلك الصفات قديمة أزلية ، ويقولون : نزوله ، ومجيئه وإتيانه ، وفرحه ، وغضبه ورضاه ، ونحو ذلك : قديم أزلي[٢] وهذه الصفات جميعها صفات ذاتية للَّه وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره[٣] .

٢ ـ وإما أن يجعلوها من باب « النسب » و « الإضافة » المحضة بمعنى أن اللَّه خلق العرش بصفة تحت فصار مستويًا عليه ، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائيًا إليهم ونحو ذلك . وأن التكليم إسماع المخاطب فقط[٤] .

فهذه الأمور من صفات الفعل منفصلة عن اللَّه بائنة وهي مضافة إليه ، لا أنها صفات قائمة به .

ولهذا يقول كثير منهم : « إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث الصفات[٥] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٤ ، ١٤٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٤١٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥ / ٤١٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٩) .

(٥) مجموع الفتاوى (٥ / ٤١١ ، ٤١٢) .

٣ ـ أو يجعلوها « أفعالًا محضة » في المخلوقات من غير إضافة ولا نسبة[١].

مثل قولهم في الاستواء إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قربًا فيصير مستويًا عليه من غير أن يقوم باللّه فعل اختياري[٢] .

وكقولهم في النزول إنه يخلق أعراضًا في بعض المخلوقات يسميها نزولًا[٣].

ونفاة الصفات الاختيارية يثبتون الصفات التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . واختلفوا في صفة البقاء .

ويثبتون في الجملة الصفات الخبرية كالوجه ، واليدين ، والعين ولكن إثباتهم لها مقتصر على بعض الصفات القرآنية ، على أن بعضهم إثباته لها من باب التفويض .

وأما الصفات الخبرية الواردة في السنة كاليمين ، والقبضة ، والقدم والأصابع فأغلب هؤلاء يتأولها[٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة ، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد بن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأئمة الصحابة : كأبي عبد اللّه بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي ، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني ، وأبي إسحاق الاسفرائيني ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي محمد بن اللبان ، وأبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم القشيري ، وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء اللّه تعالى . وعماد المذهب عندهم : إثبات كل صفة في القرآن .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٤٣٧) ، الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٥١٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥ / ٣٨٦) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢) ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ١٠٣٤ ، ١٠٣٦) .

وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها[١] .

٦ـ متأخرو الأشاعرة والماتريدية

(من يقول بإثبات سبع صفات فقط أو ثمان ونفي ما عداها) .

وهذا قول المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية الذين لم يثبتوا من الصفات إلا ما أثبته العقل فقط ، وأما ما لا مجال للعقل فيه عندهم فتعرضوا له بالتأويل والتعطيل ولا يستدل هؤلاء بالسمع في إثبات الصفات ، بل عارضوا مدلوله بما ادعوه من العقليات .

وهذه القول لمتأخري الأشاعرة إنما تلقوه عن المعتزلة ، لما مالوا إلى نوع التجهم ، بل الفلسفة ، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه ، الذين لم يكونوا يقرون بمخالفة النقل للعقل ، بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع ، ولهذا أثبت الأشعري الصفات الخبرية بالسمع ، وأثبت بالعقل الصفات العقلية التي تعلم بالعقل والسمع ، فلم يثبت بالعقل ما جعله معارضًا للسمع ، بل ما جعله معاضدًا له ، وأثبت بالسمع ما عجز عنه العقل .

وهؤلاء خالفوه وخالفوا أئمة أصحابه في هذا وهذا ، فلم يستدلوا بالسمع في إثبات الصفات ، وعارضوا مدلوله بما ادعوه من العقليات[٢] .

فالصفات الثبوتية عند متأخري الأشاعرة هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام[٣] ، وزاد الباقلاني وإمام الحرمين

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ١٤٧ ، ١٤٨) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٩٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

الجويني صفة ثامنة هي الإدراك[١] .

والصفات الثبوتية عند الماتريدية[٢] هي ثمان : الحياة ، والعلم ، والقدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين[٣] وهم قد خصوا الإثبات بهذه الصفات دون غيرها ، لأنها هي التي دل العقل عليها عندهم ، وأما غيرها من الصفات فإنه لا دليل عليها من العقل عندهم ، فلذا قالوا بنفيها[٤] .

وهؤلاء لا يجعلون السمع طريقًا إلى إثبات الصفات ولهم فيما لم يثبتوه طريقان

١ - منهم من نفاه .   ٢ - ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه بإثبات ولا نفي ويقولون بأن العقل دلّ على ما أثبتناه ولم يدل على ما توقفنا فيه[٥] .

وبهذا يعلم أنه ليس عند هؤلاء من الإثبات إلا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني وهي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر والكلام وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها ولهم في نصوصها أحد طريقين إما التأويل أو التفويض وفي هذا يقول قائلهم :

وكل نص أوهم التشبيها   أوّله أو فوّض ورم تنزيها[٦]

---

(١) تحفة المريد (ص ٧٦) ، وبعض الأشاعرة توقف فيها والبعض نفاها .

(٢) انظر إشارات المرام (ص ١٠٧ ، ١١٤) ، جامع المتون (١٢٠٨) ، نظم الفرائد (ص ٢٤) ، الماتريدية دراسة وتقويم (ص ٢٣٩) .

(٣) أثبت الماتريدية صفة التكوين وعليه فهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى . وأما الأشاعرة فقد نفوها . انظر تحفة المريد (ص ٧٥) .

(٤) الماتريدية دراسة وتقويم (ص ٢٣٩) .

(٥) شرح الأصفهانية ص ٩ ، مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٩) .

(٦) تحفة المريد (ص ٩١) .

فنصوص الصفات التي وردت في إثبات ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها ، يسمونها نصوصًا موهمة للتشبيه ، فهم يصرفونها عن ظاهرها ، ولكنهم تارة يعينون المراد كقولهم استوى : استولى ، واليد : بمعنى النعمة والقدرة ؛ وتارة يفوضون فلا يحددون المعنى المراد ويكلون علم ذلك إلى اللّٰه عز وجل . ولكنهم يتفقون على نفي الصفة لأن ناظمهم يقول : (ورم تنزيهًا) وشارح الجوهرة يقول : (أو فوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى(١) .

فهم بذلك متفقون على نفي تلك الصفات ، ويخيرون في تحديد المعنى المراد أو السكوت عن ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات ـ أي الصفات الخبرية ـ موافقة للمعتزلة والجهمية . ثم لهم قولان :

أحدهما : تأويل نصوصها ، وهو أول قولي أبي المعالي ، كما ذكره في الإرشاد .

والثاني : تفويض معانيها إلى الرب ، وهو آخر قولي أبي المعالي كما ذكره في « الرسالة النظامية » وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب .

ثم هؤلاء منهم من ينفيها ويقول : إن العقل الصريح نفى هذه الصفات . ومنهم من يقف ويقول : ليس لنا دليل سمعي ولا عقلي ، لا على إثباتها ولا على نفيها ، وهي طريقة الرازي والآمدي(٢) .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) تحفة المريد (ص ٩١) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٢٤٩)

الفصل الثالث

المشبهة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : من عرف بالتشبيه وبيان أقوالهم .

المبحث الثاني : من نسب إلى التشبيه .



المبحث الأول

من عرف بالتشبيه وبيان أقوالهم



من المعلوم أن توحيد الأسماء والصفات له ضدان هما :

١ - التعطيل ٢ - التمثيل

ولذلك ذم السلف والأئمة ، المعطلة النفاة للصفات ، وذموا المشبهة أيضًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن السلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجهمية النفاة للصفات ، وذموا المشبهة أيضًا ، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذم الجهمية ، لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه » .

وتقوم عقيدة أهل التمثيل على دعواهم أن اللّٰه عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل ، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة ، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين ، فقالوا له يد كيدي ، تعالى اللّٰه عن ذلك علوًا كبيرًا .

لكن المشبهة لا يمثلون الخالق يالمخلوق من كل وجه وإنما قالوا بإثبات التماثل من وجه والاختلاف من وجه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مع أن مقالة المشبهة الذين يقولون : يد كيدي ، وقدم كقدمي ، وبصر كبصري ، مقالة معروفة ، وقد ذكرها الأئمة كيزيد بن هارون ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وغيرهم وأنكروها وذموها ، ونسبوها إلى مثل داود الجواربي البصري وأمثاله . ولكن مع هذا صاحب هذه المقالة لا يمثله بكل شيء من الأجسام ، بل ببعضها ولابد مع ذلك أن يثبتوا التماثل من وجه ، لكن إذا أثبتوا من التماثل ما يختص بالمخلوقات كانوا مبطلين على كل حال »[١] .

وأكثر من عرف بمقالة التشبيه :

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٤٥) .

أولًا : قدماء الرافضة

فأول من تكلم في التشبيه هم طوائف من الشيعة[١] وإن التشبيه والتجسيم المخالف للعقل والنقل لا يُعرف في أحد من طوائف الأمة أكثر منهم في طوائف الشيعة .

وهذه كتب المقالات كلها تخبر عن أئمة الشيعة المتقدمين من المقالات المخالفة للعقل والنقل في التشبيه والتجسيم بما لا يعرف نظيره عن أحد من سائر الطوائف .

وقدماء الإمامية ومتأخروهم متناقضون في هذا الباب ، فقدماؤهم غلو في التشبيه والتجسيم ، ومتأخروهم غلو في النفي والتعطيل »[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة . ثم الرافضة حُرِموا الصواب في هذا الباب كما حُرِموه في غيره ، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة ، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم ، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل ، لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا »[٣].

وأما قدماؤهم فهم :

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٥٤) ، ومنهاج السنة (٢ / ٢١٧) .

(٢) منهاج السنة (٢ / ١٠٣) .

(٣) منهاج السنة (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣) .

١ ـ **البيانية** : من غلاة الشيعة وهم أتباع بيان بن سمعان التيمي الذي كان يقول : إن اللّه على صورة الإنسان وإنه يهلك كله إلا وجهه ، وادعى بيان أن يدعو الزُّهَرَة فتجيبه ، وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم ، فقتله خالد بن عبد اللّه القسري(١) .

٢ ـ **المغيرية** : وهم أصحاب المغيرة بن سعيد ، ويزعمون أنه كان يقول إنه نبي وإنه اسم اللّه الأكبر وإن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج ، وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل ، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة ، وإن حروف (أبي جاد) على عدد أعضائه ، قالوا : والألف موضع قدمه لاعوجاجها ، وذَكَرَ الهاءَ فقال : لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمرًا عظيما يعرِّض لهم بالعورة وبأنه قد رآه ، لعنه اللّه وأخزاه(٢).

٣ ـ **الهشامية** : ويسمون بالهشامية نسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي وأحيانًا تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي وكلاهما من الإمامية المشبهة والجدير بالذكر أن الرافضة الإمامية كان ينتشر فيهم التشبيه وهذا في أوائلهم(٣) .

٤ ـ **الجواربية** : أتباع داود الجواربي الذي وصف معبوده بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية(٤).

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٥) ، منهاج السنة (٢ / ٥٠٢) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٧) ، منهاج السنة (٢ / ٥٠٣ ـ ٥٠٤) .

(٣) شرح الأصفهانية (ص ٦٥) .

(٤) الفرق بين الفرق (ص ٢٢٨) ، مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٣) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٤ / ١٤٥) .

وقال : « اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك »(١) . تعالى اللَّه عما يقوله علوًا كبيرًا .

وقال الأشعري في المقالات : « وقال داود الجواربي : إن اللَّه جسم ، وإن له جُثةً وإنه على صورة الإنسان له لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره »(٢) .

وحكي عن داود الجواربي أنه كان يقول : إنه أجوف من فِيهِ إلى صدره مُصْمَتٌ ما سوى ذلك(٣) .

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » :

« اختلف الراوفض وأصحاب الإمامة في التجسيم وهم ست فرق :

فالفرقة الأولى : (الهشامية) ، أصحاب هشام بن الحكم الرافضي .

يزعمون أن معبودهم جسم ، وله نهاية وحَدٌ ، طويل ، عريض ، عميق طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، لا يُوفي بعضه على بعض ، وزعموا أنه نور ساطع ، له قدر من الأقدار ، في مكان دون مكان ، كالسبيكة الصافية يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ، ذو لون وطعم ، ورائحة ومجسَّة ، لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته » وذكر كلامًا طويلًا .

وذكر عن هشام أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل ، زعم مرة أنه كالبلورة ، وزعم مرة أنه كالسبيكة ، وزعم مرة أنه غير صورة ، وزعم مرة أنه بشبر نفسه سبعة أشبار ثم رجع عن ذلك وقال : هو جسم لا كالأجسام .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٠٥) .

(٢) المقالات (١ / ٢٠٩) .

(٣) منهاج السنة (٢ / ٦١٨) .

الفرقة الثانية : من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وإنما يذهبون في قولهم : إنه جسم ، إلى أنه موجود ، ولا يثبتون الباري ذا أجزاء مؤتلفة وأبعاض متلاصقة ويزعمون أن الله على العرش مستو بلا مماسة ولا كيف .

الفرقة الثالثة : من الرافضة يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان ، ويمنعون أن يكون جسمًا .

الفرقة الرابعة : من الرافضة (الهشامية) أصحاب هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحمًا ودمًا ويقولون هو نور ساطع يتلألأ بياضًا ، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان ، له يد ورجل ، وأنف ، وأذن ، وعين ، وفم ، وأنه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عنده ، وحكى أبو عيسى الوراق أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وَفْرَة[(١)] سوداء وأن ذلك نور أسود .

الفرقة الخامسة : يزعمون أن لرب العالمين ضياءً خالصًا ، ونورًا بحتًا ، وهو كالمصباح الذي من حيث جئته يلقاك بأمر واحد ، وليس بذي صورة ولا أعضاء ، ولا اختلاف في الأجزاء ، وأنكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة شيء من الحيوان .

الفرقة السادسة : من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس ، وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة

---

(١) الوفرة ، الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين ، أو ما جاوز شحمة الأذن . المصباح المنير ص ٦٦٧ مادة : وفر .

والخوارج ، وهؤلاء قوم من متأخريهم ، فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه .

قال شيخ الإسلام : « وأما متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ونحو ذلك فإنهم صار فيهم من يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم »(١) .

وقال أيضًا : « وكتب الشيعة مملوءة بالاعتماد في ذلك - يعني مسائل الصفات والقدر - على طرق المعتزلة وهذا كان في أواخر المائة الثالثة ، وكثر في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي والطوسي .

وأما قدماء الشيعة فالغالب عليهم ضد هذا القول ، كما هو قول الهشامية وأمثالهما .

فالرافضة الإمامية وكذلك الزيدية على عقيدة المعتزلة في مسائل الصفات إلى يومنا هذا .

ثانيًا : غلاة المتصوفة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال الأشعري : وفي الأمة قوم ينتحلون النسك ، يزعمون أنه جائز على الله تعالى الحلول في الأجسام ، وإذا رأوا شيئًا يستحسنونه قالوا : لا ندري ، لعله ربنا .

ومنهم من يقول : إنه يرى الله في الدنيا على قدر الأعمال ، فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن .

ومنهم من يجوّز على الله تعالى المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا ، ومنهم

---

(١) نقض تأسيس الجهمية (١ / ٥٤) .

من يزعم أن اللّٰه تعالى ذو أعضاء وجوارح وأبعاض : لحم ودم على صورة الإنسان له ما للإنسان من الجوارح .

وكان من الصوفية رجل يُعرف بأبي شعيب يزعم أن اللّٰه يسر ويفرح بطاعة أوليائه ، ويغتم ويحزن إذا عَصَوْهُ .

وفي النسّاك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم فيها العبادات وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم ـ من الزنا وغيره ـ مباحات لهم . وفيهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يروا اللّٰه ، ويأكلوا من ثمار الجنة ، ويعانقوا الحور العين في الدنيا ويحاربوا الشياطين .

ومنهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يكونوا أفضل من النبيين والملائكة المقربين[١] .

قلت : هذه المقالات التي حكاها الأشعري ـ وذكروا أعظم منها ـ موجودة في الناس قبل هذا الزمان . وفي هذا الزمان منهم من يقول بحلوله في الصور الجميلة ، ويقول إنه بمشاهدة الأمرد يشاهد معبوده أو صفات معبوده أو مظاهر جماله ، ومن هؤلاء من يسجد للأمرد . ثم من هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد العام ، لكنه يتعبد بمظاهر الجمال ، لما في ذلك من اللذة له ، فيتخذ إلهه هواه ، وهذا موجود في كثير من المنتسبين إلى الفقر والتصوف . ومنهم من يقول إنه يرى اللّٰه مطلقًا ولا يعيِّن الصورة الجميلة ، بل يقولون إنهم يرونه في صور مختلفة . ومنهم من يقول : إن المواضع المخضرَّة خطا عليها ، وإنما اخضرت من وطئه عليها ، وفي ذلك حكايات متعددة يطول وصفها . وأما القول بالإباحة وحل المحرمات ـ أو بعضها ـ للكاملين في العلم والعبادة فهذا

(١) مقالات الإسلاميين ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .

أكثر من الأول ، فإن هذا قول أئمة الباطنية القرامطة الإسماعيلية وغير الإسماعيلية وكثير من الفلاسفة ، ولهذا يُضرب بهم المثل فيقال : فلان يستحل دمي كاستحلال الفلاسفة محظورات الشرائع ، وقول كثير ممن ينتسب إلى التصوف والكلام ، وكذلك من يفضل نفسه أو متبوعه على الأنبياء ، موجود كثير في الباطنية والفلاسفة وغلاة المتصوفة وغيرهم ، وبسط الكلام على هذا له موضع آخر .

ففي الجملة هذه مقالات منكرة باتفاق علماء السنة والجماعة ، وهي - وأشنع منها - موجودة في الشيعة .

وكثير من النسَّاك يظنون أنهم يرون اللّٰه في الدنيا بأعينهم ، وسبب ذلك أنه يحصل لأحدهم في قلبه بسبب ذكر اللّٰه تعالى وعبادته من الأنوار ما يغيب به عن حسه الظاهر ، حتى يظن أن ذلك شيء يراه بعينه الظاهرة ، وإنما هو موجود في قلبه .

ومن هؤلاء من تخاطبه تلك الصورة التي يراها خطاب الربوبية ويخاطبها أيضًا بذلك ، ويظن أن ذلك كله موجود في الخارج عنه ، وإنما هو موجود في نفسه ، كما يحصل للنائم إذا رأى ربه في صورة بحسب حاله . فهذه الأمور تقع كثيرًا في زماننا وقبله ، ويقع الغلط منهم حيث يظنون أن ذلك موجود في الخارج .

وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان ، ويرى نورًا أو عرشًا أو نورًا على العرش ، ويقول : أنا ربك . ومنهم من يقول : أنا نبيك ، وهذا قد وقع لغير واحد .

ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية أو غير ذلك ، ويكون المخاطب له جنيا ، كما قد وقع لغير واحد . لكن بسط الكلام على ما يُرى ويُسمع وما هو في النفس والخارج ، وتمييز حقه من باطله ليس هذا

موضعه ، وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع .

وكثير من الجهَّال أهل الحال وغيرهم يقولون : إنهم يرون اللَّه عيانًا في الدنيا وأنه يخطو خطوات »(١) .

« فأدخلوا في ذلك من الأمور ما نفاه اللَّه ورسوله ، حتى قالوا : إنه يُرى في الدنيا بالأبصار ، ويصافح ، ويعانق ، وينزل إلى الأرض ، وينزل عشية عرفة راكبًا على جمل أورق يعانق المشاة ويصافح الركبان ، وقال بعضهم : إنه يندم ويبكي ويحزن ، وعن بعضهم أنه لحم ودم ، ونحو ذلك من المقالات التي تتضمن وصف الخالق جل جلاله بخصائص المخلوقين .

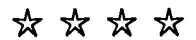
واللَّه سبحانه منزه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين ، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص ، واللَّه تعالى منزَّه عن كل نقص ومستحق لغاية الكمال ، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال ، فهو منزه عن النقص مطلقًا ، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل ، كما قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١ ـ ٤] ، فبين أنه أحدٌ صمدٌ ، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل ، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال ، كما قد بينا ذلك في الكتاب المصنَّف في تفسير قل هو اللَّه أحد »(٢) .

وهذه النقول توضح بجلاء تخبط بعض المتصوفة في هذا الباب ، وهذا الشر إنما دخل على أكثرهم بسبب المنهج الباطني الذي تقوم عليه المبادئ الصوفية والتي يُهمل فيها الجانب العلمي المعتمد على النصوص الشرعية ، فالتصوف

(١) منهاج السنة (٢ / ٦٢٢ ـ ٦٢٥) .

(٢) منهاج السنة (٢ / ٥٢٨ ـ ٥٣٠) .

في مبادئه يقوم على الجانب العملي المنحرف عن نصوص الوحي ، والمعتمد على بعض الرياضات النفسية والجسمية التي أحدثها أرباب هذا المنهج ، والتي يتولد عنها الكثير من الأمور الفاسدة ، كزعمهم رؤية اللّٰه عيانًا وسقوط الشرائع والأحكام عنهم وغير ذلك مما تقدم ذكره ، وذلك في حقيقته إنما هو من استدراج الشيطان فهو الذي يخيل لهم مثل تلك الأمور ، ولو كان عند هؤلاء فقه في دين اللّٰه ومعرفة للنصوص لعلموا أن ذلك لا صحة له .



المبحث الثاني
من نُسب إلى التشبيه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفرق بين التشبيه والتجسيم

المطلب الثاني : من نسب إلى التشبيه



المطلب الأول

الفرق بين التشبيه والتجسيم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وفي الجملة الكلام في التمثيل والتشبيه ونفيه عن اللَّه مقام ، والكلام في التجسيم ونفيه مقام آخر .

فإن الأول دل على نفيه الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة ، واستفاض عنهم الإنكار على المشبهة الذين يقولون : يد كيدي ، وبصر كبصري ، وقدم كقدمي .

وقد قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ﴾ [الشوري : ١١] ، وقال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقال ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] وأيضا فنفي ذلك معروف بالدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض ، وأما الكلام في الجسم والجوهر ، ونفيهما أو إثباتهما ، فبدعة ليس لها أصل في كتاب اللَّه ولا سنة رسوله ، ولا تكلم أحد من السلف والأئمة بذلك نفيًا ولا إثباتًا .

والنزاع بين المتنازعين في ذلك : بعضه لفظي ، وبعضه معنوي . أخطأ هؤلاء من وجه وأخطأ هؤلاء من وجه .

فإن كان النزاع مع من يقول : هو جسم أو جوهر ، إذا قال : لا كالأجسام ولا كالجواهر ، وإنما هو في اللفظ .

فمن قال : هو كالأجسام والجواهر ، يكون الكلام معه بحسب ما يفسره من المعنى .

فإن فسر ذلك بالتشبيه الممتنع على اللَّه تعالى ، كان قوله مردودًا .

وذلك بأن يتضمن قوله إثبات شيء من خصائص المخلوقين لله ، فكل قول تضمن هذا فهو باطل .

وإن فسر قوله : جسم لا كالأجسام بإثبات معنى آخر ، مع تنزيه الرب عن خصائص المخلوقين ، كان الكلام معه في ثبوت ذلك المعنى وانتفائه .

فلابد أن يلحظ في هذا إثبات شيء من خصائص المخلوقين للرب أولا وذلك مثل أن يقول : أصفه بالقدر المشترك بين سائر الأجسام والجواهر ، كما أصفه بالقدر المشترك بينه وبين سائر الموجودات ، وبين كل حي عليم سميع بصير ، وإن كنت لا أصفه بما تختص به المخلوقات ، وإلا فلو قال الرجل : هو حي لا كالأحياء ، وقادر لا كالقادرين ، وعليم لا كالعلماء ، وسميع لا كالسمعاء ، وبصير لا كالبصراء ، ونحو ذلك ، وأراد بذلك نفي خصائص المخلوقين ، فقد أصاب .

وإن أراد نفي الحقيقة التي للحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك ، مثل أن يثبت الألفاظ وينفي المعنى الذي أثبته الله لنفسه ، وهو من صفات كماله ، فقد أخطأ .

إذا تبين هذا فالنزاع بين مثبتة الجوهر والجسم ونفاته ، يقع من جهة المعنى في شيئين : أحدهما : أنهم متنازعون في تماثل الأجسام والجواهر على قولين معروفين .

فمن قال بتماثلها ، قال : كل من قال : إنه جسم لزمه التمثيل .

ومن قال إنها لا تتماثل ، قال : إنه لا يلزمه التمثيل .

ولهذا كان أولئك يسمون المثبتين للجسم مشبهة ، بحسب ما ظنوه لازمًا لهم ، كما يسمى نفاة الصفات لمثبتيها مشبهة ومجسمة ، حتى سموا جميع

المثبتة للصفات مشبهة ومجسمة وحشوية ، وغثاء ، وغثراء ، ونحو ذلك بحسب ما ظنوه لازمًا لهم .

لكن إذا عرف أن صاحب القول لا يلتزم هذه اللوازم ، لم يجز نسبتها إليه على أنها قول له ، سواء كانت لازمة في نفس الأمر أو غير لازمة ، بل إن كانت لازمة مع فسادها ، دل على فساد قوله »[١] .

ومن كلام شيخ الإسلام هذا يفهم الفرق بين اللفظين ، فلفظ التمثيل والتشبيه نفيه ثابت في الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة .

أما لفظ التجسيم فإنه من الألفاظ المحدثة التي لابد من الاستفصال عن مراد صاحبها قبل الحكم عليها كما بيّن شيخ الإسلام هنا .

ويترتب على ذلك أن بعض الفرق التي رميت بالتجسيم قد لا يكون مقصودها التشبيه والتمثيل المذموم ولذلك لا يصح رميها بالتمثيل والتشبيه ، فهي لا تذم من هذا الوجه ، وإن كان الذم قد يلحقها من وجه آخر كتوسعها في استعمال هذه الألفاظ المحدثة ، وهذا ما سيأتي بيانه في المطلب التالي .



(١) درء تعارض العقل والنقل ٤ / ١٤٥ - ١٤٨ .

المطلب الثاني

من نسب إلى التشبيه

١ ـ **الكرامية**[١] هم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) .

وهم في باب الصفات يثبتونها ولكنهم خالفوا أهل السنة في مسألتين :

المسألة الأولى : أنهم يبالغون في الإثبات ويخوضون في شأن الكيفية ، ودخل عليهم ذلك من جهة إطلاقهم لألفاظ مبتدعة كلفظ (الجسم) ، و (المماسة) .

ومن بدع الكرامية أنهم يقولون في المعبود إنه جسم لا كالأجسام[٢] .

ومن بدعهم قولهم : إن الأزلي الخالق جسم لم يزل ساكنا[٣] .

ويقولون : إن اللّه جسم قديم أزلي ، وإنه لم يزل ساكنًا ثم تحرك لما خلق

---

(١) يبلغ عدد طوائف الكرامية اثنتي عشرة فرقة وأصولها ستة هي :

١ ـ العابدية ، ٢ ـ النونية ، ٣ ـ الزرينية ، ٤ ـ الإسحاقية ، ٥ ـ الواحدية ، ٦ ـ الهيصمية .

(وهم في باب الإيمان مرجئة يقولون : إن الإيمان هو القول فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان ، لكن إن كان مقرًا بقلبه كان من أهل الجنة ، وإن كان مكذبًا بقلبه كان منافقًا مؤمنًا من أهل النار ، وبعض الناس يحكي عنهم أنه من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم ، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان وإنه من أهل النار) . انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٦) .

وانظر الكلام عن الكرامية في الفصل لابن حزم (٤ / ٤٥ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٥) ، لسان الميزان (٥ / ٣٥٣ ـ ٣٥٦) ، والفرق بين الفرق (ص ١٣٠ ـ ١٣٧) ، والملل والنحل (١ /١٨٠ ـ ١٩٣) .

(٢) لسان الميزان (٥ / ٣٥٤) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٦) .

العالم ، ويحتجون على حدوث الأجسام المخلوقة بأنها مركبة من الجواهر المفردة ، فهي تقبل الاجتماع والافتراق ، ولا تخلو من اجتماع وافتراق ، وهي أعراض حادثة لا تخلو منها ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

وأما الرب فهو عندهم واحد لا يقبل الاجتماع والافتراق ، ولكنه لم يزل ساكنًا . والسكون عندهم أمر عدمي ، وهو عدم الحركة عمّا من شأنه أن يتحرك ، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة . وهؤلاء يقولون : إن الباري لم يزل خاليًا من الحوادث حتى قامت به ، بخلاف الأجسام المركَّبة من الجواهر المفردة ، فإنها لا تخلو من الاجتماع والافتراق[(١)] .

ويقولون : إن الصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم ، ويجوزون وجود جسم ينفك من قيام الحوادث به ثم يحدث فتقوم به بعد ذلك[(٢)] .

ويقول ابن كرام : إن اللّه مماس للعرش من الصفحة العليا[(٣)] .

ويقول كذلك : له حد من الجانب الذي ينتهي إلى العرش ولا نهاية له[(٤)] .

وقد غالى أتباع ابن كرام في شأن الكيفية فزعم بعضهم أنه تعالى على بعض أجزاء العرش[(٥)] . وادعى بعضهم أن العرش امتلأ به بحيث لا يزيد على عرشه من جهة المماسة ، ولا يفضل منه شيء على العرش[(٦)].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٢٢٧) .

(٢) المصدر السابق (٥ / ٢٤٦) .

(٣) الفرق بين الفرق (ص ١٩٨) ، والملل والنحل (١ / ١٠٨ - ١٠٩) .

(٤) التبصير في الدين (ص ١١٢) .

(٥) الملل والنحل (١ / ١٠٩) .

(٦) الفرق بين الفرق (ص ١٩٩) ، وأصول الدين للبغدادي (ص ٧٣ ، ١١٢) ، والملل =

المسألة الثانية : إن الكرامية يثبتون الصفات بما فيها أن اللّه تعالى تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته ، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن ، أنه يصير موصوفًا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك ، وقالوا : لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث ، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها ، فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها .

فعندهم أن اللّه يتكلم بأصوات تتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه تقوم به الحوادث المتعلقة بمشيئته وقدرته ، لكن ذلك حادث بعد أن لم يكن ، وأن اللّه في الأزل لم يكن متكلمًا إلا بمعنى القدرة على الكلام ، وأنه يصير موصوفًا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك(١) .

ومعلوم أن عقيدة السلف تقوم على إثبات جميع الصفات الذاتية منها والفعلية ، وأثبتوا أن اللّه متصف بذلك أزلًا ، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم ، وإن كانت المفعولات محدثة(٢) .

٢ - مقاتل بن سليمان(٣).

= والنحل (١ / ١٠٩) .

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٤ - ٥٢٥) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٢ / ٧٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٩ ، ٥٢٠ - ٥٢٥) .

(٣) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير ، الأزدي بالولاء ، البلخي ، الخراساني ، المروزي ، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها . ذكره الذهبي في آخر ترجمة ابن حيان (تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٤) وقال : (فأما مقاتل بن سليمان المفسر فكان في هذا الوقت ، وهو متروك الحديث ، وقد لطخ بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا في التفسير) . وقد توفي بالبصرة سنة (١٥٠ هـ) . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٧٩ - ٢٨٥) ، ميزان الاعتدال (٣ / ١٩٦ - ١٩٧) ، تاريخ بغداد (١٣ / ١٦٠ - ١٦٩) ، وفيات الأعيان (٤ / ٣٤١ - ٣٤٣) .

نُسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر أنه من المشبهة وذكروا أنه هو الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة : أتانا من المشرق رأيان خبيثان ؛ جهم معطل ، ومقاتل مشبه »[١]

وقال ابن حبان : « كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي وافق كتبهم ، وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث »[٢] .

وقال أبو الحسن الأشعري في « المقالات » : « وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان : إن اللَّه جسم وإنه جثة على صورة الإنسان لحمٌ ودمٌ وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره »[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما مقاتل فاللَّه أعلم بحقيقة حاله . والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة ، وفيهم انحراف على مقاتل ابن سليمان ، فلعلهم زادوا في النقل عنه ، أو من نقلوا عنه ، أو نقلوا عن غير ثقة ، وإلا فما أظنه يصل إلى هذا الحد . وقد قال الشافعي : من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل[٤] ، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة . ومقاتل بن سليمان وإن لم يكن ممن يحتج به في الحديث ـ بخلاف مقاتل بن حيان فإنه ثقة ـ لكن لا ريب في علمه في التفسير وغيره واطلاعه ، كما أن أبا حنيفة

---

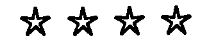
(١) لسان الميزان (١٠ / ٢٨١) .

(٢) ميزان الاعتدال (٤ / ١٧٥) .

(٣) المقالات (ص ٢٠٩) .

(٤) وجاء في « وفيات الأعيان » في ترجمة مقاتل بن سليمان : « حكي عن الإمام الشافعي رضي اللَّه عنه أنه قال : الناس كلهم عيال على ثلاثة ، على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي حنيفة في الكلام » وفيات الأعيان (٤ / ٣٤١) .

وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه ، فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه ، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه ، وهي كذب عليه قطعًا ، مثل مسألة الخنزير البري ونحوها ، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب »[١] .



(١) منهاج السنة (٢ / ٦١٨ ـ ٦٢٠) .

الخـــاتمـــة



دين اللّٰه وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ، وقد عُرف عن أهل السنة وسطيتهم في جميع أمور الدين بما في ذلك مسائل العقيدة ، والتي من بين أهم مسائلها مسألة الإيمان بأسماء اللّٰه وصفاته .

وقد تبين من خلال ما تقدم عرضه في ثنايا البحث وسطية أهل السنة في هذا الباب بين الغلاة من المشبهة ، والجفاة من المعطلة . الأمر الذي يشهد لمنهج أهل السنة والجماعة بأنه المنهج الأسلم والأعلم والأحكم ، وذلك لموافقته لنصوص الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح من هذه الأمة .

وبحمد اللّٰه كان متمسك أهل السنة في هذا الباب وغيره من مسائل الدين بهذه الأصول الثابتة التي بها يَفصل النزاع بين الناس ، فالناس لا يفصل بينهم النزاع إلا الشرع المُنَزَّل ، فلا يمكن الفصل بينهم بالرد إلى عقولهم وأهوائهم إذ لكل واحد منهم عقله وهواه ، ولو تركوا لعقولهم لزعم كل واحد منهم أن عقله أداه إلى ما ينازعه فيه الآخر .

ومن المعلوم أن العقل المجرد لا يمكنه إدراك ما يستحقه اللّٰه تعالى من الأسماء والصفات على وجه التفصيل ، فوجب الرجوع في علم ذلك على النصوص القرآن والسنة .

فمن فضل اللّٰه ونعمته أن تَعَرَّف لعباده عن طريق ما أخبر به من أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة ، فهما مليئان بالنصوص الصريحة الدالة على أسمائه وصفاته ، وتلك النصوص هي من الوضوح والكثرة بمكان بحيث يستحيل إنكارها وتأويلها والتلاعب بنصوصها .

وكلما ازداد المسلم اطلاعًا ومعرفة بتلك النصوص وما دلت عليه ، لم يزده إنكار أهل الباطل لها إلا احتقارًا لهم ويقينًا بفساد معتقدهم وبطلانه .

ولقد جاءت رسالة النبي ﷺ بإثبات الأسماء والصفات إثباتًا مفصلًا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء ، وحصل العلم اليقيني ، ورفع الشك والريب فثلجت به الصدور ، واطمأنت به القلوب ، واستقر الإيمان في نصابه ففصلت الأسماء والصفات والنعوت والأفعال أعظم من تفصيل الأمر والنهي وقررت إثباتها أكمل تقرير في أبلغ لفظ .

وهذه الأصول الكلية هي التي ميزت عقيدة أهل السنة عن عقائد خصومهم فضمنت لهم بحمد الله صحة المعتقد وسلامة المنهج . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت ، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم »(١) .

وما ضل من ضل في هذا الباب وغيره إلا بتركه لتلك الأصول الكلية التي يجب الرجوع إليها في جميع مسائل الدين كبيرها وصغيرها ، فالسعيد من لزم السنة وتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وفهم السلف الصالح .

قال الإمام أحمد : « اعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة ، وأن تأويل من تأول القرآن بلا سنة تدل على معنى ما أراد الله منه ، أو أُثر عن أصحاب رسول الله ﷺ ، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ أو عن أصحابه ، فهم شاهدوا النبي ﷺ ، وشهدوا تنزيله ، وما قصه الله له في القرآن ، وما عنى به ، وما أراد به أَخاص هو أم هو عام .

فأما من تأوله على ظاهره بلا دلالة من رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة

---

(١) منهاج السنة ٥ / ٨٣ .

فهذا تأويل أهل البدع ؛ لأن الآية قد تكون خاصة ويكون حكمها حكمًا عامًا ويكون ظاهرها على العموم ، وإنما قصدت لشيء بعينه ، ورسول الله ﷺ هو المعبر عن كتاب الله وما أراد ، وأصحابه أعلم بذلك منا ، لمشاهدتهم الأمر وما أريد بذلك »(١) .

فهذه العبارة وما حوته من قواعد رسمت منهج أهل السنة والجماعة ، ذلك المنهج الذي لم يتغير باختلاف المسائل ومرور العصور وتعدد الأجيال .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



(١) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .



المصادر والمراجع

١ ـ أحسن التقاسيم ـ محمد بن أحمد المقدسي ـ ط ١ ، ١٩٠٦ م ، ليدن .
٢ ـ الأسماء والصفات ـ أحمد بن حسين البيهقي ـ تحقيق عبد اللّٰه بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
٣ ـ أصول الدين ـ البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ـ طبعة مصورة من الطبعة الأولى بإسطمبول ، ١٣٤٦ هـ .
٤ ـ الأنساب ـ عبد الكريم بن محمد السمعاني ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، مصورة مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق ، ١٩٧٠ م .
٥ ـ الاستقامة ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
٦ ـ إشارات المرام من عبارات الإمام ـ كمال الدين أحمد البياضي الحنفي ـ تحقيق يوسف عبد الرزاق ، ط ١ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .
٧ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبة المعارف ، الرياض .
٨ ـ الإيمان ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ضمن مجموع الفتاوى .
٩ ـ الاقتصاد في الاعتقاد ـ أبو حامد الغزالي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٠ ـ بدائع الفوائد ـ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
١١ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية .
١٢ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية) ـ شيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ـ مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ .
١٣ ـ بيان فضل علم السلف على الخلف ـ ابن رجب الحنبلي ـ تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، الدار السلفية .
١٤ ـ تاريخ بغداد ـ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٥ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ـ أبو المظفر الإسفراييني ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ .
١٦ ـ تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد ـ إبراهيم اللقاني ـ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
١٧ ـ تذكرة الحفاظ ـ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٥٨ .
١٨ ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
١٩ ـ تهذيب التهذيب ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ط ١ ، ١٣٢٥ .
٢٠ ـ جامع المتون في حق أنواع الصفات الإلهية والعقائد الماتريدية ـ أحمد ضياء الدين بن مصطفى ـ ط ١ على الحجر ، دار الطباعة العامرة ، الآستانة ، ١٢٧٣ هـ .
٢١ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٢ ـ جلاء الأفهام ـ ابن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢٣ ـ درء تعارض العقل والنقل ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق د / محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٢٤ ـ الرد عل الجهمية والزنادقة في ما شكوا فيه من متشابه القرآن ـ الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٧١ .
٢٥ ـ الرد على المنطقيين ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان .
٢٦ ـ الرد على بشر المريسي ـ عثمان بن سعيد الدارمي ـ ضمن مجموعة عقائد السلف ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .
٢٧ ـ الرد على من أنكر الحرف والصوت ـ أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي ـ تحقيق محمد باكريم با عبد الله ، مطبوعات المجلس العلمي ، الجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية .
٢٨ ـ رسالة العقل والروح ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية .
٢٩ ـ شأن الدعاء ـ أبو سليمان الخطابي ـ تحقيق : أحمد يوسف الدّقاق ، دار المأمون ، القاهرة ، مصر .
٣٠ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ أبو القاسم اللالكائي ـ تحقيق : أحمد سعد الغامدي ، دار طيبة ، الرياض .

٣١ ـ شرح العقيدة الأصفهانية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار الكتب الإسلامية ، مصر .
٣٢ ـ شفاء العليل ـ ابن القيم الجوزية ـ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٣٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ مسلم بن الحجاج القشيري ـ دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ .
٣٤ ـ الصفدية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٣٥ ـ الصواعق المرسلة ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق : علي محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض .
٣٦ ـ الصواعق المنزلة ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق : علي ناصر فقيهي ، وأحمد عطية الغامدي ، طبعة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .
٣٧ ـ العقيدة السلفية في كلام رب البرية ـ عبد الله بن يوسف الجديع ـ مطابع دار السياسة ، الكويت .
٣٨ ـ العلو للعلي الغفار ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ المكتبة السلفية ، المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية .
٣٩ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
٤٠ ـ الفتوحات المكية ـ محيي الدين ابن عربي ـ دار صادر ، بيروت ، لبنان .
٤١ ـ الفرق بين الفرق ـ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٤٢ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ أبو محمد ، علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي ، مصر .
٤٣ ـ فصوص الحكم ، ابن عربي ـ تحقيق محمود غراب ، مطبعة زيد بن ثابت ، ١٤٠٥ هـ .
٤٤ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ ابن تيمية ـ تحقيق : ربيع بن هادي المدخلي ، دار لينة .
٤٥ ـ القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ـ عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٢ .
٤٦ ـ القواعد المثلى ـ محمد بن صالح العثيمين ـ مكتبة الكوثر .
٤٧ ـ لسان الميزان ـ علي بن حجر العسقلاني ـ مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ .

٤٨ ـ لوامع الأنوار البهية ـ محمد بن أحمد الفاريني ـ مطبعة المدني .
٤٩ ـ الماتريدية دراسة وتقويم ـ أحمد بن عوض الله الحربي ـ دار العاصمة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
٥٠ ـ الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات د شمس الدين الأفغاني ـ مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .
٥١ ـ مجموع الفتاوى ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، دار العربية ، بيروت ، لبنان .
٥٢ ـ المحلى ـ ابن حزم الأندلسي ـ مكتبة الجمهورية ، القاهرة ، مصر .
٥٣ ـ مدارج السالكين ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، ١٩٧٢ م .
٥٤ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٥٥ ـ المستصفى ـ أبو حامد الغزالي ـ دار المعرفة ، بيروت لبنان .
٥٦ المسند ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ دار صادر ، بيروت لبنان .
٥٧ ـ معارج القبول ـ حافظ بن أحمد الحكمي ـ المطبعة السلفية .
٥٨ ـ معالم التنزيل ـ الحسين بن مسعود البغوي ـ دار المعرفة ، بيروت لبنان .
٥٩ ـ المعتزلة وأصولهم الخمسة ـ عواد بن عبد الله المعتق ـ دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
٦٠ ـ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ـ د / محمد خليفة التميمي ـ دار إيلاف الدولية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
٦١ ـ معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ـ د / محمد خليفة التميمي ـ دار إيلاف الدولية ، الكويت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
٦٢ ـ المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد الطبراني ـ تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الدار العربية بغداد .
٦٣ ـ مقالات الإسلاميين ـ أبو الحسن ، علي بن إسماعيل الأشعري ـ تحقيق محمد محيي الدين ، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٣٨٩ هـ .
٦٤ ـ مقدمة ابن خلدون ـ مصطفى محمد ـ دار الفكر ، بيروت لبنان .
٦٥ ـ مقدمة التمهيد ـ الباقلاني ـ تحقيق الخضيري وأبو ريدة .

٦٦ ـ الملل والنحل ـ أبو الفتح ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ تحقيق محمد سيد الكيلاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهر ، مصر ، ١٣٨٧ .

٦٧ ـ منهاج السنة ـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٦٨ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ـ محمد الأمين الشنقيطي ـ طبعة الجامعة الإسلامية .

٦٩ ـ موارد الضمآن في زوائد ابن حبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٧٠ ـ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ـ عبد الرحمن المحمود ـ مكتبة الرشد الرياض .

٧١ ـ ميزان الاعتدال ـ محمد بن أحمد عثمان الذهبي ـ تحقيق علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٧٢ ـ النبوات ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٧٣ ـ نشأة الأشعرية وتطورها ـ جلال موسى ـ دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٣٩٥ هـ .

٧٤ ـ نظم الفرائد وجمع الفوائد ـ عبد الرحيم بن علي شيخ زاده ـ المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣١٧ هـ .

٧٥ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ تحقيق : إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ، لبنان .

☆ ☆ ☆ ☆



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول : أهل السنة والجماعة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات	٩
المبحث الأول : التعريف بأهل السنة والجماعة	١١
المطلب الأول : التعريف بهم	١٣
المطلب الثاني : بيان وسطيتهم	١٧
المبحث الثاني : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات	١٩
المطلب الأول : موقفهم من توحيد الأسماء والصفات عمومًا	٢١
المطلب الثاني : موقفهم من باب الأسماء	٢٨
المطلب الثالث : موقفهم من باب الصفات	٤٥
الفصل الثاني : طوائف المعطلة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات	٦٥
المبحث الأول : الفلاسفة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات	٦٧
المطلب الأول : التعريف بهم	٦٩
المطلب الثاني : قولهم في توحيد الأسماء والصفات	٧٤

المبحث الثاني : أهل الكلام وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٨٣

المطلب الأول : التعريف بهم ٨٥

المطلب الثاني : مواقفهم من توحيد الأسماء والصفات. ١٠١

الفصل الثالث : المشبهة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ١١٣

المبحث الأول : من عرف بالتشبيه وبيان أقوالهم ١١٥

المبحث الثاني : من نُسب إلى التشبيه ١٢٧

المطلب الأول : الفرق بين التشبيه والتجسيم ١٢٩

المطلب الثاني : من نسب إلى التشبيه ١٣٢

الخاتمة ١٣٧

المصادر والمراجع ١٤٣

فهرس الموضوعات ١٤٩

☆ ☆ ☆ ☆

سلسلة دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات:
(٣)

مقالة التعطيل والجعد بن درهم

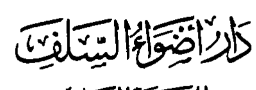
تأليف

الدكتور محمد بن خليفة التميمي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

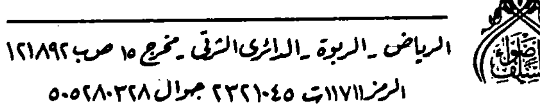
أضواء السلف

الطّبعة الأولى

١٤١٨هـ/١٩٩٧م








لصاحبها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ للَّهِ نَحْمَدُه ونستعينه ونستغفره ، ونَعُوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سَيِّئات أعمالنا ، مَن يَهْدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له .

وَأَشْهدُ أنْ لا إله إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، وَأَشْهد أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورَسُولُه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١]

أما بعد :

فإن أَصْدَقَ الحديث كلام اللَّه ، وخَير الهَدي هديُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمور مُحْدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة ، وكلَّ ضَلَالةٍ في النَّار .

إن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض وَمَن عليها، فأهل الباطل يسعون قديماً وحديثاً لطمس نور الحق الذي أنزله الله لعباده، ولكن الله عز وجل حفظ هذا النور لتقوم الحجة على العباد .

وقد قال عز من قائل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٧ - ٩] .

فهذه الآيات جسدت حقيقة الصراع القائم وأوضحت وكشفت بجلاء عن محاولات أهل الباطل لصد الناس عن الحق وسعيهم الحثيث في إطفاء نوره .

ومن بين حلقات الصراع الدائر بين أهل الحق وخصومهم ما يتعلق بأهم مسائل الدين وقضاياه ألا وهي مسألة الإيمان بالله عز وجل .

فقد سعى أعداء هذا الدين في طمس الحقائق الشرعية التي وردت بها النصوص ، وأخذ ذلك السعي أنماطاً مختلفة ومن بين تلك الأنماط والأشكال ما يسمى عند أهل العلم بمقالة التعطيل التي أخذ أصحابها على عاتقهم الكيد والدس والكذب والافتراء على الله في هذا الأصل العظيم من أصول هذا الدين، وقصدهم في ذلك حجب العباد عن المعرفة الصحيحة بالله عز وجل التي جاءت بها نصوص الوحي .

وتعد مقالة التعطيل من أكثر المقالات خطورة نظراً لأبعادها الخطيرة التي تشكلها على الإسلام وأهله .

فالبعد الأول الذي يدلل على خطورة هذه المقالة كونها تمس أعظم جوانب هذا الدين وأكبر مسائله ألا وهو الإيمان بالله عز وجل الذي هو أول أركان الإيمان وأعظم مبانيه .

فأصحاب هذه المقالة سعوا في صد الناس عن هذا الدين من طريق الوقوف على

بابه الذي يدخل منه، ذلك لأن من عرف الله عرف ما سواه ، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل . فأرادوا بتعطيلهم لأسماء الله وصفاته قطع الطريق من أوله .

ولله در سليمان التيمي (١٤٣هـ) إذ قال: « ليس قوم أشد نقضاً للإسلام من الجهمية والقدرية ، وأما الجهمية فقد بارزوا الله ؛ وأما القدرية فقد قالوا في الله عز وجل »[١].

وأما البعد الثاني في خطورة هذه المقالة : فهو كونها أول مقالة تعارض الوحي بالعقل ، فلم تكن المقالات السابقة لهذه المقالة تطعن في الدين من هذا الجانب .

فالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة عند ظهورهم لم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا من سوء الفهم للنصوص والاستبداد بما ظهر لهم منها دون من قبلهم ، فكانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم، ولا يدعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص .

فأصحاب مقالة التعطيل هم الذين فتحوا هذا الباب العظيم من أبواب الشر إذ طعنوا في نصوص الوحي وقدموا شبههم العقلية عليها .

وأما البعد الثالث لهذه المقالة : فهو ما أفرزته هذه المقالة من الفرق والآراء المنحرفة ، فقد تولد عن هذه المقالة أنماط مختلفة وطروحات غريبة عن جوهر الإسلام وصفائه .

وضربت هذه المقالة أطنابها في الفكر الإسلامي ، ولا يتصور مدى الضرر الذي ألحقته بحياة المسلمين وعقيدتهم .

---

(١) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/١٠٤، ١٠٥ رقم (٨) .

فالتيار الفلسفي والكلامي بتفرعاته ومدارسه وطوائفه إنما هو نتاج هذه المقالة الخبيثة التي تولى كبر إظهارها شيخ المعطلة النفاة الجعد بن درهم ، وتبعه في ذلك تلميذه الجهم بن صفوان ثم توالت طوائف الباطل تذكى نار هذه المقالة وتنفث من خلالها سمومها إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه .

ونظراً لهذه الأبعاد الخطيرة لهذه المقالة ، فقد أحببت أن أطلع القارئ الكريم من خلال هذا الطرح العلمي على مضامين هذه المقالة وبدء ظهورها والنشأة التاريخية والأطوار التي مرت بها، وكذا التعريف بطوائفها ومسالكها، مع تسليط الضوء على أول من أظهرها وبذرها .

فهذه الجوانب لم تنل حظها وحقها من الدراسة مع كونها جديرة بالعناية والإهتمام لأنها تمد الدارس لباب الأسماء والصفات وتزوده بمعلومات مهمة عن هذه المسألة وبالأخص في جانبيها التاريخي والمقالي بالإضافة إلى كونها تساعده في فهم وتصور جوانب الخلاف العقدي الدائر في هذه القضية .

وقد سرت في عرضي لجوانب هذه الدراسة وفق الترتيب التالي:

قسمت الموضوع إلى بابين :

الباب الأول : التعريف بالتعطيل وأطواره .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف التعطيل وأنواعه .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التعطيل .

المطلب الثاني : أنواع التعطيل .

المبحث الثاني : درجات التعطيل .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : درجات التعطيل في باب الأسماء والصفات عموماً .

المطلب الثاني : درجات التعطيل في باب الأسماء الحسنى .

المطلب الثالث : درجات التعطيل في باب صفات الله العلى .

الفصل الثاني : أطوار مقالة التعطيل .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المقالات السابقة لمقالة التعطيل .

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : مقالة الخوارج .

المطلب الثاني : مقالة الشيعة .

المطلب الثالث : مقالة القدرية .

المطلب الرابع : مقالة المعتزلة .

المطلب الخامس : مقالة المرجئة .

المبحث الثاني : نشأة التعطيل وأطواره .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : خطورة مقالة التعطيل .

المطلب الثاني : مراحل التعطيل الأولى .

المطلب الثالث : مراحل اتساع دائرة التعطيل .

الباب الثاني : الجعد بن درهم

□ وفيه فصلان :

الفصل الأول : تاريخ الجعد بن درهم .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نسبه ونشأته .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه .

المطلب الثاني : أصول الجعد .

المطلب الثالث : مولده وموطنه .

المبحث الثاني : بدء ظهوره وقصة قتله .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : بدء ظهور مقالة الجعد .

المطلب الثاني : مقتل الجعد .

المطلب الثالث : موقف خلفاء بني أمية من أهل البدع .

الفصل الثاني : بدع الجعد ومقالاته والرد على بعض الشبه والمغالطات التي تثار حوله .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بدع الجعد ومقالته .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقوال العلماء فيه .

المطلب الثاني : بدعه ومقالاته .

المبحث الثاني : الردود على بعض الشبه والمغالطات التي أثيرت حول الجعد ابن درهم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المغالطة الأولى .

المطلب الثاني : المغالطة الثانية .

المطلب الثالث : المغالطة الثالثة .

وبعد : فقد بذلت قصارى جهدي وغاية وسعي في توضيح المسائل السالفة الذكر ، وهناك جوانب أخرى للموضوع سوف أستوفى الحديث عنها في دراسة أخرى بإذن الله تعالى .

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويبارك فيه وأن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصاً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حرر في ٢٥/رمضان/١٤١٧هـ كتبه : د/محمد بن خليفة التميمي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية



البَابُ الأوّل

التّعريف بالتّعطِيل وَأطوَاره

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف التعطيل ودرجاته .

الفصل الثاني : أطـوار مقالة التعطيـل .

الفصل الأول

تعريف التعطيل ودرجاته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التعطيل وأنواعه

المبحث الثاني : درجات التعطيل في باب أسماء الله وصفاته



المبحث الأول

تعريف التعطيل وأنواعه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التعطيل .

المطلب الثاني : أنواع التعطيل .

● ● ● ●

المطلب الأول

تعريف التعطيل

أ- التعطيل لغة مأخوذ من مادة (عطل) :

قال ابن فارس : (عطل) العين والطاء واللام أصل صحيح واحد يدل على خلوٍّ وفراغ ؛ تقول عطِّلت الدار ، ودار معطلة . ومتى تركت الإبل بلا راع فقد عطِّلت ، وكذلك البئر إذا لم تورَدْ ولم يستق منها .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾[2]، وكل شيء خلا من حافظ فقد عطل ، من ذلك تعطيل الثغور وما أشبهها ، ومن هذا الباب العَطَل وهو العُطُول ، يقال امرأة عاطل ، إذا كانت لا حلي لها ، والجمع عواطل ، وقوس عُطُلٌ : لا وتر عليها ، وخيل أعطال : لا قلائد لها[3]

وقال الخليل بن أحمد : « امرأة عاطل بغير هاء : لا حليّ عليها وقوس عُطُل : لا وتر عليها ، والأعطال من الخيل التي لا أرسان عليها ، وإذا ترك الثغر بلا حام يحميه فقد عطل ، والمواشي إذا أهملت بلا راع فقد عطلت ، وكذلك الرعية إذا لم يكن لها والٍ يسوسها فهم معطلون ، وقد عطلوا : أي أهملوا ، وبئر معطلة لا يستقى منها ولا ينتفع بمائها ، وتعطيل الحدود ألا تقام على من وجبت عليه ، وعطلت الغلات والمزارع إذا لم تعمر ولم تحرث ، وسمعت العرب تقول

(١) الآية ٤٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٤ من سورة التكوير .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٥١ .

فلان ذو عطلة إذا لم تكن له صنعة يمارسها ، ودلو عَطِلَة إذا تَقَطع وذَمُها فتعطلت من الاستقاء بها »[١] .

وقال ابن سيده : « التعطيل : التَّفريغ ، وعطّل الدار : أخلاها ، وكل ما ترك ضياعاً مُعَطَّلٌ ومُعْطَل »[٢].

فمن خلال هذه النقول عن بعض كبار أئمة اللغة يتضح لك أن مدار كلمة التعطيل في اللغة على الخلو والفراغ والترك ، وهذا ما فسر به بعض السلف قوله تعالى ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلة ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها : « التي تركت »[٣]

وقال قتادة : « أعطلها أهلها ، وتركوها »[٤].

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ قال أبي بن كعب: « إذا أهملها أهلها »[٥] ، وقال مجاهد : « سيبت وتركت »[٦].

وهذه المعاني اللغوية للتعطيل هي المستعملة في الاصطلاح كما سيأتي .

ب- التعطيل شرعاً :

يختلف تعريف التعطيل باختلاف صوره فهناك :

---

(١) تهذيب اللغة ١٦٥/٢ .

(٢) المحكم ٣٣٨/١ ، ٣٣٩ .

(٣) تفسير الطبري ١٨٠/١٧ .

(٤) تفسير الطبري ١٨٠/١٧ .

(٥) تفسير الطبري ٦٦/٣٠ .

(٦) تفسير الطبري ٦٦/٣٠ .

١- **التعطيل المحض أو الكلي** : وهو إنكار الخالق وإنكار كلامه ودينه ، وإنكار عبادته وشرائعه .

قال ابن القيم : « وأهل التعطيل المحض عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع وعطلوا الصانع عن صفات كماله ، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه ، فعطلوه عن مبدئه ومعاده وعن فاعله وغايته »(١) .

وأهل هذا التعطيل هم الملاحدة الدهرية الطبائعية الذين ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه ، وهو وجود الأفلاك وما فيها(٢) ، وقالوا : « إن العالم دائم لم يزل ولا يزال ، ولا يتغير ولا يضمحل ، وإن الأشياء ليس لها أول البتة »(٣)

٢ـ **أما تعطيل الأسماء والصفات** : فهو نفي الصفات الإلهية عن الله وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها(٤).

أو : نفي الأسماء والصفات أو بعضها .

فتوحيد الأسماء والصفات له ضدان هما :

١- التعطيل . ٢ - التمثيل .

فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها ؛ فقد كذب تعطيله توحيده ، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم ؛ فقد كذب تشبيهه وتمثيله توحيده(٥).

(١) إغاثة اللهفان ٢/٢٦٨ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/١٦٨ .

(٣) إغاثة اللهفان ٢/٢٥٦ .

(٤) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٨٧ .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٦ .

والتعطيل في هذا الباب على قسمين :

القسم الأول : التعطيل المحض التام أو الكلي ، وهو الذي عليه الجهمية والفلاسفة من إنكار جميع الأسماء والصفات .

والقسم الثاني : التعطيل الجزئي ، وهو نوعان :

النوع الأول : إثبات الأسماء ونفي الصفات وهو الذي عليه المعتزلة ومن وافقهم

النوع الثاني : نفي بعض الصفات دون بعض وهو الذي عليه الكلابية والأشاعرة والماتريدية .

والتعطيل هنا في هذا الباب يدخل فيه تعطيل الباري سبحانه وتعالى عن أسمائه وصفاته .

ويدخل فيه أيضاً تعطيل نصوص الأسماء والصفات الذي هو إنكار حقائقها وما دلت عليه وما تضمنته من المعاني .

٣- **تعطيل النبوات** : وهو إنكار النبوات ، كما هو حال البراهمة القائلين بحدوث العالم المثبتين للصانع ولكنهم ينكرون النبوات أصلاً . فالخلاف مع الخارجين عن الملة على ثلاثة أضرب :

١- الخلاف مع المنكرين للصانع والقائلين بقدم العالم .

٢- وخلاف مع القائلين بحدوث العالم المثبتين للصانع المنكرين للنبوات أصلاً كالبراهمة .

٣- خلاف مع القائلين ببعض النبوات المنكرين لنبوة محمد ﷺ(١).

---

(١) نقض تأسيس الجهمية ١/١٤٠ .

قال ابن حزم : « ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف الهند وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات »[١] .

○ ○ ○ ○

---

(١) الفصل ١/٦٩ .

المطلب الثاني

أنواع التعطيل في توحيد الله

ينقسم التعطيل في باب التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي:

١- التعطيل في جانب الربوبية .

٢- التعطيل في جانب الألوهية .

٣- التعطيل في جانب الأسماء والصفات .

فالتوحيد كما هو معلوم ضده الشرك ، والشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد ، وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل[١].

أما القسم الأول : فهو تعطيل جانب الربوبية :

والمقصود به : إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى ، ومن صور هذا القسم وأمثلته :

١- شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته ، وإنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال ، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها بالعقول والنفوس[٢].

٢- شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق ، ولا

---

(١) الجواب الكافي ص١٥٣ .

(٢) الجواب الكافي ص١٥٣ .

هاهنا شيئان ، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه[١].

٣- شرك فرعون إذ قال : ﴿ وَمَا رَبُّ العَالَمِين ﴾[٢] وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال لهامان : ﴿ وقَالَ فِرْعَون يَا هَامَان ابن لِي صرْحاً لَعَلي أبلُغ الأَسْبَابَ أسبابَ السَّمَاوَاتِ فأَطَّلعَ إلَى إلهِ مُوسَى وَإني لأَظُنُّهُ كَاذباً ﴾[٣].

القسم الثاني: التعطيل في جانب الألوهية :

قال ابن القيم في تعريفه هو : تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد . ومن صوره : ما يفعله بعض غلاة المتصوفة من إسقاط العبادات عنهم وعن أتباعهم ، وزعمهم أن الكمال في فناء العبد عن حظوظه ـ أي الفناء في توحيد الربوبية ـ حيث يعلنون أن العارف الذي يشهد هذا المقام « لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة » ويجعلون هذا غاية العرفان [٤].

القسم الثالث: التعطيل في جانب الأسماء والصفات :

وهو : نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها . ومن صوره : ما يعتقده غلاة الجهمية والقرامطة الذين لم يثبتوا لله اسماً ولا صفة ، فعطلوا أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله ، بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها[٥] ، وهذا القسم من أقسام التعطيل هو ما سأتناوله في هذه الدراسة بشكل مفصل وموسع .

○ ○ ○ ○

(١) الجواب الكافي ص١٥٣ . (٢) الآية ٢٣ من سورة الشعراء .

(٣) الآيتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة غافر .

(٤) التصوف وابن تيمية للدكتور مصطفى حلمي ص٣٩٠ .

(٥) الجواب الكافي ص١٥٣ .

المبحث الثاني

درجات التعطيل في أسماء الله وصفاته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : درجات التعطيل في باب أسماء الله وصفاته عموماً

المطلب الثاني : درجات التعطيل في باب الأسماء الحسنى

المطلب الثالث : درجات التعطيل في باب صفات الله العلى .

● ● ● ●

المطلب الأول

درجات التعطيل في باب الأسماء والصفات عموماً

من سبر أقوال أهل التعطيل يجدها من حيث العموم تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نفي جميع الأسماء والصفات .

وهذا قول الجهمية أتباع جهم بن صفوان[١] ، والفلاسفة ، سواء كانوا أصحاب فلسفة محضة كالفارابي[٢] ، أو فلسفة باطنية إسماعيلية قرمطية كابن سينا[٣] ، أو فلسفة صوفية اتحادية كابن عربي ، وابن سبعين ، وابن الفارض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتحقيق أن التجهم المحض وهو نفي الأسماء والصفات ، كما يُحكي عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم من نفي أسماء الله الحسنى ، كفر بين مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول »[٤]

القسم الثاني : نفي الصفات دون الأسماء .

وهذا قول المعتزلة ، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري[٥] ، والزيدية ، والرافضة الإمامية ، والإباضية . فالمعتزلة يجمعون على تسمية الله بالاسم ونفي الصفة عنه .

(١) مجموع الفتاوى ١٣٥/٦ ، ٣٥٥/٥ ، ١٣١/١٣ ، درء تعارض العقل والنقل ٣٦٧/٣ .
(٢) منهاج السنة ٥٢٣/٢ ، ٥٢٤ .
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص٧٦ .
(٤) النبوات ص١٩٨ .
(٥) درء تعارض العقل والنقل ٢٤٩/٥ ، ٢٥٠ .

يقول ابن المرتضى المعتزلي : « فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم مُحدثاً قديماً قادراً عالماً حيًا لا لمعان .. »[١].

القسم الثالث : إثبات الأسماء وبعض الصفات ونفي البعض الآخر .

وهذا قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية .

فالكلابية وقدماء الأشاعرة : يثبتون الأسماء والصفات ما عدا صفات الأفعال الاختيارية[٢] « أي التي تتعلق بمشيئته واختياره » فهم إما يؤولونها أو يثبتونها على اعتبار أنها أزلية وذلك خوفاً منهم على حد زعمهم من حلول الحوادث بذات الله[٣] أو يجعلونها من صفات الفعل المنفصلة عن الله التي لا تقوم به [٤].

وأما الأشاعرة المتأخرون ومعهم الماتريدية فهم يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات هي « الحياة ، العلم ، القدرة ، السمع ، البصر ، الإرادة ، الكلام » ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة هي « التكوين »[٥] وينفون باقي الصفات ويؤولون النصوص الواردة فيها ويحرفون معانيها .

○○○○

(١) كتاب باب ذكر المعتزلة من كتاب المنيه والأمل ص٦ . وانظر شرح الأصول الخمسة ص١٥١ ومقالات الإسلاميين ص١٦٤ ، ١٦٥ ، مجموع الفتاوى ٣٥٥/٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣١/١٣ .

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٥٠٦/٢ .

(٤) المصدر السابق ٥٤٤/٢ .

(٥) انظر تحفة المريد ص٦٣ ، وإشارات المرام ص١٠٧ ، ١١٤ ، وكتاب الماتريدية دراسة وتقويم ص٢٣٩ ، وكتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٤٣٠/٢ ، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله ص٤٠١ .

المطلب الثاني

درجات التعطيل في باب الأسماء الحسنى

القول الأول : من يقول إن الله لا يسمى بشيء .

وهذا قول الجهمية أتباع جهم بن صفوان ، والغالية من الملاحدة كالقرامطة الباطنية والفلاسفة .

وهؤلاء المعطلة لهم في تعطيلهم لأسماء الله أربعة مسالك هي :

المسلك الأول : الاقتصار على نفي الإثبات فقالوا : لا يسمى بإثبات .

المسلك الثاني : أنه لا يسمى بإثبات ولا نفي .

المسلك الثالث : السكوت عن الأمرين الإثبات والنفي .

المسلك الرابع : تصويب جميع الأقوال بالرغم من تناقضها .

فهذا الصنف من المعطلة اتفقوا على إنكار الأسماء جميعها ، ولكن تنوعت مسالكهم في الإنكار .

١- **فأصحاب المسلك الأول** : اقتصروا على قولهم : بأنه ليس له اسم كالحي والعليم ونحو ذلك . وشبهتهم في ذلك :

أ- أنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفا بمعنى الاسم كالحياة والعلم .

فإن صدق المشتق -أي الاسم كالعليم- مستلزم لصدق المشتق منه ـ أي الصفة كالعلم ـ وذلك محال عندهم .

ب- ولأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره ؛ والله منزه عن

مشابهة الغير[١].

فهؤلاء المعطلة المحضة ـ نفاة الأسماء ـ يسمون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبهاً ؛ فيقولون : « إذا قلنا حي عليم فقد شبهناه بغيره من الأحياء العالمين وكذلك إذا قلنا هو سميع بصير فقد شبهناه بالإنسان السميع والبصير ، وإذا قلنا رؤوف رحيم فقد شبهناه بالنبي الرؤوف الرحيم ، بل قالوا إذا قلنا موجود فقد شبهناه بسائر الموجودات لاشتراكهما في مسمى الوجود »[٢]

وهذا المسلك ينسب لجهم بن صفوان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً لا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز »[٣]هو قول الباطنية من الفلاسفة والقرامطة فهم يقولون لا نسميه حيًّا ولا عالماً ولا قادراً ولا متكلماً إلا مجازاً بمعنى السلب والإضافة : أي هو ليس بجاهل ولا عاجز[٤]. وهذا كذلك قول ابن سينا وأمثاله[٥].

٢- **وأما أصحاب المسلك الثاني** : فقد زادوا في الغلو فقالوا : « لا يسمى بإثبات ولا نفي ، ولا يقال موجود ولا لا موجود ولا حي ولا لاحي ؛ لأن في الإثبات تشبيهاً بالموجودات ، وفي النفي تشبيهاً له بالمعدومات .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٥/٦ ، ١٠٠/٣ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٦٧/٣ ، وكتاب الصفدية ٨٨/١-٨٩ ، ٩٦-٩٧ .

(٢) منهاج السنة ٥٢٣/٢ ، ٥٣٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣١١/١٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥٥/٥ .

(٥) الصفدية ٢٩٩/١-٣٠٠ .

وكل ذلك تشبيه . وهذا المسلك ينسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية والمتفلسفة[١].

٣- **وأما أصحاب المسلك الثالث** فيقولون : نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، فلا ننفي النقيضين ، بل نسكت عن هذا وهذا ، فنمتنع عن كل من المتناقضين ، لا نحكم بهذا ولا بهذا ، فلا نقول ليس بموجود ولا معدوم ، ولكن لا نقول هو موجود ولا نقول هو معدوم .

ومن الناس من يحكى هذا عن الحلاج ، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط ، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[٢].

وأصحاب هذا المسلك : هم المتجاهلة اللاأدرية .

وأصحاب المسلك الثاني : هم المتجاهلة الواقفة الذين يقولون لا نثبت ولا ننفي .

وأصحاب المسلك الأول : هم المكذبة النفاة .

والملاحظ أن كل فريق من هؤلاء يهدم ما بناه ما قبله فلما اقتصر أصحاب المسلك الأول على النفي وامتنعوا عن الإثبات بحجة أن في الإثبات تشبيهاً له بالموجودات جاء أصحاب المسلك الثاني فزادوا في الغلو وزعموا أن في النفي كذلك تشبيهاً له بالجمادات فمنعوا النفي أيضا ثم جاء أصحاب المسلك الثالث فاتهموا أصحاب المسلك الثاني بأنهم شبهوه بالممتنعات لأن قولهم يقوم على نفي النقيضين وهذا ممتنع .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٦ ، ١٠٠/٣ ، شرح الأصفهانية ص٧٦ ، ٨٠ .

(٢) كتاب الصفدية ٩٦/١-٩٨ ، شرح الأصفهانية ص٨٤ .

٤- **وهناك مسلك رابع** : وهو مسلك أصحاب وحدة الوجود الذين يعطون أسماءه سبحانه لكل شيء في الوجود ، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده ما ثمت فرق إلا بالإطلاق والتقييد[١].

وهذا منتهى قول طوائف المعطلة[٢] وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم هو : « وجود مطلق » أي : وجود خيالي في الذهن ، أو وجود مقيد بالأمور السلبية[٣].

القول الثاني : أن الله يسمى باسمين فقط هما : « الخالق » و « القادر » : وهذا القول منسوب للجهم بن صفوان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان الجهم وأمثاله يقولون : إن الله ليس بشيء ، وروى عنه أنه قال : لا يسمى باسم يسمى به الخلق ، فلم يسمه إلا « بالخالق » و « القادر » لأنه كان جبريا يرى أن العبد لا قدرة له »[٤].

وقال رحمه الله : « ولهذا نقلوا عن جهم أنه لا يسمى الله بشيء ، ونقلوا عنه أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي يسمى بها الخلق : كالحي ، والعالم والسميع ، والبصير ، بل يسميه قادراً خالقاً ، لأن العبد عنده ليس بقادر ، إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية »[٥].

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس ١٢٦/٢ .
(٢) الصفدية ٩٨/١ ، ٩٩ .
(٣) الصفدية ١١٦/١ ، ١١٧ .
(٤) منهاج السنة ٥٢٦/٢ ، ٥٢٧ ، الأنساب للسمعاني ١٣٣/٢ .
(٥) درء تعارض العقل والنقل ١٨٧/٥ ، مجموع الفتاوى ٤٦٠/٨ .

القول الثالث : إثبات الأسماء مجردة عن الصفات .

وهذا قول المعتزلة ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري . وتبع المعتزلة على ذلك الزيدية ، والرافضة الإمامية ، وبعض الخوارج . فالمعتزلة يجمعون على تسمية الله بالاسم ونفي الصفة عنه . يقول ابن المرتضى المعتزلي : « فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم مُحدثاً قديماً ، قادراً ، عالماً ، حيًّا لا لمعان »[(١)].

وابن حزم وافق المعتزلة في ذلك فهو يرى : « أن الأسماء الحسنى كالحي ، والعليم ، والقدير ، بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ، ولا قدرة ، وقال لا فرق بين الحي وبين العليم في المعنى أصلاً »[(٢)].

والمعتزلة لهم في نفيهم لتضمن الأسماء للصفات مسلكان :

المسلك الأول : من جعل الأسماء كالأعلام المحضة المترادفة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قائم به . فهم بذلك ينظرون إلى هذه الأسماء على أنها أعلام محضة لا تدل على صفة .

و« المحضة » الخاصة الخالية من الدلالة على شيء آخر ، فهم يقولون : إن العليم والخبير والسميع ونحو ذلك أعلام لله ليست دالة على أوصاف ، وهي بالنسبة إلى دلالتها على ذات واحدة هي مترادفة ، وذلك مثل تسميتك ذاتاً واحدة « بزيد وعمرو ومحمد وعلي » فهذه الأسماء مترادفة وهي أعلام خالصة لا تدل على صفة لهذه الذات المسماة بها[(٣)].

---

(١) كتاب ذكر المعتزلة ص٦ ، شرح الأصول الخمسة ص١٥١ ، مقالات الإسلاميين ص١٦٤-١٦٥ .
(٢) شرح الأصفهانية ص٧٦ ، الفصل ١٦١/٢ ، درء تعارض العقل والنقل ٢٤٩/٥-٢٥٠ .
(٣) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ٤٦/١ .

والمسلك الثاني : من يقول منهم إن كل علم منها مستقل ، فالله يسمى عليماً وقديراً ، وليست هذه الأسماء مترادفة ، ولكن ليس معنى ذلك أن هناك حياة أو قدرة[1] ؛ ولذلك يقولون عليم بلا علم ، قدير بلا قدرة ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر .

القول الرابع : إثبات الأسماء الحسنى مع إثبات معاني البعض وتحريف معاني البعض الآخر .

وهذا قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية .

فهؤلاء وإن كانوا يوافقون أهل السنة والجماعة في إثبات ألفاظ الأسماء الحسنى لكنهم يخالفونهم في إثبات بعض معاني تلك الأسماء .

فمن المعلوم أن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة . وللكلابية والأشاعرة والماتريدية قول في الصفات يخالف قول أهل السنة والجماعة . فالكلابية وقدماء الأشاعرة ينفون صفات الأفعال الاختيارية وبالتالي لا يثبتون الصفات التي تضمنتها الأسماء إذا كانت من هذا القبيل كالخالق والرزاق ونحوها ، على تفصيل سيأتي ذكره عند الحديث عن موقفهم من الصفات .

وأما المتأخرون من الأشاعرة ومعهم الماتريدية ، فإنهم لا يثبتون من الصفات سوى سبع صفات هي : « العلم ، القدرة ، الحياة ، السمع ، البصر ، الإرادة ، الكلام » ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة هي « التكوين » . فالاسم عندهم إن دل على ما أثبتوه من الصفات ؛ أثبتوا ما دل عليه من المعنى ، وإن كان دالًّا على خلاف ما أثبتوه صرفوه عن حقيقته وحرفوا معناه .

---

(١) التحفة المهدية ٤٦/١ .

ومعلوم أنه لم يرد في باب الأسماء من تلك الصفات التي ذكروها إلا خمسة فقط وهي « العليم » و « القدير » و « الحي » و« السميع » و« البصير » فهذه الخمسة يثبتون معانيها وإن كان هناك من يرجع صفتي « السمع » و« البصر » إلى « العلم » ولكن جمهورهم على خلاف ذلك[(١)].

وأما بقية الأسماء التي لا تتفق مع ما أثبتوه من الصفات ، فإنهم لا يثبتون ما دلت عليه من المعاني ، بل يحرفونها كتحريفهم لمعنى « الرحمة » في اسمه « الرحمن » إلى إرادة الثواب أو إرادة « الإنعام » و« الود » في « الودود » بـ « إرادة إيصال الخير »[(٢)].

○○○○

---

(١) لباب العقول للمكلاتي ص٢١٣ ، ٢١٤ ، شرح الأصفهانية ص٤٤٥ ، المسايرة لابن الهمام ص٦٧ ، الماتريدية دراسة وتقويم ص٢٦٤ ، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٢/ ٤١٣ ، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في التوحيد ص٤٠٩ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى للرازي ص٢٨٧ .

المطلب الثالث

درجات التعطيل في باب صفات الله تعالى

القول الأول : نفاة جميع الصفات .

وهذا قول الغلاة من المعطلة ، ومنهم الجهمية أتباع جهم والفلاسفة سواء كانوا أهل فلسفة محضة كالفارابي أو فلسفة باطنية رافضية إسماعيلية كابن سينا وإخوان الصفا أو فلسفة صوفية اتحادية كابن عربي وابن سبعين . وهذا القول بنفي الصفات هو قول المعتزلة ومن تبعهم كالزيدية والرافضة الإمامية والخوارج الإباضية وكذلك هو قول النجارية والضرارية .

فهؤلاء جميعاً لا يثبتون الصفات لله تعالى ، وقد تنوعت أساليب تعطيلهم وطرق إنكارهم لها ، ويمكن تصنيفهم إلى صنفين :

١- غلاة المعطلة ٢- المعتزلة ومن وافقهم .

١- فغلاة المعطلة يمنعون الإثبات بأي حال من الأحوال ولهم في النفي درجات :

الدرجة الأولى : درجة المكذبة النفاة .

وهي التي عليها الجهمية وطائفة من الفلاسفة[١] وهو كذلك قول ابن سينا وأمثاله[٢] .

فهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون له إلا

(١) مجموع الفتاوى ٣/٧-٨ .

(٢) الصفدية ١/٢٩٩ ، ٣٠٠ .

وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان[١] فهؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن ، لا فيما خرج عنه من الموجودات[٢].

الدرجة الثانية : المتجاهلة الواقفة .

الذين يقولون لا نثبت ولا ننفي ، وهذه الدرجة تنسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية المتفلسفة[٣].

فهؤلاء هم غلاة الغلاة[٤] لأنهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون : لا موجود ، ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات ، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين ، وهذا ممتنع في بداهة العقول ؛ وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول ﷺ ؛ فوقعوا في شر مما فروا منه ، فإنهم شبهوه بالممتنعات ؛ إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين ، كلاهما من الممتنعات[٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالقرامطة الذين قالوا لا يوصف بأنه حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، بل قالوا لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب ، فلا يقال حي عالم ولا ليس بحي عالم ، ولا يقال هو

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٧ ، شرح الأصفهانية ص٥١ ، ٥٢ .
(٢) مجموع الفتاوى ٣/٨ .
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص٧٦ .
(٤) مجموع الفتاوى ٣/١٠٠ .
(٥) مجموع الفتاوى ٣/٧-٨ .

عليم قدير ، ولا يقال ليس بقدير عليم ، ولا يقال هو متكلم مريد ، ولا يقال ليس بمتكلم مريد ، قالوا لأن في الإثبات تشبيهاً بما تثبت له هذه الصفات ، وفي النفي تشبيه له بما ينفى عنه هذه الصفات »[١].

الدرجة الثالثة : المتجاهلة اللاأدرية .

الذين يقولون : نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ، فلا ننفي النقيضين ، بل نسكت عن هذا وهذا ، فنمتنع عن كل من المتناقضين لا نحكم بهذا ولا بهذا ، فلا نقول : ليس بموجود ولا معدوم ، ولكن لا نقول هو موجود ولا نقول هو معدوم .

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج ، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط ، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[٢].

الدرجة الرابعة : أهل وحدة الوجود

الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق ، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق . فعلى سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام ، وفي ذلك يقول ابن عربي :

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون فمنه إليه بدؤه وختامه[٣]

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص٧٦ .

(٢) الصفدية ١/٩٦ ، ٩٨ .

(٣) الفتوحات المكية ٤/١٤١ ط : دار صادر ، بيروت .

فيزعمون أنه هو المتكلم على لسان كل قائل . ولا فرق عندهم بين قول فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[١] و﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾[٢] وبين القول الذي يسمعه موسى ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ﴾[٣] . بل يقولون : « إنه الناطق في كل شيء ؛ فلا يتكلم إلا هو ، ولا يسمع إلا هو ، حتى قول مسيلمة الكذاب ، والدجال ، وفرعون يصرحون بأن أقوالهم هي قوله »[٤].

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي ، وابن سبعين ، وابن الفارض والعفيف التلمساني .

وأصل مذهبهم : أن كل واحد من وجود الحق ، وثبوت الخلق يساوى الآخر ويفتقر إليه ، وفي هذا يقول ابن عربي :

فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده[٥]

ويقول : إن الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات ، وإن المحدث يتصف بجميع صفات الرب ، وإنهما شيء واحد إذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت[٦] فهو الموصوف عندهم بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل ، كما هو الموصوف عندهم بصفات المجد

(١) الآية ٢٤ من سورة النازعات .

(٢) الآية ٣٨ من سورة القصص .

(٣) الآية ١٤ من سورة طه .

(٤) بغية المرتاد ص٣٤٩ .

(٥) فصوص الحكم ٨٣/١ .

(٦) بغية المرتاد ص٣٩٧ ، ٣٩٨ .

والكمال ، فهو العالم والجاهل ، والبصير والأعمى ، والمؤمن والكافر ، والناكح والمنكوح ، والصحيح والمريض ، والداعي والمجيب ، والمتكلم والمستمع ، وهو عندهم هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم ، وقد يقولون لا هو العالم ولا غيره ، وقد يقولون : هو العالم أيضا وهو غيره ، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين(١).

وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي العام والإثبات العام ؛ فعندهم أن ذاته لا يمكن أن ترى بحال وليس له اسم ولا صفة ولا نعت ، إذ هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ، وهو من هذه الجهة لا يرى ولا اسم له .

ويقولون : إنه يظهر في الصور كلها ، وهذا عندهم هو الوجود الاسمي لا الذاتي ، ومن هذه الجهة فهو يرى في كل شيء ، ويتجلى في كل موجود ، لكنه لا يمكن أن ترى نفسه ، بل تارة يقولون كما يقول ابن عربي : ترى الأشياء فيه ، وتارة يقولون يرى هو في الأشياء وهو تجليه في الصور ، وتارة يقولون كما يقول ابن سبعين :

« عين ما ترى ذات لا ترى وذات لا ترى عين ما ترى »

وهم مضطربون لأن ما جعلوه هو الذات عدم محض ، إذ المطلق لا وجود له في الخارج مطلقاً بلا ريب ، لم يبق إلا ما سموه مظاهر ومجالي ، فيكون الخالق عين المخلوقات لا سواها ، وهم معترفون بالحيرة والتناقض مع ما هم فيه من التعطيل والجحود(٢).

---

(١) بغية المرتاد ص٤٠٨ .

(٢) بغية المرتاد ص٤٧٣ .

وفي هذا يقول ابن عربي :

« فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً وإن قلت بالتشبيه كنت محدداً
وإن قلت بالأمرين كنت مسدداً وكنت إماماً في المعارف سيداً
فمن قال بالإشفاع كان مشركاً ومن قال بالإفراد كان موحداً
فإياك والتشبيه إن كنت ثانيا وإياك والتنزيه إن كنت مفرداً
فما أنت هو بل أنت هو وتراه في عين الأمور مسرحا ومقيداً »[1]

خلاصة أقوال غلاة المعطلة

كلام غلاة المعطلة المتقدم ذكره يدور على أحد أصلين :

١- الأصل الأول :

النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه ؛ بأن جعلوا الحق لا وجود له ، ولا حقيقة له في الخارج أصلاً وإنما هو أمر مطلق في الأذهان . وهذا الذي عليه المكذبة النفاة ، والمتجاهلة الواقفة ، والمتجاهلة اللاأدرية .

٢- الأصل الثاني :

أن يجعلوا الحق عين وجود المخلوقات ؛ فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلاً ، ولا يكون رب كل شيء ولا مليكه . وهذا الذي عليه حال أهل وحدة الوجود الاتحادية في أحد حاليهم فهذا حقيقة قول القوم وإن كان بعضهم لا يشعر بذلك .

ولذلك كان الغلاة من القرامطة والباطنية والفلاسفة والاتحادية نسخة للجهمية الذي تكلم فيهم السلف والأئمة ، مع كون أولئك كانوا أقرب إلى

---

(١) بغية المرتاد ص٥٢٧ .

الإسلام . فقد كان كلام الجهمية يدور أيضاً على هذين الأصلين ؛ فهم يظهرون للناس والعامة أن الله بذاته موجود في كل مكان ، أو يعتقدون ذلك .

وعند التحقيق يصفونه بالسلب الذي يستوجب عدمه كقولهم : ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا مباين له ومحايث ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، وأشباه هذه السلوب .

فكلام أول الجهمية وآخرهم يدور على هذين الأصلين :

١- إما النفي والتعطيل الذي يقتضي عدمه .

٢- وإما الإثبات الذي يقتضي أنه هو المخلوقات . أو جزء منها أو صفة لها .

وكثير منهم يجمع بين هذا النفي وهذا الإثبات المتناقضين ، وإذا حوقق في ذلك قال : ذاك السلب مقتضى نظري ، وهذا الإثبات مقتضى شهودي وذوقي . ومعلوم أن العقل والذوق إذا تناقضا لزم بطلانهما أو بطلان أحدهما[١].

وهذا حال الجهمية دائماً يترددون بين هذا النفي العام المطلق ، وهذا الإثبات العام المطلق ، وهم في كليهما حائرون ضالون لا يعرفون الرب الذي أمروا بعبادته[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والجهمية نفاة الصفات تارة يقولون بما يستلزم الحلول والاتحاد ، أو يصرحون بذلك . وتارة بما يستلزم الجحود والتعطيل ؛ فنفاتهم لا يعبدون شيئاً ، ومثبتتهم يعبدون كل شيء »[٣]

---

(١) بغية المرتاد ص٤١٠ ، ٤١١ .

(٢) نقض تأسيس الجهمية ٢/٤٦٧ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٣٩ .

ولا ريب أن هؤلاء المعطلة بصنيعهم هذا قد أعرضوا عن أسمائه وصفاته وآياته وصاروا جهالاً به ، كافرين به ، غافلين عن ذكره ، موتى القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته ، وهذا هو غاية القرامطة الباطنية والمعطلة الدهرية ، أنهم يبقون في ظلمة الجهل وضلال الكفر ، لا يعرفون الله ولا يذكرونه[١].

٢- المعتزلة ومعهم النجارية والضرارية والرافضة الإمامية والزيدية والإباضية وغيرهم . وهؤلاء مشتركون مع الجهمية والفلاسفة في نفي الصفات[٢] ؛ وإن كان بين الفلاسفة والمعتزلة نوع فرق[٣] ؛ فالمعتزلة تجمع على غاية واحدة وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها . ولكنهم سلكوا طريقين في موقفهم من الصفات :

الطريق الأول : الذي عليه أغلبيتهم ، وهو نفيها صراحة فقالوا : إن الله عالم بذاته لا بعلم ، وهكذا في باقي الصفات .

والطريق الثاني : الذي عليه بعضهم ، وهو إثباتها اسماً ونفيها فعلاً فقالوا : إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته ، وهكذا بقية الصفات ، فكان مجتمعاً مع الرأي الأول في الغاية وهي نفي الصفات .

والمقصود بنفي الصفات عندهم : هو نفي إثباتها حقيقة في الذات ومتميزة عنها ، وذلك أنهم يجعلونها عين الذات فالله عالم بذاته بدون علم أو عالم بعلم وعلمه ذاته[٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٨/٦ . بتصرف .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣١/١٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥١/٦ .

(٤) المعتزلة وأصولهم الخمسة ص١٠٠ .

وهناك آراء أخرى للمعتزلة لكنها تجتمع في الغاية مع الرأيين الأولين ، وهو التخلص من إثبات الصفات حقيقة في الذات ومتميزة عنها[١] .

وهذه الآراء للمعتزلة حملها عنهم الزيدية ، والرافضة الإمامية[٢]، والإباضية وابن تومرت[٣] ، وابن حزم[٤].

فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به ، لاعتقادهم أن الصفات أعراض ، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثه فقالوا حينئذ إن القرآن مخلوق ، وإنه ليس لله مشيئة قائمة به ، ولا حب ولا بغض ونحو ذلك .

وردوا جميع ما يضاف إلى الله إلى إضافة خلق ، أو إضافة وصف من غير قيام معنى به[٥].

النجارية

وهم أتباع حسين بن محمد بن عبد الله النجار المتوفى سنة (٢٢٠هجرية) تقريباً

وكان يزعم أن الله سبحانه لم يزل جواداً بنفي البخل عنه ، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام ، وأن كلام الله سبحانه محدث مخلوق ، وكان يقول بقول المعتزلة في التوحيد ، إلا في باب الإرادة والجود ،

---

(١) المصدر السابق ص١٠١ .

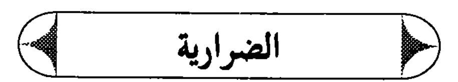
(٢) لم يكن في قدماء الرافضة من يقول بنفي الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهوراً عن شيوخهم هشام بن الحكم وأمثاله . شرح الأصفهانية ص٦٨ .

(٣) كان أبو عبد الله محمد بن تومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات . شرح الأصفهانية ص٢٣ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٢٤٩/٥ ، ٢٥٠ .

(٥) مجموع الفتاوى ١٤٧/٦ ، ١٤٨ ، ٣٥٩ .

وكان يخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء[١].



الضرارية

« وهم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني المتوفى سنة «١٩٠هـ » تقريباً ، وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر ، أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه »[٢].

فكل من النجارية والضرارية يحملون النصوص الثبوتية على المعاني السلبية ، كما قال البغدادي عنهم : « من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفي الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه »[٣]. وكان الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية هم خصوم أهل السنة زمن فتنة القول بخلق القرآن[٤].

القول الثاني : نفاة الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة .

وهو قول الكلابية : أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وقول الحارث المحاسبي[٥] وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري في طوره

(١) مقالات الإسلاميين ١/٣٤١-٣٤٢ ، وانظر الفرق بين الفرق ص٢٠٧ ، والملل والنحل ١/٨٩ ، ٩٠

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٣٣٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص٢١٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الحارث المحاسبي يوافقه - أي يوافق ابن كلاب - ثم قيل إنه رجع عن موافقته ؛ فإن أحمد بن حنبل أمر بهجر الحارث المحاسبي وغيره من أصحاب ابن كلاب لما أظهروا ذلك ، كما أمر السري السقطي الجنيد أن يتقى بعض كلام الحارث ؛ فذكروا أن الحارث رحمه الله تاب من ذلك . وكان له من العلم والفضل والزهد والكلام في الحقائق ما هو مشهور وحكى عنه أبوبكر الكلاباذي صاحب (مقالات الصوفية) : (أنه كان يقول إن الله يتكلم بصوت) وهذا يوافق قول من يقول : إنه رجع عن قول ابن كلاب » . مجموع الفتاوى ٦/٥٢١ ، ٥٢٢ .

الثاني ، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري ، والباقلاني ، وابن فورك ، وأبي جعفر السمناني ومن تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي الحسن بن الزاغوني ، والتميميين وغيرهم[١].

وهؤلاء يسموْن الصفاتية ؛ لأنهم يثبتون صفات الله تعالى خلافاً للمعتزلة ، لكنهم لم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته ، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته[٢].

وأصلهم الذي أصلوه في هذا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته[٣] لا فعل ولا غير فعل[٤].

والفرق بينهم وبين المعتزلة :

أن المعتزلة تقول : « لا تحله الأعراض والحوادث » فالمعتزلة لا يريدون (بالأعراض) الأمراض والآفات فقط ؛ بل يريدون بذلك الصفات . ولا يريدون (بالحوادث) المخلوقات ، ولا الأحداث المحيلة للمحل ونحو ذلك ـ مما يريده الناس بلفظ الحوادث ـ ؛ بل يريدون نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها فلا يجوزون أن يقوم به خلق ، ولا استواء ، ولا إتيان ، ولا مجيء ، ولا تكليم ، ولا مناداة ، ولا مناجاة ، ولا غير ذلك مما وصف بأنه مريد له قادر عليه .

ولكن ابن كلاب ومن وافقه خالفوا المعتزلة في قولهم : « لا تقوم به

(١) مجموع الفتاوى ٤١١/٥ ، ٥٢/٦ ، ٥٣ ، ١٤٧/٤ ، شرح الأصفهانية ص ٧٨ .
(٢) مجموع الفتاوى ٥٢٠/٦ .
(٣) مجموع الفتاوى ٥٢٤/٦ .
(٤) مجموع الفتاوى ٥٢٢/٦ .

الأعراض » وقالوا : « تقوم به الصفات ولكن لا تسمى أعراضاً » .

ووافقوا المعتزلة على ما أرادوا بقولهم : لا تقوم به الحوادث من أنه لا يقوم به أمر من الأمور المتعلقة بمشيئته[1]. ففرقوا بين الأعراض - أي الصفات - والحوادث - أي الأمور المتعلقة بالمشيئة[2] [3].

فالكلابية ومن تبعهم ينفون صفات أفعاله[4] ، ويقولون : « لو قامت به لكان محلًّا للحوادث . والحادث إن أوجب له كمالاً فقد عدمه قبله وهو نقص ، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجز وصفه به[5].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٥٢٠ ، ٥٢١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٢٥ .

(٣) تتميماً للفائدة فإن الخلاف في هذه المسألة على أربعة أقوال :

١- قول المعتزلة ومن وافقهم : أن الله لا يقوم به صفة ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره وهو قولهم : (لا تحله الأعراض ولا الحوادث) .

٢- قول الكلابية ومن وافقهم : التفريق بين الصفات والأفعال الاختيارية فأثبتوا الصفات ، ومنعوا أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته ؛ لا فعل ولا غير فعل .

٣- قول الكرامية ومن وافقهم : يثبتون الصفات ويثبتون أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته ، ولكن ذلك حادث بعد أن لم يكن ، وأنه يصير موصوفا بما يحدث بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن كذلك ، وقالوا لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث ، ففرقوا في الحوادث بين تجددها ولزومها فقالوا بنفي لزومها دون حدوثها .

٤- قول أهل السنة والجماعة : أثبتوا الصفات والأفعال الاختيارية وأن الله متصف بذلك أزلاً ، وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوف بها في القدم ، وإن كانت المفعولات محدثة . وهذا هو الصحيح . مجموع الفتاوى ٦/٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ١٤٩ .

(٤) الصفات الفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته ، أو التي تنفك عن الذات : كالاستواء ، والنزول ، والضحك ، والإتيان ، والمجيء ، والغضب والفرح . مجموع الفتاوى ٦/٦٨ ، ٥/٤١٠ .

(٥) مجموع الفتاوى ٦/٦٩ ، وانظر الرد على هذه الشبهة ٦/١٠٥ .

ولتوضيح قولهم نقول : إن المضافات إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة لا تخلو من ثلاثة أقسام :

أحدها : إضافة الصفة إلى الموصوف :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾[1] وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾[2] فهذا القسم يثبته الكلابية ولا يخالفون فيه أهل السنة ، وينكره المعتزلة .

والقسم الثاني : إضافة المخلوق .

كقوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾[4] وهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق .

والقسم الثالث : -وهو محل الكلام هنا- ما فيه معنى الصفة والفعل .

كقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾[7] .

فهذا القسم الثالث لا يثبته الكلابية ومن وافقهم على زعم أن الحوادث لا تحل بذاته . فهو على هذا يلحق عندهم بأحد القسمين قبله فيكون :

---

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٥٨ من سورة الذاريات .

(٣) الآية ١٣ من سورة الشمس .

(٤) الآية ٢٦ من سورة الحج .

(٥) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٦) الآية ١ من سورة المائدة .

(٧) الآية ٩٠ من سورة البقرة .

١- إما قديماً قائماً به

٢- وإما مخلوقاً منفصلاً عنه .

ويمتنع عندهم أن يقوم به نعت أو حال أو فعل ليس بقديم ويسمون هذه المسألة : « مسألة حلول الحوادث بذاته »[١] وذلك مثل صفات الكلام ، والرضا ، والغضب ، والفرح ، والمجيء ، والنزول والإتيان ، وغيرها . وبالتالي هم يؤولون النصوص الواردة في ذلك على أحد الوجوه التالية :

١ ـ إرجاعها إلى الصفات الذاتية واعتبارها منها ، فيجعلون جميع تلك الصفات قديمة أزلية ، ويقولون : نزوله ، ومجيئه وإتيانه ، وفرحه ، وغضبه ، ورضاه ، ونحو ذلك : قديم أزلي[٢] وهذه الصفات جميعها صفات ذاتية لله ، وإنها قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته واختياره[٣] .

٢ ـ وإما أن يجعلوها من باب « النسب » و « الإضافة » المحضة بمعنى أن الله خلق العرش بصفة تحت فصار مستوياً عليه ، وأنه يكشف الحجب التي بينه وبين خلقه فيصير جائياً إليهم ونحو ذلك . وأن التكليم إسماع المخاطب فقط[٤] .

فهذه الأمور من صفات الفعل منفصلة عن الله بائنة وهي مضافة إليه ، لا أنها صفات قائمة به . ولهذا يقول كثير منهم : « إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات ، وينكرون على من يقول آيات الصفات وأحاديث

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٤/٦ ، ١٤٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤١٢/٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٤١٠/٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٩/٦ .

الصفات »[١] .

٣ ـ أو يجعلوها « أفعال محضة » في المخلوقات من غير إضافة ولا نسبة[٢]؛ مثل قولهم في الاستواء إنه فعل يفعله الرب في العرش بمعنى أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم بالله فعل اختياري[٣].

وكقولهم في النزول إنه يخلق أعراضاً في بعض المخلوقات يسميها نزولاً[٤].

ونفاة الصفات الاختيارية يثبتون الصفات التي يسمونها عقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . واختلفوا في صفة البقاء .

ويثبتون في الجملة الصفات الخبرية كالوجه ، واليدين ، والعين ؛ ولكن إثباتهم لها مقتصر على بعض الصفات القرآنية ، على أن بعضهم إثباته لها من باب التفويض .

وأما الصفات الخبرية الواردة في السنة كاليمين ، والقبضة ، والقدم ، والأصابع ، فأغلب هؤلاء يتأولها[٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة ، وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد كلاب ، وأبي الحسن الأشعري وأئمة أصحابه : كأبي عبد الله بن مجاهد ، وأبي الحسن الباهلي ، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني ، وأبي إسحاق الاسفرائيني ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٤١١ ، ٤١٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/١٤٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٤٣٧ ، الأسماء والصفات للبيهقي ص٥١٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ٥/٣٨٦ .

(٥) مجموع الفتاوى ٦/٥٢ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٠٣٤ ، ١٠٣٦ .

محمد بن اللبان ، وأبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم القشيري ، وأبي بكر البيهقي ، وغير هؤلاء . فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى ، وعماد المذهب عندهم : إثبات كل صفة في القرآن .

وأما الصفات التي في الحديث فمنهم من يثبتها ومنهم من لا يثبتها[1]

القول الثالث : من يقول بإثبات سبع صفات فقط أو ثمان ونفي ما عداها .

وهذا قول المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية الذين لم يثبتوا من الصفات إلا ما أثبته العقل فقط ، وأما ما لا مجال للعقل فيه عندهم ، فتعرضوا له بالتأويل والتعطيل .

ولا يستدل هؤلاء بالسمع في إثبات الصفات ، بل عارضوا مدلوله بما ادعوه من العقليات .

وهذا القول لمتأخري الأشاعرة إنما تلقوه عن المعتزلة ، لما مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة ، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه ، الذين لم يكونوا يقرون بمخالفة النقل للعقل ، بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع ، ولهذا أثبت الأشعري الصفات الخبرية بالسمع ، وأثبت بالعقل الصفات العقلية التي تعلم بالعقل والسمع ، فلم يثبت بالعقل ما جعله معارضاً للسمع ؛ بل ما جعله معاضداً له ، وأثبت بالسمع ما عجز عنه العقل .

وهؤلاء خالفوه وخالفوا أئمة أصحابه في هذا وهذا ، فلم يستدلوا بالسمع في إثبات الصفات ، وعارضوا مدلوله بما ادعوه من العقليات[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٧/٤ ، ١٤٨ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩٧/٧ .

فالصفات الثبوتية عند متأخري الأشاعرة هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام[١]؛ وزاد الباقلاني وإمام الحرمين الجويني صفة ثامنة هي الإدراك[٢]

والصفات الثبوتية عند الماتريدية[٣] هي ثمان : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين[٤]وهم قد خصوا الإثبات بهذه الصفات دون غيرها ؛ لأنها هي التي دل العقل عليها عندهم ، وأما غيرها من الصفات فإنه لا دليل عليها من العقل عندهم ، فلذا قالوا بنفيها[٥].

وهؤلاء لا يجعلون السمع طريقاً إلى إثبات الصفات ولهم فيما لم يثبتوه طريقان :

١- منهم من نفاه .

٢- ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه بإثبات ولا نفي ويقولون بأن العقل دلّ على ما أثبتناه ولم يدل على ما توقفنا فيه[٦] .

والصفات السبع التي يثبتها هؤلاء يسمونها صفات المعاني ، وضابطها في اصطلاحهم هي : ما دل على معنى وجودي قائم بالذات ، ولم يقر هؤلاء إلا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥٨/٦ ، ٣٥٩ .

(٢) تحفة المريد ص٧٦ ، وبعض الأشاعرة توقف فيها والبعض نفاها .

(٣) انظر إشارات المرام ص١٠٧ ، ١١٤ ، جامع المتون ١٢٠٨ ، نظم الفرائد ص٢٤ ، الماتريدية دراسة وتقويم ص٢٣٩ .

(٤) أثبت الماتريدية صفة التكوين ، وعليه فهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى . وأما الأشاعرة فقد نفوها . انظر تحفة المريد ص٧٥ .

(٥) الماتريدية دراسة وتقويم ص٢٣٩ .

(٦) شرح الأصفهانية ص٩ ، مجموع الفتاوى ٣٥٩/٦ .

بسبعة منها هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . ونفوا ما عداها من صفات المعاني كالرأفة والرحمة والحلم[١] .

وقد زاد بعضهم في عده للصفات فأوصلها إلى عشرين صفة وقسمها إلى أربعة أقسام :

١- صفات المعاني ٢- الصفات المعنوية

٣- الصفات السلبية ٤- الصفة النفسية .

فصفات المعاني تقدم ضابطها وعدها . وهي القدر الذي عند هؤلاء من الإثبات ، أما الأقسام الثلاثة الباقية ؛ ليس فيها إثبات على الحقيقة .

فالقسم الثاني : الصفات المعنوية

وهي الأحكام الثابتة للموصوف بها ، معللة بعلل قائمة بالموصوف ، وهي كونه « حيًّا ، عليماً ، قديراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً » وهذا العد لا وجه له لأنه في الحقيقة تكرار لصفات المعاني المتقدم ذكرها .

ثم إن من عدها من هؤلاء عدوها بناءً على ما يسمونه الحالة المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة[٢].

والتحقيق أن هذا خرافة وخيال . وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة ، فكل ما ليس بموجود ، فهو معدوم قطعاً ، وكل ما ليس بمعدوم ، فهو موجود قطعاً ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء[٣]

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٥ .

(٢) تحفة المريد ص٧٧ .

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص١٠ .

٣- الصفات السلبية :

وضابطها عندهم : ما دل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات .

والذين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمساً لا سادس لها[١] وهي عندهم : القدم ، البقاء ، والمخالفة للحوادث ، والوحدانية ، والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس الذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل[٢] .

وعلى ضابطهم الذي ذكروه فإن هذه الخمس لا تتضمن معنى وجودي ؛ وإنما تتضمن أمراً سلبيًّا فعلى سبيل المثال :

القدم : المقصود بها نفي الحدوث .

والبقاء : المقصود بها نفي الفناء .

والوحدانية : المقصود بها نفي النظير المساوي له .

والقيام بالنفس : عدم افتقاره للمحل ، وعدم افتقاره للمخصص : أي الموجد .

٤- الصفة النفسية :

وضابطها هي : كل صفة إثبات لنفس لازمة ؛ ما بقيت النفس غير معللة بعلل قائمة بالموصوف .

وهي عندهم صفة واحدة هي : الوجود . وهي عندهم لا تدل على شيء زائد على الذات .

---

(١) يرى بعضهم أنها ليست منحصرة في هذه الخمسة ، إلا أن ما عداها راجع إليها ولو بالالتزام ، أو أن هذه مهماتها . انظر تحفة المريد ص٥٤ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص٨ .

يقول شارح جوهرة التوحيد : « واعلم أن الوجود صفة نفسية ؛ وإنما نسبت للنفس أي الذات ؛ لأنها لا تتعقل إلا بها ، فلا تتعقل نفس إلا بوجودها ، والمراد بالصفة النفسية : صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها » .

فقولنا : « **صفة** » كالجنس .

وقولنا : « **ثبوتية** » يخرج السلبية كالقدم والبقاء .

وقولنا : « **يدل الوصف بها على نفس الذات** » معناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات .

وقولنا : « دون معنى زائد عليها » تفسير مراد لقولنا « على نفس الذات » ويخرج بذلك المعاني ؛ لأنها لا تدل على معنى زائد على الذات ، وكذلك « المعنوية » فإنها تستلزم المعاني . فهي تدل على معنى زائد على الذات لاستلزامها المعاني[(١)].

وبهذا يعلم أنه ليس عند هؤلاء من الإثبات إلا الصفات السبع التي يسمونها صفات المعاني وهي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر والكلام ، وما عداها من الصفات الثبوتية لا يثبتونها ، ولهم في نصوصها أحد طريقين : إما التأويل ، أو التفويض ، وفي هذا يقول قائلهم :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوضه ورم تنزيها[(٢)]

فنصوص الصفات التي وردت في إثبات ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص٩١ .

يسمونها نصوص موهمة للتشبيه ، فهم يصرفونها عن ظاهرها ، ولكنهم تارة يعينون المراد كقولهم استوى : استولى ، واليد : بمعنى النعمة والقدرة؛ وتارة يفوضون فلا يحددون المعنى المراد ويكلون علم ذلك إلى الله عز وجل . ولكنهم يتفقون على نفي الصفة لأن ناظمهم يقول : « ورم تنزيهاً » .

وشارح الجوهرة يقول : « أو فوض » أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى[1].

فهم بذلك متفقون على نفي تلك الصفات ، ويخيرون في تحديد المعنى المراد أو السكوت عن ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات -أي الصفات الخبرية- موافقة للمعتزلة والجهمية . ثم لهم قولان :

أحدهما : تأويل نصوصها ، وهو أول قولي أبي المعالي ؛ كما ذكره في الإرشاد .

والثاني : تفويض معانيها إلى الرب ، وهو آخر قولي أبي المعالي ؛ كما ذكره في « الرسالة النظامية » ، وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب .

ثم هؤلاء منهم من ينفيها ويقول : إن العقل الصريح نفى هذه الصفات . ومنهم من يقف ويقول : ليس لنا دليل سمعي ولا عقلي ، لا على إثباتها ولا على نفيها ؛ وهي طريقة الرازي والآمدي »[2] .

○ ○ ○ ○

(١) تحفة المريد ص٩١

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٤٩ .



الفصل الثاني

أطوار مقالة التعطيل

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المقالات السابقة لمقالة التعطيل .

المبحث الثاني : نشأة التعطيل وأطواره .



المبحث الأول

المقالات السابقة لمقالة التعطيل

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : مقالة الخوارج .

المطلب الثاني : مقالة الشيعة .

المطلب الثالث : مقالة القدرية

المطلب الرابع : مقالة المعتزلة .

المطلب الخامس : مقالة المرجئة .

• • • •

المطلب الأول

مقالة الخوارج

تأخر زمن ظهور مقالة التعطيل مقارنة بغيرها من المقالات المتقدمة ، فلم يكن لمقالة التعطيل وجود في عصر الصحابة وكبار التابعين ، وإنما تأخر ظهورها إلى أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية . فمقالة تعطيل الصفات ليست بأول المقالات ظهوراً في المجتمع المسلم ، فقد سبقها عدة مقالات لعل أولها مقالتا الخوارج والشيعة الذين ظهروا في آخر خلافة علي رضي الله عنه(١).

ولقد كان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان متفقين لا تنازع بينهم ، وكانوا على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول(٢) إلى أن حدث في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه أمور أوجبت نوعاً من التفرق ، وقام قوم من أهل الفتنة فقتلوا عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ) .

فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ، ووقعت الفتنة ، وأدى ذلك إلى اقتتالهم بصفين سنة (٣٧هـ) ، واتفقوا على تحكيم حكمين ، فخرجت الخوارج من ذلك الحين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له « حروراء » فكف عنهم إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فعلم علي رضي الله عنه أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله ﷺ فقاتلهم .

فهم الفرقة المارقة التي قال فيها النبي ﷺ : « تمرق مارقة عند فرقة من

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٤٤/٥ ، مجموع الفتاوى ٣٣/٦ .

(٢) منهاج السنة ٣٠٦/١ .

المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق »[١] .

وكانت بدعتهم إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ؛ ولم يقصدوا معارضته ، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ؛ إذ المؤمن هو البر والتقي ، فقالوا : فمن لم يكن برًّا تقيًّا فهو كافر ، وهو مخلد في النار ؛ ثم قالوا : وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله . فكانت بدعتهم لها مقدمتان :

الأولى : أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر .

الثانية : أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك[٢].

وبذلك خرجت الخوارج بجهلهم وعتوهم وتكفيرهم للمسلمين وقتلهم إياهم[٣] وكانت آراؤهم مفرعة على الجهل وقوة النفوس والاعتقاد الفاسد .

● ● ● ●

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٣/١١٣ ط١ ، دار المعرفة .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٣١ ، ٣٢ .

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/١٠ .

المطلب الثاني

مقالة الشيعة

وحدثت أيضاً في خلافة علي رضي الله عنه (٣٥ - ٤٠ هـ) بدعة « التشيع » لكن أصحابها كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته ، بل كانوا ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى

الغلاة : المدعين لإلهية علي

وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار ، فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له ، فقال لهم : ما هذا ؟ فقالوا : أنت هو . قال : من أنا ؟ قالوا : أنت الله الذي لا إله إلا هو . فقال : ويحكم هذا كفر فارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم ، فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك ، فأخرهم ثلاثة أيام ـ لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام ـ فلما لم يرجعوا ؛ أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كنده ، وقذفهم في تلك النار ، وروى عنه أنه قال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

الطائفة الثانية : السابة

الذين يسبون أبا بكر وعمر ، فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه ، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى أرض قرقيسيا .

الطائفة الثالثة : المفضلة

الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر ؛ فأمر بجلدهم ، فقد روى عنه أنه قال :

لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري .

وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ، روى هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ورواه البخاري[1] وغيره [2].

قال الهروي : « وأما فتنة قصب السلف ـ أي الرفض ـ فإن الكوفة دارها التي حرفتها ، ثم طار في الآفاق شررها ، واستطار فيها ضررها ، وإنما هاجتها أحلام فيها ضيق ، وأشربتها قلوب فيها حمق ، ولها عروق خفية ، السلامة للقلوب في ترك إظهار بعضها ، وأربابها أحمق خلق الله تعالى ، عرضت تساوى بين علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر ، ثم أخذت تفضله عليهما وتخاصمهما وتضلهما وتوليه حقهما ، ثم جاءت تعدله بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وتشركه في وحي السماء ، ثم خطأت جبريل عليه السلام في نزوله ، فخلّت الأمة من النبوة ، وأحوجتها إلى علي رضي الله عنه ، ثم ادعت له الإلهية ثم ادعتها لولده .

قال الإمام المطلبي : « لو كانوا دواباً لكانوا حُمُراً ، ولو كانوا طيراً لكانوا رخماً » .

فاستظهرت بهؤلاء الغالية أرباب القلوب المريضة ، فتظاهرت على قصب السلف الذين هم الناقلون وفيهم قانون الدين والملة ، فهؤلاء الذين قالوا في السلف الصالح بالقول السيئ أرادوا القدح في الناقل ؛ لأن القدح في الناقل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب حدثنا الحميدي وعبد الله ..) ٧/٥ .

(٢) منهاج السنة ٣٠٧/١، ٣٠٨ ، مجموع الفتاوى ٣٣/١٣، ٣٤ .

إبطال المنقول ، فأرادوا إبطال الشرع الذي نقلوا ، وإنما تعلقوا بعلي بن أبي طالب تسلحاً .

ولم تكابد الأمة من شؤم شيء ما كابدت من شؤوم تلك الفتنة . لم يكد قلب مسلم يسلم من شرب منها إلا من رحم ربك فعصم[١] .

ومنذ أن ظهر التشيع واليهود[٢] والمجوس[٣] يوقدون ناره تحت دعوى أن للرسول صلى الله عليه وسلم وصيًا هو علي بن أبي طالب ، ولكن الصحابة تمالؤا على ظلمه وكتمان الوصية ؛ على حد زعمهم الكاذب .

ولم يزل التشيع يتطور بتطرفه وتشيعه ، حتى صار ملجئاً لكل من يريد أن يحارب الإسلام والمسلمين ، فقد دخل في الرافضة أهل الزندقة والإلحاد من « النصيرية » و « الإسماعيلية » وأمثالهم من الملاحدة « القرامطة » وغيرهم ممن كان بخراسان والعراق والشام وغير ذلك[٤].

ومن شنيع عقائدهم القول بأن القرآن مبدل ومحرف ومزيد فيه ومنقوص منه وأن معظم الصحابة ارتدوا بعد إسلامهم إن لم يكونوا كلهم ماعدا علي بن أبي طالب ونفر قليل معهم .

وقد وصل الضلال ببعضهم والجراءة على الله تعالى ، إلى أن يقول بخيانة جبريل للرسالة ، وأنه أرسل إلى علي فعدل إلى محمد .

---

(١) ذم الكلام للهروي ص٣٠٤ ، ٣٠٥ . بتصرف .

(٢) انظر كتاب بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود ، لعبد الله الجميلي .

(٣) انظر كتاب . وجاء دور المجوس/ لعبد الله الغريب .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/٥٢٨ .

ولم يزل الرفض يبتعد بأهله عن الدين والعقل والفطرة إلى يومنا هذا[١].

فهاتان البدعتان : بدعة الخوارج والشيعة ، حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة[٢]؛ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، فلما قتل ذو النورين بين ظهراني المسلمين في الشهر الحرام ، وفي حرم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأعين المسلمين ، وانشقت العصا وتفرقت الجماعة ، تشاءمت الأعين ، وتخاذلت الأنفس ، اختلفت الآراء ، وتباعدت القلوب ، وساءت الظنون ، واستعلت الريب ، واستقوت التهم ؛ وجدت كل فتنة فرصتها ، فلفظت غصتها ، واشتغل الرعاع ، وأسلم الشارك ، وتزاحف أئمة الهدى رغبة في زهرة الدنيا ، فأخذت الغواة أزمة الضلالة ، فتهوست لها من قلوب أهل الغفلة[٣].

○ ○ ○ ○

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/١٠ .

(٢) منهاج السنة ١/٣٠٨ .

(٣) ذم الكلام للهروي ص٣٠٣ .

المطلب الثالث

مقالة القدرية

ثم حدثت بعد ذلك بدعة « القدرية » في آخر عصر الصحابة[١] .

وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات ، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير (٦٤-٧٣هـ) بعد موت معاوية[٢].

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع[٣]. رضي الله عنهم .

وابن عباس مات (٦٨هـ) قبل ابن الزبير ، وابن عمر مات عقب موته (٧٤هـ) .

وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين ، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز ، والشام ، والعراق ، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة ، وأقله كان بالحجاز[٤].

وأول من عرف بنفي القدر ، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة ، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني[٥].

قال الهروي : « فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني ؛ رجل من أهل البصرة ، كان عنده حظ من العلم ، يقال له معبد بن خالد ، ويقال معبد بن

---

(١) منهاج السنة ٣٠٨/١ .

(٢) الحسنة والسيئة ص١٠٣ .

(٣) منهاج السنة ص١٠٣ .

(٤) الحسنة السيئة ص١٠٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢٢٥/١٠ .

عبد الله بن عويم ، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث ، وأصابته جراحة ، وهو أول من تكلم بالقدر ، وهو الذي تبرأ منه عبد الله ابن عمر بن الخطاب[١] . مات قبل التسعين[٢] ؛ قتله الحجاج بن يوسف ، وقيل صلبه عبد الملك ابن مروان سنة ثمانين[٣].

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني[٤].

قال الهروي : « فتكلم عليه عمرو بن عبيد ، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي ، وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان ، وكان عنده حظ من العلم ، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان ، واستتابه عمر بن عبد العزيز ، ثم ظهر منه تكذيب التوبة[٥] زمن يزيد بن عبد الملك ، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك سنة (١٠٦هـ) أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته ، ثم قتله[٦] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر[٧].

« وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة ، فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه ، ونظم له كلاما ونصبه إماماً ، ودعا إليه ودل عليه ، فصار مذهباً يسلك ، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى وأس المعتزلة ؛ سموا به

(١) ذم الكلام ص٣٠٣ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٢٢٥/١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٨٧/٤ .
(٥) ذم الكلام ص٣٠٣ .
(٦) الشريعة للآجري ص٢٢٨ ، التنبيه والرد للملطي ص١٦٨ .
(٧) ذم الكلام ص٣٠٣ .

لاعتزاله حلقة الحسن البصري ، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي ، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة ، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي ، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع ، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبوبكر أيوب بن أبي تميمة السختياني ، فهتك أستاره ، وأظهر عواره ، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة »[١] .

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية ، فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة[٢].

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده ، وظنوا أن ذلك ممتنع ؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده ، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي ؛ لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد .

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة ، أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم . ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم ، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين .

---

(١) ذم الكلام ص٣٠٣ .

(٢) ذم الكلام ص٣٠٥ .

١- « **النفاة** » : يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة ، وهو لم يرد إلا ما أمر به ، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد .

٢ -« **المجبرة** » : كالجهم بن صفوان وأمثاله ، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة ، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة ، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة ، بل الله هو الفاعل القادر فقط[1].

○ ○ ○ ○

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٣٦ ، ٣٧ .

المطلب الرابع

مقالة المعتزلة

ثم أحدثت المعتزلة القول بالمنزلة بين المنزلتين وقالوا بإنفاذ الوعيد وخلود أهل التوحيد في النار ، وأن النار لا يخرج منها من دخلها[١].

وكانت « الخوارج » قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : « إنهم كفار مخلدون في النار ، فخاض الناس في ذلك[٢] وخاض في ذلك المعتزلة بعد موت الحسن البصري (١١٠هـ) في أوائل المائة الثانية ، ولم يكن الناس إذ ذاك قد أحدثوا شيئاً من نفي الصفات[٣].

فقال عمرو عبيد (١٤٣هـ) وأصحابه ، لا هم مسلمون ولا كفار ، بل هم في منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون في النار . فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون ، وعلى أنهم ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء ، ولكن لم يسموهم كفاراً . واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري ، مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ، وقيل إن قتادة كان يقول : أولئك المعتزلة[٤].

والمعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية ، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر ، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد

---

(١) كتاب الحسنة والسيئة ص١٠٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧/١٣ .

(٣) كتاب الحسنة والسيئة ص١٠٣ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٧/١٣ ، ٣٨ .

هذا ، ولهذا لما ذكر الإمام أحمد قول جهم في رده على الجهمية قال : (فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره ، واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههم من أهل الكلام[1].

○ ○ ○ ○

---

(١) شرح الأصفهانية ص٦٥ .

المطلب الخامس

مقالة المرجئة

وحدثت المرجئة ، وكان أكثرهم من أهل الكوفة ، فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا إن الأعمال ليست من الإيمان[١]

وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣هـ) وقيل إن أول من قال به هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني (توفي قبل المائة) .

فقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن سلمة بن كهيل « قال : وصف « ذر » الإرجاء وهو أول من تكلم فيه ، ثم قال إني أخاف أن يتخذ هذا ديناً ، فلما أتته الكتب من الآفاق قال : فسمعته يقول بعد : وهل أمر غير هذا »[٢].

وقال أبو داود : كان مرجئاً وهجره إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير بالإرجاء[٣].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية : « أن حماد بن أبي سليمان (ت١٢٠هـ) هو أول من قال بالإرجاء »[٤].

وكانت بدعة الإرجاء مقتصرة في بدايتها على إرجاء الفقهاء ولذلك كانت هذه البدعة أخف البدع ، فإن كثيراً من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/١٣ .

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٢٩/١ رقم ٦٧٧) .

(٣) تهذيب التهذيب ٢١٨/٣ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩٧/٧ ، ٣١١ ، ٥٠٧/٥ .

دون الحكم ، إذ كان الفقهاء الذين يضاف إليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة ، وعلى أنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه ، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب . فكان الخلاف معهم في الأعمال هل هي من الإيمان؟ ، وفي الاستثناء ونحو ذلك عامته نزاع لفظي(١).

وصارت المرجئة بعد ذلك على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذين قالوا « الإيمان تصديق القلب وقول اللسان » وهؤلاء يسمون مرجئة الفقهاء . وهم علماؤهم وأئمتهم وأحسنهم قولاً .

وقد استقر إرجاء الفقهاء على ثلاثة أسس هي :

١- زعمهم أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان وأن الإيمان هو التصديق .

٢- زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

٣- زعمهم أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان .

القسم الثاني : الذين قالوا : « هو تصديق القلب فقط » وإن لم يتكلم به .

وهذا قول الجهمية ، وهو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه . فالجهم كان يقول إن الإيمان مجرد تصديق القلب وإن لم يتكلم به . وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها ، بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول . ولكن هذا هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه؟! ولكن قالوا

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/١٣، ٤٨ .

مع ذلك إن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا على تكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة .

القسم الثالث : الذين يقولون : « الإيمان هو القول فقط » .

فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان ، لكن إن كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة ، وإنِ كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار ، وهذا قول الكرامية .

وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان ، وبعض الناس يحكى عنهم أن من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة ، وهو غلط عليهم ، بل يقولون إنه مؤمن كامل الإيمان ، وإنه من أهل النار[١].

○ ○ ○ ○

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨/١٣ ، ٤٨-٥٥ ، ٥٦ .

المبحث الثاني

نشاة التعطيل واطواره

المطلب الأول : خطورة مقالة التعطيل .

المطلب الثاني : مراحل التعطيل الأولى .

المطلب الثالث : مراحل اتساع دائرة التعطيل .

• • • •

المطلب الأول

خطورة مقالة التعطيل

ظهرت مقالة التعطيل التي هي مقالة « الجهمية » في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة : « هذه مسألة كبيرة عظيمة القدر اضطرب فيها خلائق من الأولين والآخرين من أوائل المائة الثانية من الهجرة النبوية ، فأما المائة الأولى فلم يكن بين المسلمين اضطراب في هذا . وإنما نشأ ذلك في أوائل المائة الثانية ؛ لما ظهر « الجعد بن درهم » وصاحبه « الجهم بن صفوان » ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات »[٢].

وقد جاءت هذه المقالة من حيث الترتيب بعد مقالات الخوارج ، والشيعة والقدرية والمعتزلة والمرجئة ، فقد كانت تلك المقالات أسبق في الظهور منها[٣]. لكن مقالة التعطيل تعد أغلظ تلك البدع ، والسبب في ذلك :

---

(١) منهاج السنة ٣٠٩/١ ، مجموع الفتاوى ١٧٧/١٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٣/٦ .

(٣) الناس في ترتيب أهل الأهواء على أقسام :

١- منهم من يرتبهم على زمن حدوثهم ، فيبدأ بالخوارج .

٢- ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغِلَظِهِ فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية ، كما فعله كثير من أصحاب أحمد رحمه الله ، كعبد الله ابنه ونحوه ، وكالخلال ، وأبي عبد الله بن بطة ، وأمثالهما ، وكأبي الفرج المقدسي ، وكلا الطائفتين تختم بالجهمية ؛ لأنهم أغلظ البدع ، وكالبخاري في صحيحه فإنه بدأ بكتاب الإيمان والرد على المرجئة ، وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ، ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات ، فيكون الكلام أولاً مع الجهمية . انظر مجموع الفتاوى ٤٩/١٣ ، ٥٠ .

أولاً : أن أصحاب هذه المقالة كانوا أول من عارض الوحي بالرأي ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات ، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي رضي الله عنه ، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة ، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم ، ولا يدَّعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص[1].

قال ابن القيم رحمه الله : « مضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور - أي نور الوحي - لم تطفئه عواصف الأهواء ، ولم تلتبس به ظلم الآراء ، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم ، وأن لا يخرجوا عن طريقهم ، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة ، والخوارج ، والقدرية ، والمرجئة ، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة ، ومع هذا لم يفارقوه بالكلية ، بل كانوا للنصوص معظمين ، وبها مستدلين ، ولها على العقول والآراء مقدمين ، ولم يدَّع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص ، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها والاستبداد بما ظهر لهم منها ، دون من قبلهم ، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم .

فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر ، ورموهم بالعظائم ، وتبرؤا منهم ، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير وكانوا لا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم ، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة ، وهو أكثر من أن يذكر هاهنا .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٤٤ .

فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي »[١].

ثانياً : أن بدعة هؤلاء كانت في أعظم مسائل الإيمان ، ألا وهي الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ، بل أعظم مسائل الدين ، وهذا ما لم يسبقهم إليه أحد من أهل المقالات إلا القدرية ؛ روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن أبي المعتمر سليمان ابن طرخان التيمي[٢] قال : « ليس قوم أشد نقضاً للإسلام من الجهمية والقدرية ، وأما الجهمية فقد بارزوا الله تعالى ؛ وأما القدرية فقد قالوا في الله عز وجل »[٣].

ودخل رأس من رؤوس الزنادقة يقال له « شمعلة » على المهدي فقال : دلني على أصحابك . فقال : أصحابي أكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم . فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة : الجهمية والقدرية . الجهمي إذا غلا قال : ليس ثم شيء وأشار إلى السماء . والقدري إذا غلا قال : هما اثنان ، خالق خير وخالق شر ؛ فضرب عنقه وصلبه[٤].

وقال عبد الله بن المبارك : « ليس تعبد الجهمية شيئاً »[٥] .

وقد مضى عصر الصحابة[٦] وعقيدة الإيمان بأسماء الله وصفاته محفوظة

(١) الصواعق المرسلة ٣/١٠٦٩-١٠٧٠ .

(٢) شيخ الإسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي البصري مولاهم ، لم يكن تيميا بل نزل فيهم ثقة عابد ، مات سنة ١٤٣هـ (التقريب ١/٣٢٦) .

(٣) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/١٠٤ ، ١٠٥ رقم (٨) .

(٤) كتاب خلق أفعال العباد ص١١ ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ١/٤٨ .

(٥) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/١٠٩ رقم (١٧) .

(٦) كان آخر الصحابة موتاً الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه ، وصحح الذهبي أنه مات سنة عشر ومائة . انظر تدريب الراوي ٢/٢٢٨ ، ٢٢٩ .

مصونة ؛ إلى أن ابتدع الجعد مقالته في أواخر عصر التابعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى استوى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم »[١].

○ ○ ○ ○

(١) الفتوى الحموية ص٤٧ .

المطلب الثاني

مراحل التعطيل الأولى

● مرحلة الجعد بن درهم :

فالجعد بن درهم هو أول من عرف عنه أنه أظهر في الإسلام مقالة التعطيل[١].

قال الهروي : « وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل فأول من زرعها جعد بن درهم ، فلما ظهر جعد قال الزهري ـ وهو أستاذ أئمة الإسلام وقائدهم ـ : « ليس الجعد من أمة محمد ﷺ »[٢].

وقال ابن القيم : « فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي ، ومع هذا كانوا قليلين أولاً مقموعين مذمومين عند الأئمة ، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم ، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ؛ ولهذا كان يسمى مروان الجعدي ، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة .

فلما اشتهر أمره في المسلمين ، طلبه خالد بن عبد الله القسري ، وكان أميراً على العراق ، حتى ظفر به ، فخطب الناس في يوم الأضحى ، وكان آخر ما قال في خطبته : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم ؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ،

---

(١) منهاج السنة ٣٠٩/١ ، مجموع الفتاوى ١٧٧/١٣ .

(٢) ذم الكلام ص٣٠٤ .

تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا . ثم نزل فذبحه في أصل المنبر فكان ضَحِيَّةً ، ثم طفئت تلك البدعة فكأنت كأنها حصاة رمي بها ، والناس إذ ذاك عنق واحد أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال وأنه كلم عبده ورسوله موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكًّا هشيماً »[١].

● **مرحلة الجهم بن صفوان :**

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان[٢] الذي أخذ عن الجعد بن درهم مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة[٣] والجهم هو الذي نشر ذلك المذهب وتكلم عليه فبسطه وطراه ودعا إليه ، وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المبالغة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه ؛ نظراً لما كان عليه من سلاطة في اللسان ، وكثرة الجدل والمراء .

فهو صاحب ذلك المذهب الخبيث الذي اشتهر بنسبته إليه والذي صار به مذهباً ، فلم يزل هو يدعو إليه الرجال ، وامرأته « زهرة » تدعو إليه النساء ؛ حتى استهويا به خلقاً من خلق الله كثيراً .

وكانت فتنته بالمشرق ، فهناك بسطت ومهدت ثم سارت في البلاد[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم ظهر جهم بن صفوان من ناحية المشرق من ترمذ ، ومنها ظهر رأي جهم . ولهذا كان علماء السنة والحديث بالمشرق أكثر

(١) الصواعق المرسلة ٣/١٠٧٠ - ١٠٧٢

(٢) منهاج السنة ١/٣٠٩ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/٥٠ ، البداية ٩/٣٥٠ .

(٤) ذم الكلام للهروي ص٣٠٥ .

كلاماً في رد مذهب جهم من أهل الحجاز ، مثل إبراهيم بن طهمان ، وخارجة بن مصعب ، و مثل عبد الله بن المبارك ، وأمثالهم وقد تكلم في ذمهم ابن الماجشون ، وغيرهما وكذلك الأوزاعي ، وحماد بن زيد وغيرهم »[١].

وقد ظهر الجهم في آخر دولة بني أمية . وقد قتل في بعض الحروب[٢] سنة (١٢٨هـ) .

● مرحلة اشتهار مقالة التعطيل :

وبعد مقتل الجهم بن صفوان على يد سلم بن أحوز ، قام لهذه المقالة أحمد ابن أبي داؤد (٢٤٠هـ) وبشر المريسي (٢١٨هـ) فملآ الدنيا محنة والقلوب فتنة دهراً طويلاً .

فما إن جاء أول المائة الثالثة ، وولي على الناس عبد الله المأمون (١٩٨هـ - ٢١٨هـ) ، وكان يحب أنواع العلوم ، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم ، فغلب عليه حب المعقولات فأمر بتعريب كتب اليونان ، وأقدم لها المترجمين من البلاد فعربت له ، واشتغل بها الناس ، والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه ، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتتبعهم بالحبس والقتل ، فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه ، فقبلها واستحسنها ، ودعا الناس إليها ، وعاقبهم عليها[٣].

قال ابن تيمية : « الجهمية لم يكونوا ظاهرين إلا بالمشرق ؛ لكن قوى أمرهم

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥١/١٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٢/١٣ .

(٣) الصواعق المرسلة ١٠٧٢/٣ .

لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ما تلقاه . ثم لما تولى الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ، ودعا إلى قولهم في آخر عمره ، وكتب وهو بالثغر بطرسوس إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا القرآن مخلوق ؛ فلم يجبه أحد ؛ ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه ؛ فأجاب أكثرهم ، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد ، وبقي اثنان لم يجيبا : الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه ؛ وكان هذا سنة ثماني عشر ومائتين »[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن تلك الحقبة الزمنية وما قبلها وما بعدها : « وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوى ، كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى ، وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ، ظهرت البدع بحسب ذلك ، مثل دولة المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ) والرشيد (١٧٠- ١٩٤هـ) ونحوهما ممن كان يعظم الإسلام والإيمان ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين . كان أهل السنة في تلك الأيام أقوى وأكثر ، وأهل البدع أذل وأقل ؛ فإن المهدي قتل من المنافقين الزنادقة من لا يحصى عدده إلا الله ، والرشيد كان كثير الغزو والحج .

وذلك أنه لما انتشرت الدولة العباسية وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي ﷺ حيث قال : « الفتنة هاهنا » ؛ ظهر حينئذ كثير من البدع ، وعربت أيضاً إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم من

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٣/١٣ .

المجوس الفرس ، والصابئين الروم ، والمشركين الهنود ، وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس ، وأحسنهم إيماناً وعدلاً وجوداً ؛ فصار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك .

وفي دولة « أبي العباس المأمون » ظهر « الخرمية » ونحوهم من المنافقين ، وعرَّب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين ، وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة .

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين ، وقوى ما قوى من حال المشركين وأهل الكتاب ؛ كان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة . وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلاً وعدلاً ، وإنما هو جهل وظلم ، إذ التسوية بين المؤمن والمنافق ، والمسلم والكافر أعظم الظلم ، وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل ، فتولد من ذلك محنة الجهمية ، حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته ، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى ، مما يطول وصفه »(١).

قال الذهبي : « لما تولى المأمون الخلافة على رأس المائتين ؛ نجم التشيع وأبدى صفحته ، وكان المأمون شيعيًا »(٢)

وبزغ فجر الكلام ، وعربت حكمة الأوائل ومنطق اليونان ، وعمل رصد الكواكب ، ونشأ للناس علم جديد مُرْدٍ مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٢٠ ، ٢١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٢٨١ .

توحيد المؤمنين ، وقد كانت الأمة منه في عافية ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة ، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ، ودعاهم إليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة إلا بالله . إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، وتُقَدَّم عقول الفلاسفة ، ويُعْزَلَ منقول أتباع الرسل ، ويُمَارَى في القرآن ، ويتبرم بالسنن والآثار ، وتقع في الحيرة . فالفرار قبل حلول الدمار ، وإياك ومضلات الأهواء ومجاراة العقول ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم »[١].

فالمأمون أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن من السلاطين ودعا إليها بقوة السلطان ، « وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة ومائتين فأنكر الناس ذلك واضطربوا ولم ينل مقصوده ففتر إلى وقت »[٢] « ولكنه لم يرجع عن قوله وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمان عشرة وشدد عليهم فأخذه الله »[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ، ولابد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها »[٤]

قال السيوطي : « أول من أدخل المنطق والفلسفة وسائر علوم اليونان في ملة الإسلام وأحضرها من جزيرة قبرص ؛ المأمون »[٥].

وفي هذه المرحلة قويت شوكة التعطيل واتسعت دائرته ونشط دعاته وكثرت

(١) تذكرة الحفاظ ٣٢٨/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٨١/١٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٠ ، فوات الوفيات ٢٣٨/٢ .

(٤) لوامع الأنوار البهية ٩/١ .

(٥) الوسائل إلى مسامرة الأوائل ص١١٨ .

طوائفه . فبعد أن كان خصوم أهل السنة هم الجهمية فقط ؛ ظهر المعتزلة الذين حملوا راية التعطيل ووجهوا دفته ، ودخلوا فيه بقوة هيأها لهم المأمون ومن بعده المعتصم ثم الواثق . وشايعهم على ذلك العديد من الفرق الضالة ، فجمعت المعتزلة من ذلك الوقت بين بليتين : « بلية نفي الصفات » و« بلية نفي القدر » ، وفي هذه المرحلة ظهر القرامطة ، وبدؤوا يظهرون قولهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكانت محنة الإمام أحمد سنة عشرين ومائتين ، وفيها شرعت القرامطة الباطنية يظهرون قولهم ، فإن كتب الفلاسفة قد عُرِّبت وعرف الناس أقوالهم ، فلما رأت الفلاسفة أن القول المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته هو هذا القول الذي يقوله المتكلمون الجهمية ومن اتبعهم ، ورأوا أن هذا القول الذي يقولونه فاسد من جهة العقل؛ طمعوا في تغيير الملة . فمنهم من أظهر إنكار الصانع ، وأظهر الكفر الصريح ، وقاتلوا المسلمين ، وأخذوا الحجر الأسود ؛ كما فعلته قرامطة البحرين »[1] .

وفي هذه المرحلة أيضاً ظهرت « الصفاتية » وهم وإن كانوا من أقرب المتكلمين إلى السنة ؛ إلا أنهم خالفوا قول أهل السنة بنفيهم للصفات الاختيارية ، وعلى رأس أولئك عبد الله بن سعيد بن كلاب (٢٣٤هـ) والحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٣٤) وأبو العباس القلانسي وغيرهم .

ومنذ ذلك الحين اتسعت دائرة التعطيل وعظم خطره وكثر خصوم السنة .

○ ○ ○ ○

(١) مجموع الفتاوى ٥/٥٥٨ .

المطلب الثالث

مراحل اتساع دائرة التعطيل

● مرحلة المعتزلة :

وقد دخلت المعتزلة في تلك المرحلة في هذه المقالة ، وشاركوا الجهمية في بعض أصولهم ، « مع أن المعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية ، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وإنكار القدر ، وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا ؛ ولهذا لما ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية [١] قول جهم قال : « فاتبعه قوم من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة » .

واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف (٢٣٥هـ) والنظام (٢٣١هـ) وأشباههم من أهل الكلام »[٢].

وبدأ اشتهار مقالة التعطيل من حين فتنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة ، فالمعطلة للأسماء والصفات في زمن إمارة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) قووا وكثروا ؛ فإن المأمون كان قد أقام بخراسان مدة ، واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين ، وفيها مات المأمون .

وردوا أحمد بن حنبل إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين ومائتين وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم في الكلام . فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه ، وبين أن لا حجة لهم في شيء من ذلك ، وأن طلبهم من الناس أن

(١) الرد على الزنادقة و الجهمية ص٦٦ ، ٦٧ .(ضمن كتاب عقائد السلف) .

(٢) شرح الأصفهانية ص٦٥ .

يوافقوهم ، وامتحانهم إياهم ، جهل وظلم . وأراد المعتصم إطلاقه ، فأشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه حتى لا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة . فلما ضربوه قامت الشناعة عليهم في العامة ، وخافوا الفتنة ؛ فأطلقوه .

وكان أحمد بن أبي دؤاد قد جمع له نفاة الصفات القائلين بخلق القرآن من جميع الطوائف ، وكانت الطوائف التي تقول بخلق القرآن في ذلك الحين هم المعتزلة ، والجهمية أتباع جهم ، والنجارية أتباع حسين النجار ، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو ، ولذلك يخطئ من يظن أن خصوم الإمام أحمد هم المعتزلة فقط ، فيظن أن بشر بن غياث المريسي - وإن كان مات قبل محنة الإمام أحمد - وابن أبي دؤاد ونحوهما كانوا معتزلة وليس كذلك(١).

وقد استمرت محنة القول بخلق القرآن أربعة عشر عاماً من سنة ثماني عشرة ومائتين إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين للهجرة ؛فقد سار المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) على طريقة المأمون ، فامتحنوا العلماء بذلك وحملوا الكافة على القول بخلق القرآن ، فمدت بدعة التعطيل رواقها ، وتنفذ أهلها على البلاد والعباد ، وصارت المنابر والحلق والقضاء حكراً على هؤلاء المعطلة ، وضيق على أهل السنة ونالهم العنت الشديد . وهو أمر لم يسبق له نظير قبله في خلفاء الأمة .

واستمر الأمر كذلك حتى جاء الله بالفرج والنصر لأهل السنة في عهد الخليفة المتوكل رحمه الله سنة أربع وثلاثين ومائتين فانقضى عصر المحنة بعد سنتين من خلافة المتوكل الذي أظهر السنة ، وقمع البدعة ، وزجر عن القول

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥١/١٤ ، ٣٥٢ بتصرف . و ٥٥٤/٥ .

بخلق القرآن »[١]

وظهر للناس وتبين لهم باطن أمر الجهمية ، وأنهم معطلة الصفات يقولون إن الله لا يرى ، ولا له علم ، ولا قدرة ، وإنه ليس فوق العرش رب ، ولا على السماوات إله ، وإن محمداً لم يعرج به إلى ربه ، إلى غير ذلك من أقوال الجهمية النفاة ، فكثر رد الطوائف عليهم بالقرآن والحديث والآثار تارة وبالكلام الحق تارة ، وبالباطل تارة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان في أيام « المتوكل » (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) قد عز الإسلام ، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية ، وألزموا الصغار ، فعزت السنة والجماعة ، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم .

وكذلك في أيام « المعتضد » (٢٧٩-٢٨٩هـ) « والمهدي » (١٥٨-١٦٩هـ) « والقادر » (٣٨١-٤٢٢هـ) وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا أحمد سيرة وأحسن طريقة من غيرهم . وكان الإسلام في زمنهم أعز ، وكانت السنة بحسب ذلك[٣].

○ ○ ○ ○

---

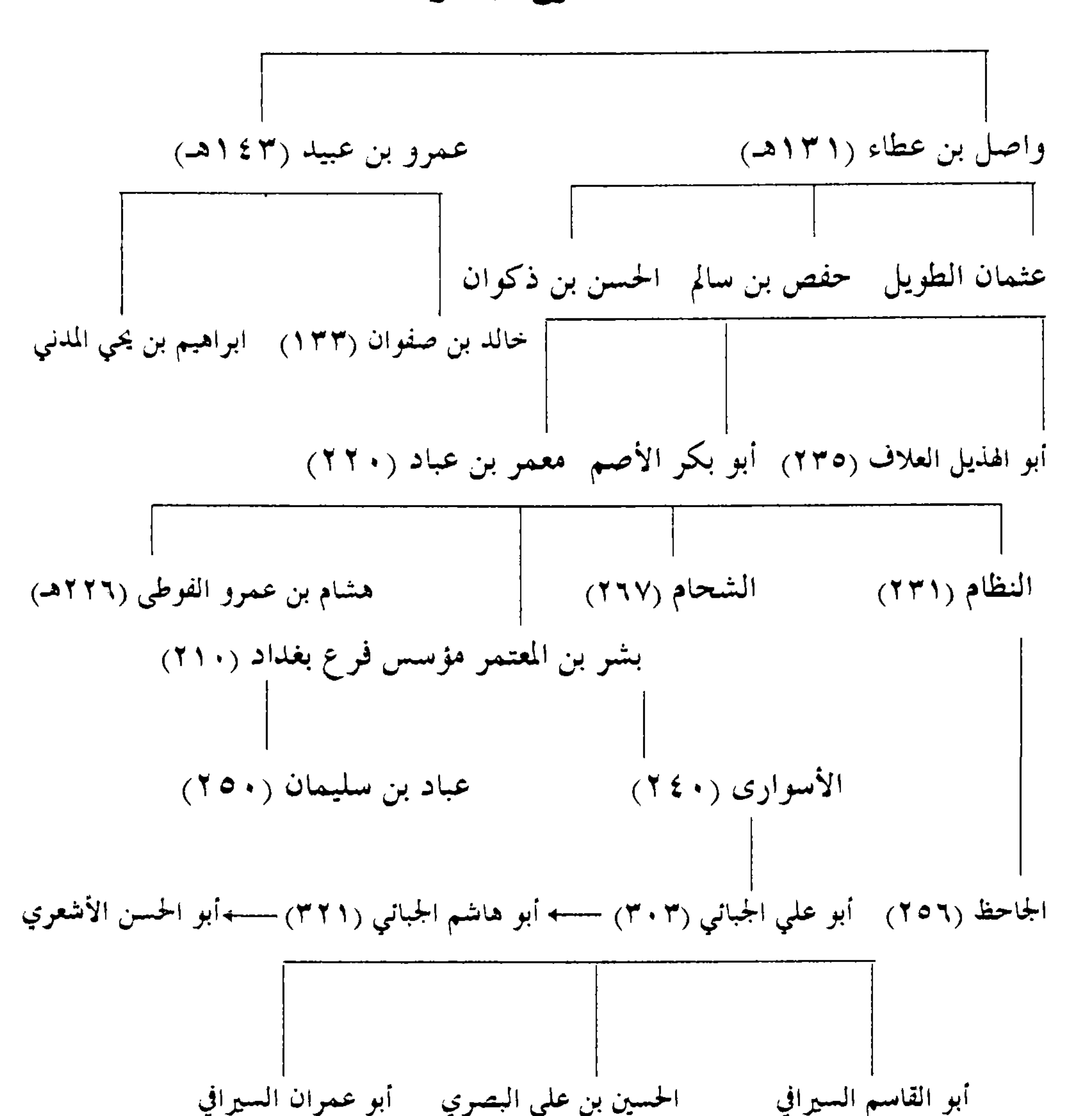
(١) سير أعلام النبلاء ٣٤/١٢ ، مجموع الفتاوى ١٨٣/١٣، ١٨٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥٥٥/٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢١/٤، ٢٢ .

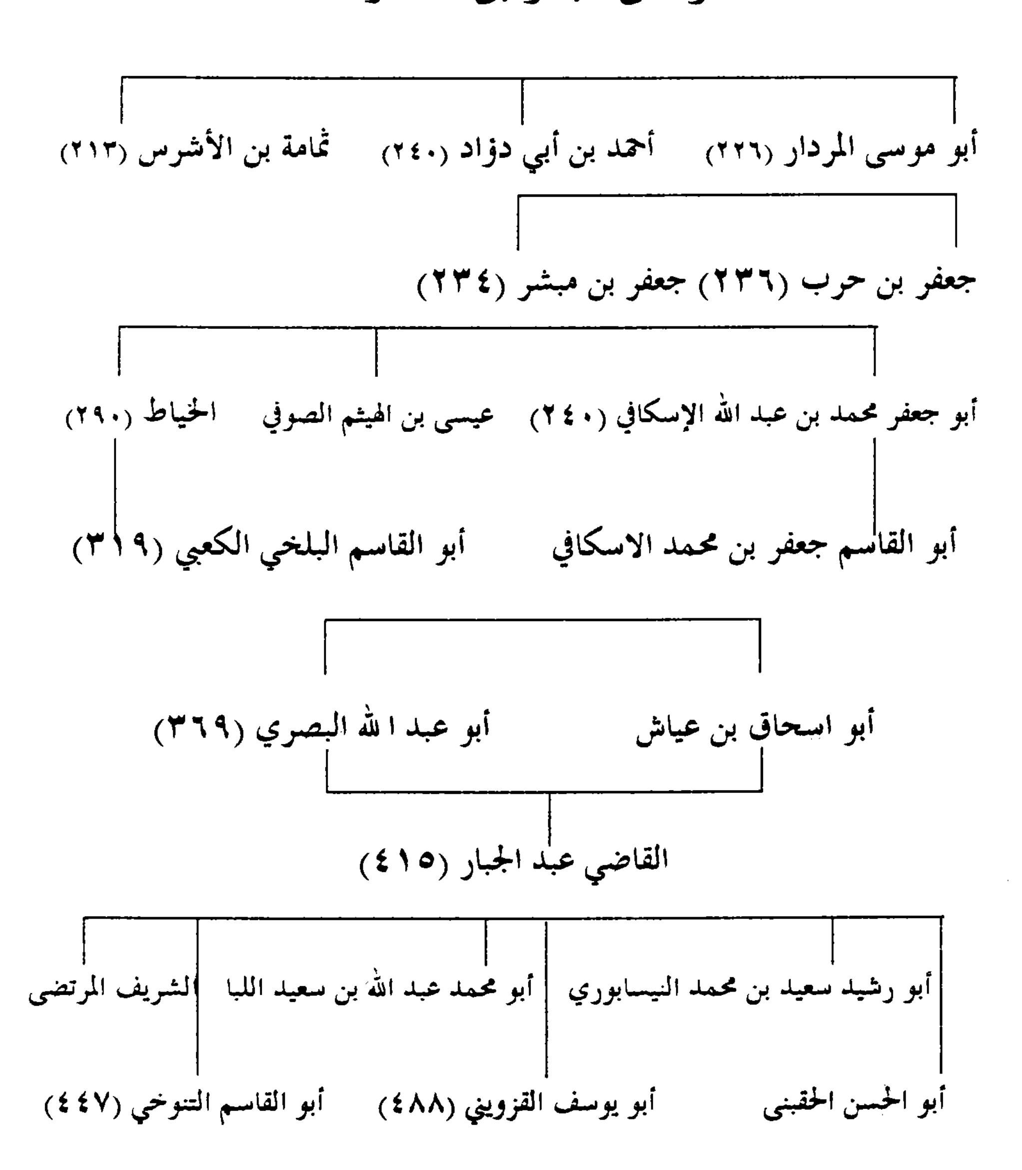
مشاهير المعتزلة

١- فرع البصرة



٢- فرع بغداد

المؤسس : بشر بن المعتمر ٢١٠هـ



● مرحلة الصفاتية :

١- « الكلابية »

وكان ممن انتدب للرد على الجهمية و المعتزلة أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان[١] . فقد جاء عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري المتوفي سنة (٢٤٣هـ) بعد هؤلاء - أي الجهمية و المعتزلة - في زمن محنة القول بخلق القرآن التي سبق ذكرها ، وكان قد انتشر بين الأمة النزاع في هذه المسائل فقام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري ، وكان رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه ، وصنف في الرد على الجهمية والمعتزلة مصنفات وبين تناقضهم فيها وكشف كثيراً من عوراتهم وكان له فضل وعلم ودين[٢].

لكن ابن كلاب لما رد على الجهمية لم يهتد لفساد أصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في دين الإسلام ، بل وافقهم عليه[٣] وسلم لهم ذلك الأصل الذي هو ينبوع البدع ؛ « وهي مسألة حلول الحوادث » .

فاحتاج بذلك إلى أن يقول : « إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا نادى موسى حين جاء الطور ، بل ولا يقوم به نداء حقيقي ، ولا يكون إيمان العباد وعملهم الصالح هو السبب في رضاه ومحبته ، ولا كفرهم هو السبب في سخطه وغضبه ، فلا يكون بعد أعمالهم لا حب ولا رضا ولا سخط ولا فرح ولا غير ذلك مما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة »[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٥٥٥ .

(٢) منهاج السنة النبوية ١/٣١٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٥٥٥ .

(٤) منهاج السنة ١/٣١٢ .

فابتدع ابن كلاب مسلكاً خاصًا به ، حاول أن يلفق فيه بين النصوص الشرعية والنظريات الكلامية ، فأنشأ في المسألة ما يعرف بـ « مذهب الصفاتية » فأصبح قولاً ثالثاً في المسألة « بينما كان الأمر في السابق يتنازعه فريقان :

١ـ « المثبتة » وهم أهل السنة والجماعة .

٢ـ و« النفاة » وهم الجهمية والمعتزلة والنجارية والضرارية[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين :

فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها . والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا .

فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها . ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري وغيرهما .

وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب ؛ ولهذا أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه ، ثم قيل عن الحارث : إنه رجع عن قوله[٢].

فهذا النهج الذي أحدثه ابن كلاب هو ما صار يعرف فيما بعد بمنهج « متكلمة الصفاتية » لأن ابن كلاب كان في طريقته يميل إلى مذهب أهل الحديث والسنة ، لكن كان في طريقته نوع من البدعة ، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/٦ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/١ .

وقد كانت له جهود في الرد على الجهمية[١] ولكنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولاً هم واضعوها من امتناع تكلمه تعالى بالحروف ، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك[٢] ، فأصبح بعد ذلك قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها ، لكن شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول[٣].

فابن كلاب أحدث مذهباً جديداً ، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية . فابن كلاب أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة « الصفاتية » التي اشتهرت بمذهب الإثبات ، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية[٤].

وقد سار على هذا النهج القلانسي والأشعري والمحاسبي وغيرهم ، وهؤلاء هم سلف الأشعري والأشاعرة القدماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان أبو محمد بن كلاب هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقه هو وأئمة أصحابه كالحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي ، وأبي سليمان الدمشقي ، وأبي حاتم البستي »[٥].

فابن كلاب هو إمام الأشعرية الأول ، وكان أكثر مخالفة للجهمية ، وأقرب

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٦٦/١٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧٦/١٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٦٦/١٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٢ .

(٥) منهاج السنة ٣٢٧/٢ .

إلى السلف من الأشعري[١].

ولكن هذا النهج الكلابي ابتعد شيئاً فشيئاً عن منهج السلف ، وأصبح يقرب أكثر فأكثر إلى نهج المعتزلة وذلك على يد وارثيه من الأشاعرة .

فابن كلاب كما أسلفنا كان أقرب إلى السلف من أبي الحسن الأشعري ، وأبو الحسن الأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني ، والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي الجويني وأتباعه[٢].

ولهذا يوجد في كلام الرازي والغزالي ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي الجويني وذويه . ويوجد في كلام الرازي والغزالي والجويني من مذهب النفاة المعتزلة ، ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه . ويوجد في كلام أبي الحسن الأشعري من النفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب الذي أخذ أبو الحسن طريقه .

ويوجد في كلام ابن كلاب من النفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة ، وإذا كان الغلط شبراً صار في الأتباع ذراعاً ثم باعاً حتى آل إلى هذا المآل ؛ والسعيد من لزم السنة[٣].

وقد تلاشت الكلابية كفرقة ؛ لكن أفكارها حملت بواسطة الأشاعرة ، فقد احتفظ الأشعري وقدماء أصحابه بأفكار الكلابية ونشروها ، وبذلك اندرست المدرسة الكلابية الأقدم تاريخاً والأسبق ظهوراً في الأشعرية .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٢/١٢ ، ٢٠٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠٣/١٢ .

(٣) بغية المرتاد ص٤٥١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والكلابية هم مشايخ الأشعرية ، فإن أبا الحسن الأشعري إنما اقتدى بطريقة أبي محمد بن كلاب ، وابن كلاب كان أقرب إلى السلف زمناً وطريقة . وقد جمع أبو بكر بن فورك (ت٤٠٦هـ) كلام ابن كلاب والأشعري وبين اتفاقهما في الأصول »[1].

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية ، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث ، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة ، فقد توفي ابن كلاب سنة (٢٤٣هـ) وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام ، وهم الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ) والماتريدية : أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا .

٢- « الأشعرية »

يعتبر أبو الحسن الأشعري امتداداً للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠هـ -٣٢٤هـ) كان معتزلياً إلى سن الأربعين حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في البصرة ، ثم رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب وتأثر بها لفترة طويلة ، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم ، وكان ابن كلاب قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم . ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة ؛ إلا أنه

(١) الاستقامة ١/١٠٥ .

وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته ؛ فنفى كما نفت المعتزلة أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته ؛ كما نفى أيضاً الصفات الاختيارية مثل الرضى ، والغضب ، والبغض ، والسخط وغيرها .

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويلقي الدروس في الرد على المعتزلة سالكاً هذه الطريقة .

ثم التقى بزكريا بن يحيي الساجي ؛ فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث(١) ، وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها(٢) ، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى وذلك بآخر أمره .

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة ، وخبرته بالسنة خبرة مجملة ؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول ، وبين الانتصار للسنة ، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام ، والصفات الخبرية وغير ذلك(٣).

وقال عنه السجزي : « رجع في الفروع وثبت في الأصول »(٤) أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات ؛ مثل دليل الأعراض وغيره(٥).

وقال ابن تيمية : « أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري ، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٨٦/٥ ، تذكرة الحفاظ (٩٠٧/٢) .

(٢) العلو ص١٥٠ ، تذكرة الحفاظ (٩٠٧/٢) .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠٤/١٢ .

(٤) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص١٦٨ .

(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣٦٧/١ .

السنة . ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة ؛ صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة ، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً »[١].

وقال أيضاً : « والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال ؛ مثل اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام ، وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشأها ويختارها ، وأمثال ذلك»[٢] وقد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية ، ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية ، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية .

فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة ، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه »[٣]

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة ، كأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله بن مجاهد ، وأبي الحسن الباهلي ، والقاضي أبي بكر الباقلاني ، وأبي إسحاق الاسفرائيني ، وأبي بكر بن فورك ، وأبي محمد بن اللبان ، وأبي علي بن شاذان ، وأبي القاسم القشيري ، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء[٤]

لكن المتأخرون من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية ، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما .

---

(١) الاستقامة ٢١٢/١ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٩٧/٧ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٩٧/٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٧/٤ ، ١٤٨ .

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى .

وأما من أثبتها كالأشعري وأئمة أصحابه ؛ فهؤلاء يقولون تأويلها بما يقتضي نفيها تأويل باطل ، فلا يكتفون بالتفويض بل يبطلون تأويلات النفاة[١].

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الاعتزال أكثر فأكثر ، بل إنهم خلطوا معها الفلسفة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية ، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية ، وأما الصفات القرآنية ؛ فلهم قولان :

فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها ، وبعضهم يقر ببعضها : وفيهم تجهم من جهة أخرى . فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة ، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم .

وابن الباقلاني أكثر إثباتاً بعد الأشعري ، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك ، فإنه أثبت بعض ما في القرآن .

وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة ؛ فإن أبا المعالى كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم ، قليل المعرفة بالآثار ، فأثر فيه مجموع الأمرين[٢] .

---

(١) منهاج السنة ٢/٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) منهاج السنة ٢/٢٢٣ ، ٢٢٤ .

فما إن جاء أبوبكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها[١] ، وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه ، مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي ، فقد كان الأشعري يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع ، أما الباقلاني فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل[٢] . ويعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري[٣].

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ) فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة ، وخالف الباقلاني في كثير من القواعد التي وضعها . وإن كان الجويني قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني ؛ لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي على مختارات له ، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة .

وأما كلام أبي الحسن الأشعري فلم يكن يستمد منه ، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس[٤] ، وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة ، كالغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن الخطيب الرازي (ت٦٠٦هـ) وخلطوا مع المادة

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٥ ، ط : مصطفى محمد .

(٢) مقدمة التمهيد للباقلاني ص١٥ ، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة .

(٣) نشأة الأشعرية وتطورها ص٣٢٠ .

(٤) بغية المرتاد ص٤٤٨ ، ٤٥١ ، بتصرف .

الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية ، وبذلك ازدادت الأشعرية بعداً وانحرافاً .

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في « الإرشاد » و « الشامل » ونحوهما مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني . ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا ؛ ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفا ، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك .

وأما الرازي فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني ؛ فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي ، وله مادة اعتزالية قوية من كلام أبي الحسين البصري (ت٤٣٦هـ) . وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ونحوهما[١] .

والأشعرية الأغلب عليهم أنهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام وجبرية في باب القدر ، وأما الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم ، ولا يرون الخروج على الأئمة بالسيف موافقة لأهل الحديث . وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى أهل السنة والحديث[٢] .

وهناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الأشعرية واشتهارها ، لعل من أبرزها ما يلي :

أولاً : نشأةُ المذهب في « بغداد » التي كانت حاضرة الخلافة العباسية ومحط أنظار طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى الأقطار ، فهذا العامل أدى بدوره إلى تبني البعض للمذهب الأشعري والسعي لنشره في

---

(١) بغية المرتاد ص ٤٤٨ ، بتصرف .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٥ .

الأقطار الأخرى[١] ؛ بسبب تواجد كثير من أعيان المذهب الأشعري في بغداد في ذلك الحين .

ثانياً : التقارب الذي كان موجوداً بين الأشعرية والحنبلية وما نفقت الأشعرية وراجت إلا بتوالفها مع الحنبلية . ولولا ذلك لكان مصيرها مصير المعتزلة الذين كان للحنابلة دور كبير في مقاومتهم والرد عليهم . وقد كان بين الأشعرية والحنبلية شيء من التوالف والمسالمة وكانوا قديما متقاربين .

فإن أبا الحسن الأشعري ما كان ينتسب إلا إلى مذهب أهل الحديث ، وإمامهم عنده أحمد بن حنبل ، وكان عداده في متكلمي أهل الحديث .

والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية ؛ كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم .

وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري[٢] وكان تلميذاً لابن فورك الذي كان من أشعرية خراسان الذين انحرفوا إلى التعطيل ، فلما صنف القاضي أبو يعلى الحنبلي كتابه « إبطال التأويلات » ؛ رد فيه على ابن فورك شيخ القشيري وكان الخليفة وغيره مائلين إليه . فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتنة[٣] .

ثالثاً : انتساب بعض الأمراء والوزراء للمذهب الأشعري وتبنيهم له ؛ ومن أبرزهم :

---

(١) انظر كتاب موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٤٩٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٢ - ٥٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦/٥٢ - ٥٤ .

أ - الوزير نظام الملك :

الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة فتولى الوزارة لألب أرسلان وملكشاه مدة ثلاثين سنة وذلك من سنة (٤٥٥هـ إلى ٤٨٥هـ) .

وفي عهده أنشأت المدارس النظامية ؛ نسبة إليه ، وذلك في عدة مدن منها البصرة ، وأصفهان ، وبلخ ، وهراة ، ومرو ، والموصل ، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد .

وكان نظام الملك معظماً للصوفية والأشعرية ، إذ كان هؤلاء الذين يلقون الدروس في هذه المدارس ، فكان لذلك دوره الكبير في نشر أصول العقيدة الأشعرية[1] .

ب - المهدي بن تومرت (٥٢٤هـ) :

صاحب دولة الموحدين واسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، الذي تلقب بالمهدي ، وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة ، وكان قد دخل إلى بلاد العراق ، وتعلم طرفاً من العلم ، وكان فيه طرف من الزهد والعبادة ، ولما رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب ونشر دعوته بين أناس من البربر وغيرهم من الجهال الذين لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله فعلمهم بعض شرائع الإسلام واستجاز أن يظهر لهم أنواعاً من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين ، وادعى أنه المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعظم اعتقاد أتباعه فيه ، واستحلوا بسبب ما علمهم من المعتقد الأشعري والفلسفي دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا على

(١) انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٥٠٠ .

معتقد أهل السنة واتهموهم زوراً وبهتاناً أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة[١] . فكان ابن تومرت هو السبب في إدخال العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب التي كانت قبل ذلك سنية سلفية فحسبنا الله ونعم الوكيل .

جـ - صلاح الدين الأيوبي :

وكان صلاح الدين الأيوبي أشعريًا ، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري أحد أعلام الأشعرية وصار يحفظها صغار أولاده ؛ ولذلك نشأ هو وأولاده على المعتقد الأشعري ، فحمل صلاح الدين الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري ، وتمادى الحال على ذلك في جميع أيام ملوك بني أيوب ، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك[٢] .

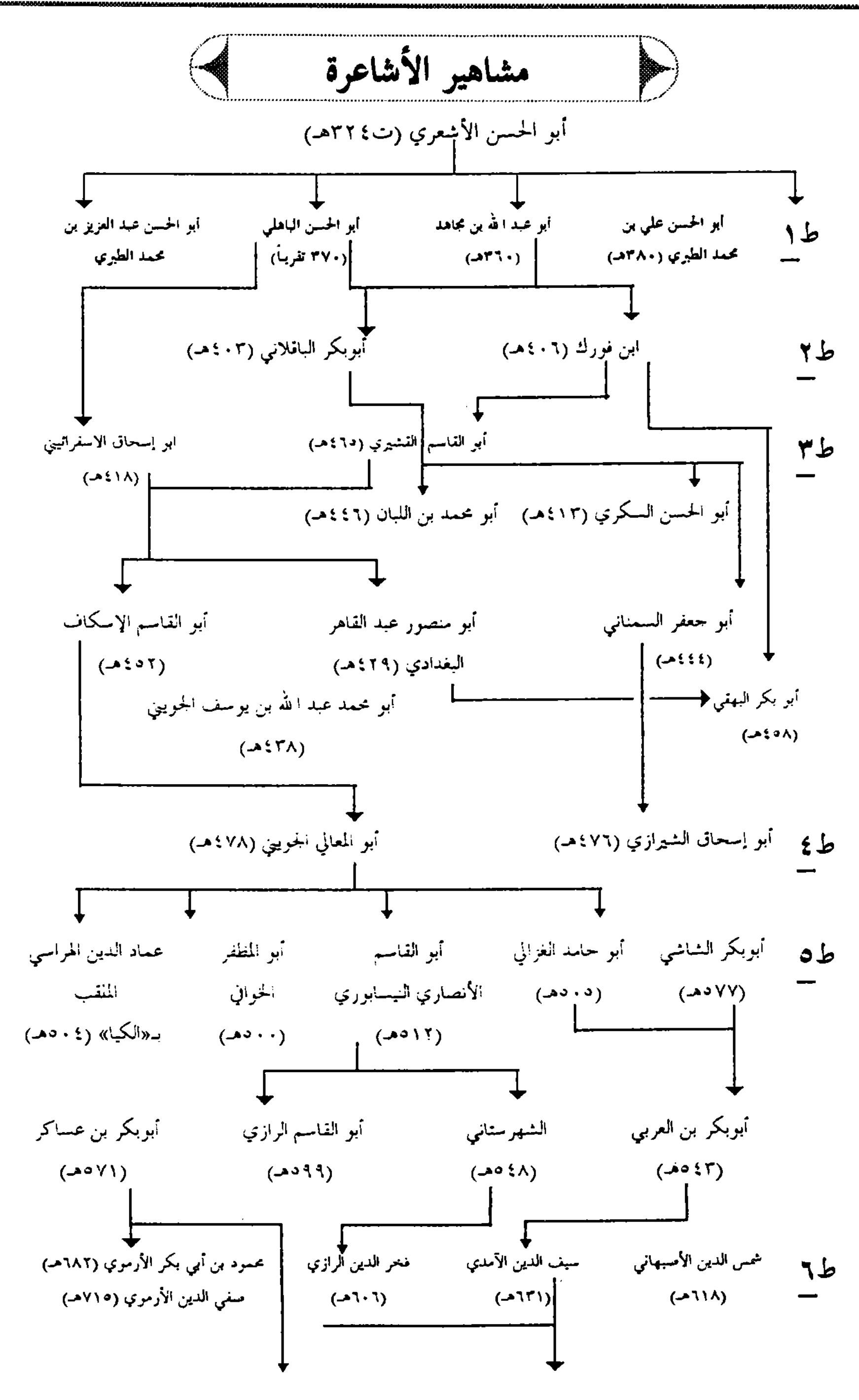
وقد كان لذلك دوره الكبير في نشر الأشعرية في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، فمصر التي كانت مقر الدولة الأيوبية كانت هي حاضرة العلم في تلك العصور ، وقد كان للأزهر دور كبير في نشر العقيدة الأشعرية التي أدخلها صلاح الدين في مصر بعد أن قضى على الدولة العبيدية الإسماعيلية ، ومنذ زمن صلاح الدين والأزهر يقرر عقيدة الأشاعرة إلى يومنا هذا .

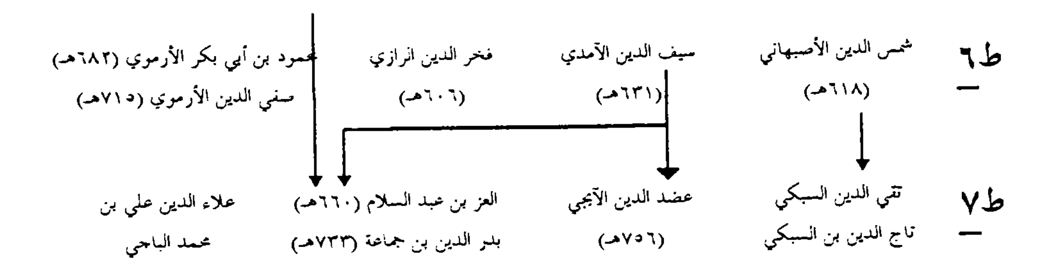
o o o o

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١١/٤٧٥

(٢) الخطط للمقريزي ٢/٣٥٨ .


مشاهير الأشاعرة
أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)
ط١
أبو الحسن علي بن محمد الطبري (٣٨٠هـ)
أبو عبد الله بن مجاهد (٣٦٠هـ)
أبو الحسن الباهلي (٣٧٠ تقريباً)
أبو الحسن عبد العزيز بن محمد الطبري
ط٢
ابن فورك (٤٠٦هـ)
أبوبكر الباقلاني (٤٠٣هـ)
ط٣
أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)
أبو إسحاق الاسفرائيني (٤١٨هـ)
أبو الحسن السكري (٤١٣هـ)
أبو محمد بن اللبان (٤٤٦هـ)
أبو جعفر السمناني (٤٤٤هـ)
أبو منصور عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ)
أبو القاسم الإسكاف (٤٥٢هـ)
أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)
أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني (٤٣٨هـ)
ط٤
أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ)
أبو المعالي الجويني (٤٧٨هـ)
ط٥
أبوبكر الشاشي (٥٧٧هـ)
أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)
أبو القاسم الأنصاري النيسابوري (٥١٢هـ)
أبو المظفر الخوافي (٥٠٠هـ)
عماد الدين الهراسي الملقب بـ«الكيا» (٥٠٤هـ)
أبوبكر بن العربي (٥٤٣هـ)
الشهرستاني (٥٤٨هـ)
أبو القاسم الرازي (٥٩٩هـ)
أبوبكر بن عساكر (٥٧١هـ)
ط٦
شمس الدين الأصبهاني (٦١٨هـ)
سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ)
فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)
محمود بن أبي بكر الأرموي (٦٨٢هـ)
صفي الدين الأرموي (٧١٥هـ)


ط٦
شمس الدين الأصبهاني
(٦١٨هـ)
سيف الدين الآمدي
(٦٣١هـ)
فخر الدين الرازي
(٦٠٦هـ)
محمود بن أبي بكر الأرموي (٦٨٢هـ)
صفي الدين الأرموي (٧١٥هـ)
ط٧
تقي الدين السبكي
تاج الدين بن السبكي
عضد الدين الآيجي
(٧٥٦هـ)
العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)
بدر الدين بن جماعة (٧٣٣هـ)
علاء الدين علي بن
محمد الباجي

الماتريدية

تعد الماتريدية شقيقة الأشعرية ، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق حتى لكأنهما فرقة واحدة ، ويصعب التفريق بينهما ؛ ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلًّا من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم(١) .

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع في سببه الرئيسي إلى توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما ، وبخاصة مع الأشعرية المتأخرة ؛ إلا أن هناك أسباباً مهمة يجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ؛ ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى . فالماتريدية انتشرت بين الأحناف الذين كانوا متواجدين في شرق العالم الإسلامي وشماله ؛ فقل أن تجد حنفيًّا على عقيدة الأشاعرة إلا ما ذكر من أن أبا جعفر السمناني ـ وهو حنفي ـ كان أشعريًّا فلذا كانوا يقولون عنه مؤمن آل فرعون .

بينما نجد الأشعرية قد انتشرت بين الشافعية والمالكية وهم اليوم يتواجدون في وسط وغرب وجنوب وجنوب شرق العالم الإسلامي ، فجل الشافعية والمالكية على الأشعرية . ولست اعني بذلك عوامهم وإنما الطبقة المثقفة منهم .

والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ)(٢).

---

(١) مفتاح السعادة ١٥١/٢ ، ١٥٢ تأليف : طاش كبرى زاده .

(٢) انظر ترجمته في كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٢٠٩/١ للدكتور شمس الدين الأفغاني .

كان معدوداً في فقهاء الحنفية ، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار[١] ، وقد نهج منهجاً كلاميًا في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة ، وعداده في أهل الكلام من الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما .

وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها[٢] .

ومن المعلوم أن الأحناف وأهل المشرق عموماً كانوا من أسبق الناس تأثراً بعلم الكلام ، فقد كانت بداية الجهم من تلك الجهات ، وفي هذا يقول الإمام أحمد في معرض كلامه عن الجهم : « وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ... »[٣].

فبشر بن غياث المريسي (٢٢٨هـ) والقاضي أحمد بن أبي دؤاد (٢٤٠هـ) وغيرهما كانوا من الأحناف ، فلا غرابة أن يكون الماتريدي الحنفي من أولئك الذين ناصروا علم الكلام وسعوا في تأسيسه وتقعيده ، إلى أن أصبح علماً من أعلامه وصاحب إحدى مدارس الكلام التي صارت فيما بعد تعرف باسمه .

فالماتريدي لا يبعد كثيراً عن أبي الحسن الأشعري - في طوره الثاني - فهو خصم لدود للمعتزلة ؛ إلا أنه كان متأثراً بالمنهج الكلامي على طريقة ابن كلاب من الاعتماد على المناهج الكلامية في تقرير المسائل الاعتقادية . شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأشعري ، فكلاهما يعتبر امتداداً لمدرسة ابن كلاب

(١) العقيدة السلفية في كلام رب البرية (٢٧٩) تأليف : عبد الله بن يوسف الجديع .
(٢) مجموع الفتاوى ٤٣٣/٧ ، كتاب الإيمان ٤١٤ ، منهاج السنة ٣٦٢/٢ .
(٣) الرد على الجهمية ص١٠٣-١٠٥ .

التي عرفت كمدرسة ثالثة بعد أن كان الخلاف دائراً بين أهل السنة والجماعة من جهة والجهمية والمعتزلة من جهة أخرى ، فجاء ابن كلاب وأحدث منهجاً ثالثاً حاول فيه التلفيق بين النصوص الشرعية والمناهج الكلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الكلابية .

فالمذهب الكلابي كان له وجوده في العراق والري وخراسان ، وكان له انتشار في بلاد ما وراء النهر التي كانت تغص بمختلف الطوائف والفرق[١] .

ولم تتعرض الماتريدية للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية ، والذي سبق بيانه في الحديث عن الأشعرية ، فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه .

وقد مرت الماتريدية بأدوار تاريخية ، لخصها الباحث الدكتور شمس الأفغاني على النحو التالي[٢] :

أولاً : الدور التأسيسي (٢٥٨-٣٣٣هـ) .

ويمتاز هذا الدور بأنه دور النشأة والتأسيس ، وعرف فيه الماتريدي بآرائه الكلامية التي سخرها للرد على المعتزلة سالكاً في ذلك طريقة الصفاتية من أهل الكلام ، ومن أشهر مؤلفاته في ذلك كتاب التوحيد .

ثانياً : الدور التكويني (٣٣هـ ـ ٤٠٠هـ) .

وهو دور تلامذة الماتريدي الذي تأثروا به ، وسعوا في نشر أفكاره والدفاع عنها ، ومن أشهر تلاميذه :

١- أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد الحكيم

---

(١) انظر أحسن التقاسيم للمقدسي ص٣٢٣ .

(٢) انظر كتاب الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ١/٢٦٢-٢٦٨ بتصرف .

السمرقندي (٣٤٢هـ) .

٢- أبو محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي (٣٩٠هـ) .

٣- أبو الحسن علي بن سعيد الرُّسْتُغْفَنى (؟) .

٤- أبو أحمد بن أبي نصر أحمد بن العباس العياضي (؟) .

٥- أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخاري (؟) .

ثالثاً : الدور البزدوي (٤٠٠-٥٠٠هـ)

وهو دور تلامذة التلاميذ ، وهو امتداد للدور السابق وقد سعى فيه أصحابه في التأليف والنشر لهذه العقيدة ومن أعيان هذا الدور :

١- أبو اليسر محمد بن محمد البزدوي (٤٩٣هـ) .

٢- محمد بن الفضل البلخي (٤١٩هـ) .

٣- محمد بن المظفر البغدادي (٤٨٨هـ) .

٤- أبو العلاء صاعد بن محمد الاستوائي (٤٣٢هـ) .

رابعاً : الدور النسفي (٥٠٠ ـ ٧٠٠هـ)

ويعتبر هذا الدور من أهم أدوار الماتريدية ، لاحتوائه على مشاهيرهم ، ومن أعيان هذا الدور :

١- أبو المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي (٥٠٨هـ) .

ودوره في الماتريدية يماثل دور الباقلاني والغزالي في الأشعرية[1] وله كتاب « تبصرة الأدلة » ويأتي هذا الكتاب في المرتبة الثانية بعد كتاب « التوحيد »

(١) مقدمة كتاب التوحيد ص٥-٦ ، تأليف فتح الله خليف .

للماتريدية من حيث الأهمية .

٢- نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ) .

هو من كبار الماتريدية ، وكتابه « العقائد النسفية » هو عمدة الماتريدية في مناهجهم الدراسية إلى يومنا هذا ، وهو المعتمد عند علماء الأزهر ، وقد ألف حوله أكثر من مائة كتاب ، من أشهرها شرح التفتازاني .

٣- أبو محمد نور الدين أحمد بن محمد الصابوني (٥٨٠هـ) .

٤- حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ) وهو من كبار الماتريدية ، ولمؤلفاته أهمية بالغة عندهم .

خامساً : الدور العثماني (٧٠٠ ـ ١٣٠٠هـ) .

نسبة إلى الدولة العثمانية ، ويعد هذا الدور قمة أدوار الماتريدية بسبب الحضور السياسي ، لأن الدولة العثمانية كانت دولة حنفية الفروع ماتريدية العقيدة . الأمر الذي ساعد في نشر العقيدة الماتريدية واتساع رقعتها الجغرافية ، فقد كان جل القضاة والمفتين والخطباء ورؤساء المدارس من الماتريدية الأحناف ومن أعيان هذا الدور :

١- صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي (٧٤٧هـ) .

٢- سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢هـ) .

٣- أبو الحسن علي بن محمد المعروف « بالسيد سند الجرجاني » (٨١٦هـ)

٤- كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) .

٥- زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطُلُوبُغَا (٨٧٩هـ) .

٦- علي بن سلطان محمد أبو الحسن الهروي المكي المعروف بملا علي القاري (١٠١٤هـ) .

٧- مصطفى بن عبد الله الرومي القسطنطيني المعروف « بملا كاتب شلبي » و « حاجي خليفة » (١٠٦٧هـ) .

سادساً : الدور الديوبندي (١٢٨٣هـ - ....) .

نسبة إلى جامعة ديوبند بالهند والتي تفرع عنها الكثير من المدارس في القارة الهندية . وهذا الدور الديوبندي يسير على خطين :

أحدهما : « تعليمي » ويتمثل في المدارس الديوبندية المنتشرة في عموم شبه القارة الهندية (الهند ـ الباكستان ـ بنجلاديش ـ أفغانستان) وهي أقوى المدارس الماتريدية في الوقت الراهن .

الخط الثاني : « دعوى » وهو ما يعرف « بجماعة التبليغ » والذي يعد في حقيقته امتداداً للمنهج الماتريدي والصوفي ، وكما قيل : « كل إناء بما فيه ينضح » فهذه الجماعة جذورها كلامية ماتريدية ، ومناهجها صوفية طرقية[1]

(١) لي كلمة أقولها جواباً على زعم من يقول إن لهذه الجماعة حسنات ، وهي أن المعيار الحقيقي لأي موازنة يجب أن تقوم على أساس العرض على أصلي هذا الدين ألا وهما :

١- التوحيد : الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله .

٢- الاتباع : الذي هو شهادة أن محمداً رسول الله .

فإن استقام الأمر في هذين الأصلين نظر لما بعدهما فلا حسنة مع اختلال التوحيد لأن الله يقول : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ . وأيضاً لا قيمة للعمل إذا لم يكن وفق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو القائل : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . فهذا هو المنهج الصحيح في أي موازنة تعقد ، ومن ينظر إلى أصول هذه الجماعة يدرك أنها أخلت بالأصلين فهم في الأصل الأول متكلمة ماتريدية ، وفي الأصل الثاني صوفية طرقية .

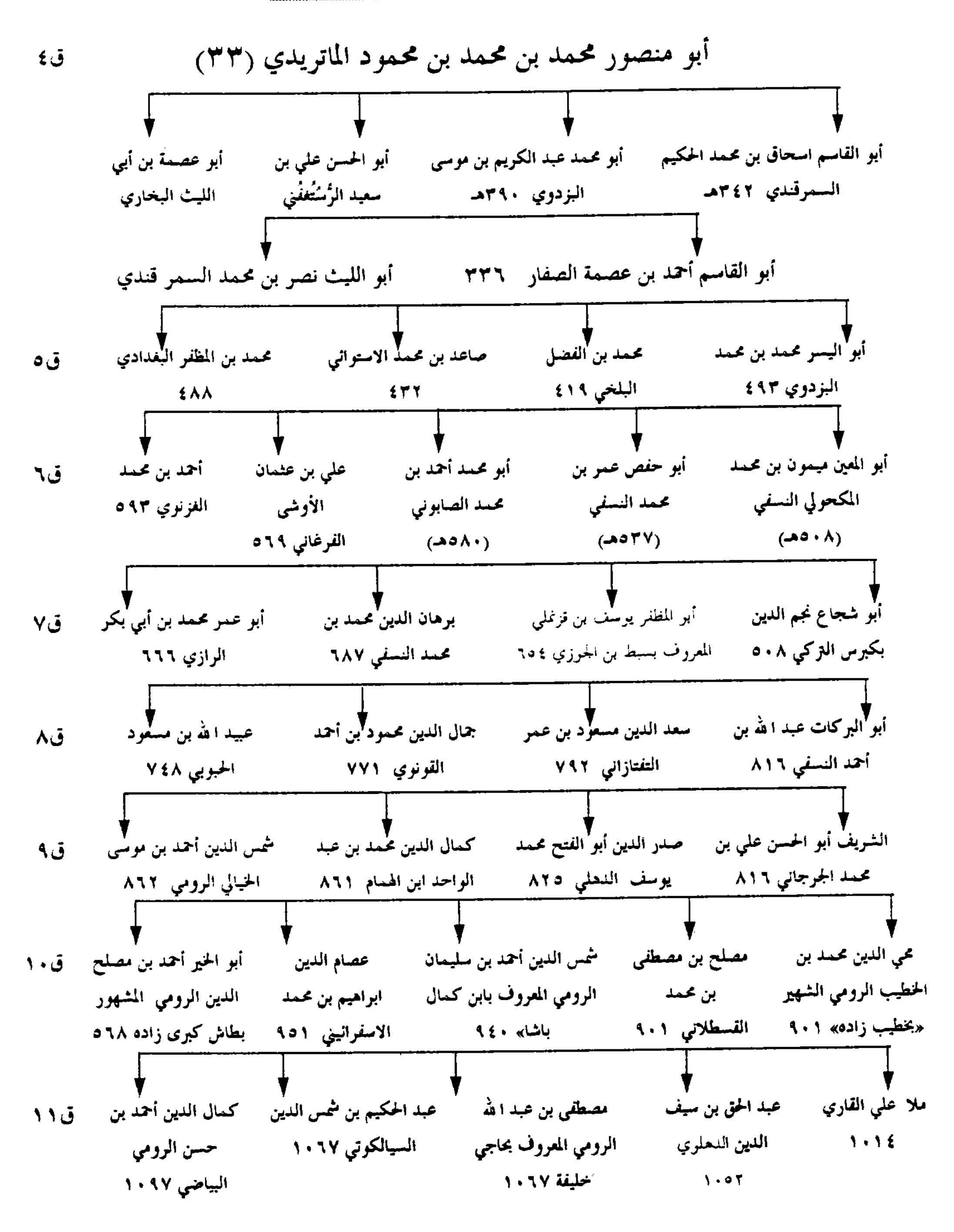
سابعاً : الدور الكوثري (١٢٩٦هـ - ....) .

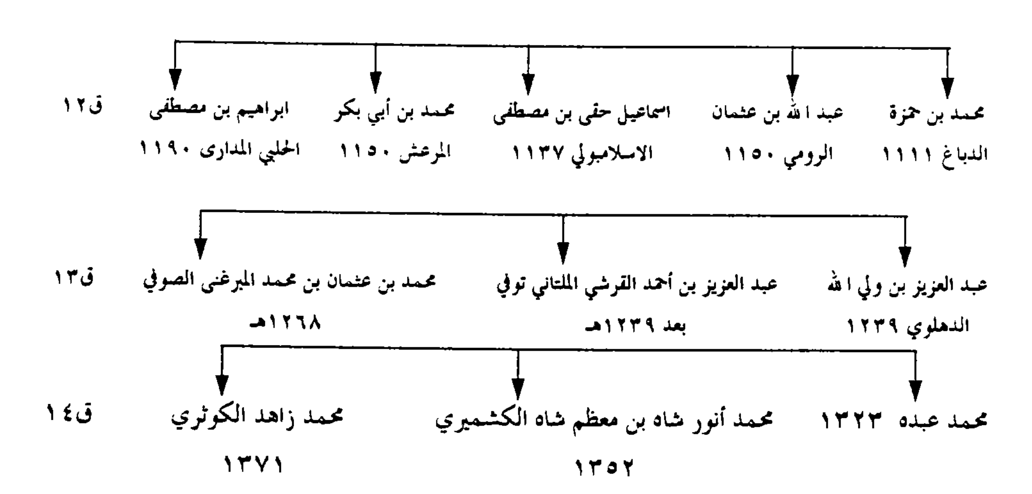
وهو منسوب إلى محمد بن زاهد الكوثري الجركسي المتوفى سنة (١٣٧١هـ) المعروف والمشهور بعدائه للدعوة السلفية وأعلامها .

ومن تلاميذ هذا الدور وأعيانه الذين يعدون امتداداً له في عصرنا الحاضر عبد الفتاح أبو غدة ومن على شاكلته .

○○○○

مشاهير الماتريدية




ق١٢
محمد بن حمزة
الدباغ ١١١١
عبد الله بن عثمان
الرومي ١١٥٠
اسماعيل حقي بن مصطفى
الاسلامبولي ١١٣٧
محمد بن أبي بكر
المرعش ١١٥٠
ابراهيم بن مصطفى
الحلبي المدارى ١١٩٠
ق١٣
عبد العزيز بن ولي الله
الدهلوي ١٢٣٩
عبد العزيز بن أحمد القرشي الملتاني توفي
بعد ١٢٣٩هـ
محمد بن عثمان بن محمد الميرغني الصوفي
١٢٦٨هـ
ق١٤
محمد عبده ١٣٢٣
محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري
١٣٥٢
محمد زاهد الكوثري
١٣٧١

● مرحلة ظهور الفلاسفة والباطنية :

بعد ظهور الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية حدث بعد هذا في الإسلام : الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم ، حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة ، وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه(١).

« وكان من أسباب ظهورهم أن أهل العراق لما اشتغلوا في أواخر المائة الثالثة وأول الرابعة بالفلسفة وعلوم أهل الإلحاد ؛ سلط عليهم القرامطة(٢) الباطنية »(٣).

فكان من أسباب ظهورهم أنهم ظنوا أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون ، ورأوا ذلك فساداً في العقل . فرأوا دين الإسلام المعروف فاسداً في العقل .

فكان غلاتهم طاعنين في دين الإسلام بالكلية ـ باليد والسنان ـ كالخرمية

(١) منهاج السنة ٣١٦/١ .

(٢) (القرامطة نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط ، كان أحد دعاتهم في الابتداء ، فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطة . وهم قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص١٤٤-١٤٩) .

قال ابن القيم : (القرامطة لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ، ولا رب خالق ، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى ، وهم زنادقة يتسترون بالرفض ويبطنون الإلحاد المحض) انظر إغاثة اللهفان ٢٦٦/٢ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فالقرامطة الذين يضاهئون الصابئة الفلاسفة والمجوس الثانوية عطلوا وحرفوا الإيمان بالله ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، وكذلك العمل الصالح ، حتى جعلوا ما جاءت به الشريعة من أسماء الأعمال إنما هي رموز وإشارات إلى حقائقهم كقولهم : إن الصلاة معرفة اسرارنا ، والصيام كتمان أسرارنا ، والحج زيارة شيوخنا المقدسين ، وأمثال ذلك) انظر بغية المرتاد ص٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٣) إغاثة اللهفان ٢٦٩/٢ .

أتباع بابك الخرمي[١] وقرامطة البحرين أتباع أبي سعيد الجنابي[٢] وغيرهم .

وأما مقتصدوهم وعقلاؤهم فرأوا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فيه من الخير والصلاح ما لا يمكن القدح فيه ، بل اعترف حذاقهم بما قاله ابن سينا وغيره من أنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من ناموس محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا موجب عقلهم وفلسفتهم[٣] فلم يطعنوا في دين محمد صلى الله عليه وسلم كما طعن أولئك المظهرون للزندقة من الفلاسفة ، ورأوا أن ما يقوله أولئك المتكلمون فيه ما يخالف صريح المعقول ، فطعنوا بذلك عليهم[٤]

وكان لهؤلاء الفلاسفة أقوال فاسدة تلقوها من أسلافهم الفلاسفة ، ولما رأوا أن ما تواتر عن الرسل يخالفها ، سلكوا طريقهم الباطنية فقالوا : إن الرسل لم

---

(١) بابك الخرمي من زعماء الباطنية من أتباع الخُرَّمِيَّة أو الخرمدينية ؛ وهي لفظة أعجمية ، وهي عبارة عما يستلذ ويشتهى وترتاح به الأنفس ، وقد لقبوا بها لأن حاصل مذهبهم راجع إلى رفع التكليف وتسليط الناس على اتباع الشهوات من المباحات والمحرمات ، وقد ظهر بابك في جبل البدين بناحية أذربيجان ، وكثر أتباعه فاستحلوا المحرمات ، وأباحوا وقتلوا الكثير من المسلمين ، وحاربته جيوش المعتصم مدة طويلة إلى أن أسرته فصلبته وقتلته سنة ٢٢٣هـ بسر من رأى .
انظر كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢٤ ، ٢٥ ، تاريخ الطبري ١١/٩ ، ٥٥ ، الملل والنحل ٢١٦/١ .

(٢) أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنَّابي ، رأس القرامطة وداعيتهم ، كان دقاقا من أهل جنابة (بفارس) ونفى منها ، فأقام في البحرين تاجراً ، وأقامه حمدان قرمط داعية في فارس الجنوبية ، وقد حارب الجنابي الدولة العباسية ، واستولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، وأحرق المصاحف والمساجد . وفي عام (٣٠١هـ) اغتاله خادم له صقلي في الحمام بهجر .
انظر البداية ١٢١/١١ ، الأعلام ١٨٥/٢ ، الفرق بين الفرق ص١٦٩ ، ١٧٤ .

(٣) منهاج السنة ٣١٦/١ ، ٣١٧ .

(٤) منهاج السنة ٣٢١/١ .

تبين العلم والحقائق التي يقوم عليها البرهان في الأمور العلمية ، ثم منهم من قال : إن الرسل علمت ذلك وما بينته ، ومنهم من يقول : إنها لم تعلمه وإنما كانوا بارعين في الحكمة العملية دون الحكمة العلمية ، ولكن خاطبوا الجمهور بخطاب تخييلي ، خيلت لهم في أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما ينفعهم اعتقاده في سياستهم ، وإن كان ذلك اعتقاداً باطلاً لا يطابق الحقائق .

وهم يقرون بالعبادات ؛ ولكن يقولون مقصودها إصلاح أخلاق النفس ، وقد يقولون إنها تسقط عن الخاصة العارفين بالحقائق ، فكانت بدعة أولئك المتكلمين مما أعانت إلحاد هؤلاء الملحدين »[1].

وهؤلاء القرامطة والباطنية والملاحدة هم جنود إبليس حقًّا المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم ، ودعوتهم تقوم على الدعوة إلى العقل المجرد ، وقالوا نحن أنصار العقل الداعين إليه المخاصمين به المحاكمين إليه .

وقد جرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى ، وكسروا عسكر الخليفة مراراً عديدة ، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعاً ، وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها ، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه ، وقويت شوكتهم ، واستفحل أمرهم وعظمت بهم الرزية . واشتدت بهم البلية ، وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام في الشرق والغرب ، وكاد الإسلام أن ينهد ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق ، وظهرت من المغرب قليلاً قليلاً على أيدي العبيديين ، حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد

---

(١) منهاج السنة ١/٣٢١، ٣٢٢ . بتصرف .

المغرب ، ثم أخذوا يطوون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة ، وأقاموا على هذه الدعوة مصرحين بها غير متحاشين منها ، هم وولاتهم وقضاتهم وأتباعهم ، وفي زمنهم صنفت رسائل إخوان الصفا ، والإشارات ، والشفا ، وكتب ابن سينا[1] . فإنه قال : كان أبي من أهل الدعوة الحاكمية .

وعطلت في زمانهم السنة وكتبها والآثار جملة إلا في الخفية بحيث يكون قارئها وذاكرها وكاتبها على أعظم خطر ، وشعار هذه الدعوة العبيدية تقديم العقل على الوحي ، واستولوا على بلاد المغرب ، ومصر ، والشام ، والحجاز ، واستولوا على العراق سنة ، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين ، بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعز عندهم ما لم يصل إليه أحد من أهل السنة ولا يطمع فيه .

فكم أغمدت سيوفهم في أعناق العلماء ، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء ، وكم ماتت بهم سنة وقامت بهم بدعة وضلالة . حتى استنقذ الله الأمة من أيديهم في أيام نور الدين محمود بن زنكي (ت٥٦٩هـ) وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ) فأبل وبرأ الإسلام من علته بعد ما وطن المسلمون أنفسهم على العراء ، وانتعش بعد طول الخمول ، حتى استبشر أهل

---

(١) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، ولد سنة ٣٧٠هـ وتوفي سنة ٤٢٨هـ ، وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه فقال : أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم ، فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ، ولا رب خالق ، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى وقد رام ابن سينا بجهده تقريب رأي الفلاسفة الملاحدة من قول أهل الملل ، فإنه قرب مذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجهده ، وغاية ما أمكنه أن قربه من أقوال الجهمية الغالين في التجهم . انظر إغاثة اللهفان ٢٦١/٢ ، ٢٦٦ .

الأرض والسماء ، وأبدر هلاله بعد أن دخل في المحاق ، وثابت إليه روحه بعدما بلغت التراقي وقيل من راق ، واستنقذ الله سبحانه بعبده وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب ، أخذ كل من أنصار الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب . وعلت كلمة الإسلام والسنة وأذن بها على رؤوس الأشهاد[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكذلك السلطان « نور الدين محمود » الذي كان بالشام ، عز أهل الإسلام في زمنه ، وذل الكفر وأهل البدع ممن كان بالشام ومصر وغيرهما من الرافضة والجهمية ونحوهم »[(٢)] فعاش الناس في ذلك النور مدة ، حتى استولت الظلمة على بلاد المشرق ، وطفي نور النبوة والوحي ، بسبب اشتغالهم بالمنطق والفلسفة ، وتقديم العقول والآراء والسياسة والأذواق والرأي على الوحي ، فظهرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوابعها ، سلط عليهم عساكر التتار ، فجاسوا خلال الديار ، وعاثوا في القرى والأمصار ، فأبادوا أكثر الديار الشرقية ، واستولوا عليها ، وكاد الإسلام أن يذهب اسمه وينمحي رسمه . وكان مستشار التتار وقاضيهم وعالمهم ووزير هولاكو نصير الكفر والشرك والإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل ، ولا يعلم في عصره أحد عارض بين العقل والنقل معارضته ، فهو الذي رام إبطال السمع بالكلية ، وإقامة الدعوة الفلسفية ، وهو الذي أشار على التتار بمذبحة بغداد فشفا لنفسه من أتباع الرسل وأهل دينه ، فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة ، واشتفى هو ، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين ، فاستعرض علماء الإسلام وأهل القرآن والسنة على

---

(١) الصواعق المرسلة ١٠٧٤/٣، ١٠٧٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢/٤ .

السيف فلم يبق منهم إلا من أعجزه قصداً لإبطال الدعوة الإسلامية .

واستبقى الفلاسفة ، والمنجمين ، والطبائعيين ، والسحرة ، والملاحدة والمنطقيين . ونقل أوقاف مساجد ومدارس المسلمين وأربطتهم لهؤلاء النجسة وجعلهم خاصته وأولياءه ، ونصر في كتبه قدم العالم ، وبطلان المعاد وأنكر صفات الرب جل جلاله ، من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ، وزعم أنه لا داخل العالم ولا خارجه ، وليس فوق العرش إله يعبد البتة .

واتخذ للملاحدة مدارس ، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر وقال هذه عقليات قطعية برهانية قد عارضت تلك النقليات الخطابية ، وقال : هذا قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ، ورام إبطال الأذان ، وتحويل الصلاة إلى القطب الشمالي ، وتغيير الصلاة وجعلها صلاتين ، فلم يتم له الأمر ، وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام(١).

وفي ذلك العصر قام سوق الفلسفة والمنطق وعلوم أعداء الرسل وفقه الشياطين ، وصارت الدولة والدعوة لأرباب هذه العلوم ، وخرجت آراء وأفكار لم تكن تعرف من قبل مثل جست(٢) العميدي(٣) وحقائق ابن عربي(٤)

(١) الصواعق المرسلة ١٠٧٥/٣ ، ١٠٧٨ ، إغاثة اللهفان ٢٦٧/٢ ، ٢٦٩ .

(٢) جشت : كلمة فارسية معناها البحث ، وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف ، وقد تضم الجيم . (انظر وفيات الأعيان وحاشيته ٢٥٧/٤)

(٣) العميدي : هو محمد بن محمد بن محمد العميدي السمرقندي ، أبو حامد ، كان إماماً في فن الخلاف والجدل وخصوصاً الجست وهو أول من أفرده بالتصنيف ، توفي ببخارى سنة ٦١٥هـ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ، أبوبكر ، المعروف بابن عربي ، ولد سنة ٥٦٠هـ ، وتوفي سنة ٦٣٨هـ ، صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل وحدة الوجود ، فقال أشياء منكرة ، عدها طائفة من العلماء مروقاً وزندقة ، (ميزان الاعتدال ٦٥٩/٣ ، ٦٦٠) =

وتشكيكات الرازي[١] وكان خروج هؤلاء نتيجة للانحطاط الفكري الذي أصاب الأمة الإسلامية بسبب بعدها عن منهج الوحي .

ثم نظر الله لعباده وانتصر لكتابه ودينه ، وأقام جنداً تغزو ملوك هؤلاء بالسيف والسنان ، وجنداً تغزو علماءهم بالحجة والبرهان .

ثم نبغت نابغة منهم على رأس القرن الثامن ، فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية قدس الله روحه ، فأقام على غزوهم مدة حياته باليد والقلب واللسان وكشف للناس باطلهم وبين تلبيسهم وتدليسهم وقابلهم بصريح المعقول وصحيح المنقول وشفى واشتفى ، وبين مناقضتهم ومفارقتهم لحكم العقل الذي به يدلون وإليه يدعون ، وأنهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه فلا وحي ولا عقل ، فأرداهم في حفرهم ، ورشقهم بسهامهم ، وبين أن صحيح معقولاتهم خدم لنصوص الأنبياء شاهدة لها بالصحة . وتفصيل هذه الجملة موجود في كتبه[٢] التي حصل بها من الخير والنفع الكبير ما لا يحصيه إلا الله ولا نزال ونحن في القرن الخامس عشر من الهجرة ننهل من معينها الصافي ،

= وقال ابن تيمية : (إن مقالة ابن عربي في فصوص الحكم مع كونها كفراً ، إلا أنه أقرب أهل الوحدة إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً ، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه ، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى) (انظر مجموعة الرسائل والمسائل ٦/٤) .

(١) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري يقال له : ابن خطيب الري ، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ . وهو منظر الأشعرية المتأخرة ، أخذ مادته الكلامية من كلام أبي المعالي الجويني والشهرستاني ، ومن كلام أبي الحسين البصري ، ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضاً . (انظر البداية والنهاية ٥٣/١٣ ، ٥٤) (بغية المرتاد ٤٥٠ ، ٤٥١) .

(٢) الصواعق المرسلة ١٠٧٤/٣ ، ١٠٨٠ بتصرف .

فقد نفع الله بهذا الإمام وبكتبه وبتلاميذه ، منفعة عظيمة تثلج صدر كل صاحب سنة ، فقد أحيا الله به معالم ما اندرس من السنن ، وأقام به لواء التوحيد بعد ما كان الناس فيه من انحراف وبعد بسبب المناهج الفلسفية الفاسدة والطرق الصوفية المنحرفة فقمع البدعة وأحيا السنة ورجع بالناس إلى طريقة السلف من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وحارب كل بدعة مستحدثة في هذا الدين ، وخلص الدين مما لحق به من أوضار ، وشابه من فساد ، وفند لكل فرقة من فرق الزيغ والضلال أقوالها وبين زيف آرائها . فكان بحق شيخ الإسلام وقدوة الأنام ، وأحد المجددين لهذا الدين ، على رغم أنف كل أشعري وماتريدي وصوفي ورافضي وباطني وملحد .

ولقد نذر هذا الإمام حياته كلها لخدمة هذا الدين والدفاع عن حياضه بلسانه وسنانه وبنانه وبيانه ، وقد ترك لنا ثروة علمية امتلأت بها خزائن المكتبات وتداولها الناس في جميع الأقطار والأمصار .

وقد أصبحت مؤلفات هذا الإمام جامعة كبرى تتلمذ عليها أناس كثيرون ، أصبحوا شموس علم ومنارات هداية من أمثال ابن القيم (٧٥١هـ) والذهبي (٧٤٨هـ) والمزي (٧٤٢هـ) وابن كثير (٧٧٤هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد الهادي (٧٤٤هـ) وغيرهم كثير .

ولا نزال إلى زماننا هذا نتتلمذ على تلك المؤلفات والتي تعتبر باعتراف الكثير من الباحثين هي منطلق الدعوة السلفية المعاصرة ، التي بدء انطلاقها على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، الذي أحيا الله بدعوته المباركة ما اندرس من معالم السنن ، وكان بحق إماماً من أئمة الهدى ، فقد دعا الناس إلى صراط الله المستقيم ، وأرشدهم إلى الطريق القويم ، فنفى عن

كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام انتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين ، وشرح للناس حقيقة الدين في زمن فترة استحكمت فيه غربة الإسلام ، وغلب على أهله الجهل والبدع ، فقد انتشرت العقائد الكلامية والطرق الصوفية ، فقد كانت الدولة العثمانية (٧٠٠هـ ـ ١٣٠٠هـ) دولة ماتريدية العقيدة سعت في نشر تلك العقيدة الكلامية في شرق الأرض وغربها مستغلة في ذلك ما لها من نفوذ وسلطة وأضف إلى ذلك انتشار العقيدة الأشعرية وهي شقيقة الماتريدية وتتفق معها في مجمل المسائل الاعتقادية ، حتى لكأنهما فرقة واحدة ومن المعلوم أن كلا من الأشعرية والماتريدية هما مراتع خصبة للطرق الصوفية المنحرفة التي بسببها انتشرت الخرافة وعمت البدع وطمت .

وقد وصف أحد الكتاب الغربيين تلك الفترة ـ أي القرن الثامن عشر الميلادي ـ فقال : «كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة ، فاربد جوه ، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاً من أرجائه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب . . . . إلى أن قال :

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس ، سجفاً من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان ، ويحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل

مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام .

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار .

فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى ما كان يدعى الإسلام ، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان .

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدوى في قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام ، يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم .

فكان الصارخ بهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ... »[1].

فقام هذا الإمام في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بالدعوة إلى الله سبحانه بقلمه ولسانه وأوضح للناس حقيقة ما بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام . وما ألصقه به الجهال والضلال وهو بريء منه من الشرك والبدع والخرافات .

فقام الشيخ بموجب الدعوة حق القيام حتى ظهر الحق وانتشرت عقيدة السلف في أرجاء الجزيرة العربية وما حولها ، وقد أزره ونصره في دعوته الإمام

---

(١) هذا الكلام لستودارد الأمريكي مؤلف « حاضر العالم الإسلامي » الذي علق عليه الأمير شكيب أرسلان وقد نقلته من كتاب : (الشيخ عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه) للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ص١٠٤ ، ١٠٥ .

الهمام محمد بن سعود جد الأسرة السعودية الحاكمة لهذه البلاد ، الذي قام بنصرة الشيخ ومساعدته حتى كتب الله لهذه الدعوة القبول والانتشار ولا تزال هذه الدولة السعودية تحمل على عاتقها نصرة دعوة التوحيد فقد أعز الله على يد ملوكها ، أتباع المنهج السلفي فقامت بواجب نشر هذا المنهج حق القيام فأكرمت علماء السنة ونشرت كتب أعلام أهل السنة وأنشأت الجامعات لتعليم هذا المنهج السلفي ونشره . ومن تلك الجامعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية التي خصصت لتعليم أبناء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتدريسهم عقيدة السلف الصالح ، فأصبحت بحمد الله منار علم لنشر العقيدة الصحيحة ، وأصبح لخريجيها دور ريادي في نشر الدعوة إلى التوحيد الصحيح في بلدانهم وأوطانهم .

فقل أن تخلو منطقة أو بلد من خريجي هذه الجامعة المباركة الذين أخذوا في نشر الدعوة السلفية والصدع بها ، ومحاربة كل ما يناقضها ويضادها .

وقد قامت هذه الدولة المباركة ببعث الدعاة وكفالتهم وإرسالهم إلى شتى أرجاء المعمورة ، حرصاً منها على رفع الجهل والقضاء على الانحرافات التي تسببت بها تلك المناهج المنحرفة من طرق صوفية وآراء كلامية صد بها أصحابها الناس عن طريق الله المستقيم والنهج النبوي السليم .

وقد أتت هذه الجهود ثمارها وظهرت بركاتها فقد أسهمت هذه الجهود في انتشار الدعوة السلفية وانحسار المناهج الكلامية والطرق الصوفية بعد أن كانت العقيدة السلفية في غربة ، وقلة أنصار .

وما نشاهده اليوم من جامعات ومعاهد ومدارس تقرر النهج السلفي ، وما

نراه ينتشر ويخرج من كتب التراث السلفي ، ومؤلفات تحمل النهج الصحيح لأصدق دليل على أن الدعوة السلفية تعيش بحمد الله عصر ازدهار وتقدم ، وأن المناهج الفلسفية الكلامية والطرق الصوفية البدعية تعيش عصر انحسار وتقهقر .

فالحمد لله على ما من به من نصره وتوفيقه وتأييده على أن الحقيقة التي يجب أن تقرر في هذا المقام أن مقالة التعطيل لم تندثر ولم يقض عليها قضاءً نهائيًا ، فهناك عدد من الطوائف يحمل تلك المقالة وينادى بها ، فعلى سبيل المثال لا تزال مقالة المعتزلة التي تقوم في هذا الباب على إنكار صفات الله ، يحملها وينادى بها عدد من الفرق ، ومنهم الرافضة الإمامية الذين تأثروا بالمعتزلة في هذه المسألة ، ولا يزالون إلى يومنا هذا على هذا المعتقد الفاسد الذي يضاف إلى جملة معتقداتهم الفاسدة .

وكذا الزيدية يقولون بقول المعتزلة وينفون جميع الصفات .

وكذا الإباضية من الخوارج ، وهم من بقايا الفكر الخارجي يوافقون المعتزلة في هذه المسألة ويقولون بقولهم .

وأضف إلى ذلك ما يقوم به المستشرقون في جامعاتهم الغربية من محاولة لدفع تلامذتهم من أبناء المسلمين إلى دراسة الفكر المعتزلي وتحقيق تراثه والحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة في هذه الجوانب ، وهم يسعون من وراء ذلك إلى إحياء أفكار المعتزلة ونشر تراثهم العفن بواسطة تلامذتهم الذين يرجعون إلى العالم الإسلامي بشهادات عالية تمكنهم من التدريس في جامعات المسلمين ، الأمر الذي يسهل لهم بث تلك الأفكار وإعادة نشرها من

جديد .

وإذا نظرنا كذلك إلى الفكر الفلسفي الباطني فإنا نجد أن بقايا أتباع هذا الفكر لا يزالون يعيشون إلى يومنا هذا فالإسماعيلية الباطنية لا تزال فرقهم موجودة إلى يومنا هذا فهناك البهرة والسليمانية والأغاخانية والمكارمة والنصيرية وغيرهم .

وكذلك الفكر الفلسفي الاتحادي الذي لا يزال بعض المتصوفة يقدسون أصحابه من أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وغيرهم .

وهناك أيضاً أتباع أكبر الفرق الكلامية « الأشعرية » « والماتريدية » .

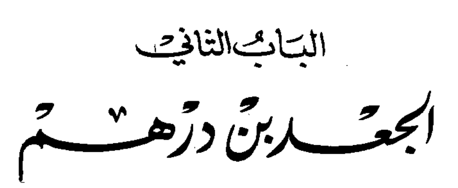
فالأشعرية تنتشر في كثير من البلدان التي يتبع أهلها المذهب الشافعي أو المالكي ، والماتريدية تنتشر في البلدان التي يتبع أهلها المذهب الحنفي .

ولكل منهما مدارسه ومعاهده التي تسعى لنشر فكره ؛ ولذلك فإن حلقة الصراع قائمة ، لا يمكن تجاهلها ، فالسعيد من لزم السنة ونجا من البدعة .

فالله المستعان .

○ ○ ○ ○

الباب الثاني



الفصل الأول : تاريخ الجعد بن درهم .

الفصل الثاني : بدع الجعد ومقالاته والرد على بعض الشبه والمغالطات التي تثار حوله .

الفصل الأول

تاريخ الجعد بن درهم

المبحث الأول : نسبه ونشأته .

المبحث الثاني : بدء ظهوره وقصة قتله .

المبحث الأول

نسبه ونشاته

□ وفيه : تمهيد وثلاثة مطالب :

تمهيد : تاريخ الجعد بن درهم

المطلب الأول : اسمه ونسبه .

المطلب الثاني : أصول الجعد .

المطلب الثالث : مولده وموطنه .

* * * *

تمهيد

تاريخ الجعد بن درهم(١)

لا يوجد إلا النزر القليل جدًا من المعلومات التي تسلط الضوء على تاريخ هذا المبتدع الضال ، ولقد كان من الصعوبة بمكان البحث في بطون كتب التراجم والأنساب والتاريخ والمقالات والعقائد عن جوانب حياة هذا الرجل ، فتلك الكتب لم تعر هذا الرجل قدرًا من العناية والاهتمام إلا بالقدر الذي يتعلق ببدعته التي أظهرها ودعا إليها وعُرف بها ، مع بعض الإشارات المتفرقة والبسيطة عن حياته .

ولقد بذلت جهدي ومستطاعي للنظر في مظان ترجمته وقرطست العديد من المصادر والمراجع في شتى الفنون ، بحثًا عن معلومات يمكن من خلالها إعطاء صورة واضحة عن سيرته الذاتية وأفكاره الاعتقادية . فاجتمع لي من ذلك ما تيسر .

---

(١) مصادر ترجمته : مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٥٠ ، الكامل في التاريخ ٥ / ٢٦٣ ، البداية والنهاية ٩ / ٣٥٠ ، الأنساب للسمعاني ٣ / ٢٦٥ ، اللباب لابن الأثير ١ / ٢٣٠ ، ديوان الضعفاء ص ٦٣ ، ميزان الاعتدال ١ / ١٨٥ ، لسان الميزان ٢ / ٥٠١ ، تاج العروس ٢ / ٣٢١ ، تاريخ الإسلام (وفيات ١٠١ ـ ١٠٢ ، ٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) ، النجوم الزاهرة ١ / ٣٢٢ ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٩٣ ، ٢٣٤ ، الأعلام ٢ / ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣ ، تاريخ الخميس ٢ / ٣٢٢ ، المنتظم ٧ / ٢٦٠ ، الفهرست للنديم ص ٤٠١ ، شذرات الذهب ١ / ١٦٩ ، ١٧٠ ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٨٧ ، ذم الكلام للهروي ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، نشأة الفكر الإسلامي ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، كتاب الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص ٤٧ ، ٥٦ ، أنساب الأشراف ٨ / ٢٤١ ، الرد على الجهمية للدارمي ص ١١٠ ، الصواعق المرسلة ٣ / ١٠٧٠ ، ١٠٧٢ .

وسأحاول من خلال هذه الدراسة ، تحليل وترتيب ما اجتمع لدي من معلومات جمعت شتاتها بعد كد وعناء ، فلعلها تفيد من يطلع عليها من الباحثين وطلاب العلم ، فتعطيهم صورة عن حياة الجعد ومقالاته وموقف العلماء والحكام منه .

واستسمحهم عذرًا في عدم إعطاء الصورة كاملة عن الجعد بن درهم وعذري هو ما أسلفت من شح المعلومات وندرتها .

o o o o

المطلب الأول

اسمه ونسبه

لم تذكر المصادر والمراجع التي وقفت عليها إلا اسمه واسم أبيه فقط فهو « الجعد بن درهم »

وأشارت المصادر إلى أنه من الموالي[١] وليس من العرب ولعل في كونه من الموالي ما يبرر اقتصار نسبه على اسمه واسم أبيه ، فالعجم في الغالب لم تكن لهم عناية بحفظ أنسابهم بخلاف ما كان عليه الحال عند العرب .

وقد اختلف في ولائه لأي قبائل العرب :

* فقال السمعاني[٢] والزبيدي[٣] وابن الأثير[٤] : « الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

* وقال ابن كثير « ويقال إنه من موالي بني مروان »[٥] .

* وقال الثعالبي : « إنه مولى بني مروان »[٦] .

---

(١) الموالى : هم المنسوبون إلى القبائل مطلقًا ، وهم ثلاثة أقسام :
١ ـ ولاء عتق : وهو الغالب بحيث ينسب إلى من أعتقه . ٢ ـ ولاء إسلام : وذلك بأن يسلم الأعجمي على يد عربي . ٣ ـ ولاء الحلف : وذلك بأن يكون الشخص حليفًا لقبيلة فينسب إليها .
انظر المنهل الراوي من تقريب النواوي ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢) الأنساب ٣ / ٢٦٥ .

(٣) تاج العروس ٢ / ٣٢١ .

(٤) اللباب ١ / ٢٣٠ .

(٥) البداية ٩ / ٣٥٠ .

(٦) لطائف المعارف ص ٤٣ .

نسبه إلى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أحد خلفاء بني أمية .

* وقال ابن نباتة : « هو مولى بني الحكم »[١] نسبة إلى الحكم بن أبي العاص ابن أمية القرشي .

وهذه الأقوال متضاربة ؛ فالسمعاني والزبيدي وابن الأثير جزموا بولائه لسويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي[٢] .

والجعفي : بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية[٣] .

وهذا يتعارض مع ما ذكره ابن كثير ، ولم يجزم به والثعالبي ، حيث قالا : « ويقال إنه من بني مروان » وكذا قول ابن نباتة إنه مولى بني الحكم .

ولعل الصواب الذي يترجح عندي ما ذكره السمعاني والزبيدي وابن الأثير فهم أدرى بهذا الجانب وعنايتهم به أكبر وقد جزموا بنسبته إلى سويد بن غفلة .

ويساورني الشك أن هناك تصحيفًا في كلام ابن كثير في « البداية » ، عند قوله : « بني مروان » فلعل الصواب « بني مران) بدون واو ، ولو كان الأمر كذلك فإن الأقوال تجتمع « فبنوا مران » بطن من جعفي ، من سعد العشيرة[٤] والله أعلم بالصواب .

○ ○ ○ ○

(١) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ١٩٣ .

(٢) يكنى أبا أمية ، مخضرم من كبار التابعين ، قدم المدينة يوم دفن النبي ﷺ ، وكان مسلمًا في حياته ، ثم نزل الكوفة ، ومات سنة ثمانين ، وله مائة وثلاثون سنة ، انظر تقريب التهذيب ص ١٤١ ، الإصاب ٢ / ١١٧ ، الاستيعاب ٢ / ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٢١٦ .

(٤) نهاية الأرب ص ٤١٨ .

المطلب الثاني

أصول الجعد

هناك معلومة ذكرها ابن نباتة إن صحت فإن فيها إشارة إلى أصول الجعد العرقية التي يرجع إليها .

* قال ابن نباتة : « ويروى أن أم مروان كانت أمة ، وكان الجعد أخاها »(١) فهذه المعلومة إن ثبتت فإنها تفيد أن الجعد يرجع في نسبه إلى أصول كردية . لأن أم مروان بن محمد كانت أم ولد كردية كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين .

* قال الطبري وابن الأثير في ترجمة مروان بن محمد : « وكانت أمه أم ولد كردية ، كانت لإبراهيم بن الأشتر أخذها محمد بن مروان يوم قتل إبراهيم فولدت مروان »(٢)

* وقال ابن كثير : « وأمه أمة كردية يقال لها لبابة ، وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي ، أخذها محمد بن مروان يوم قتله ، فاستولدها مروان هذا ، ويقال إنها كانت لمصعب بن الزبير »(٣)

* وقال البلاذري : « وأمه كردية أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر ، فيقال إنه أخذها وبها حَبَل فولدت مروان على فراشه »(٤)

---

(١) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ١٩٣ .
(٢) تاريخ الطبري ٧ / ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، الكامل ٥ / ٤٢٨ .
(٣) البداية ١٠ / ٤٦ ، وانظر مروج الذهب ٣ / ٢٤٧ .
(٤) أنساب الأشراف ٥ / ١٨٦ .

* وقال القلقشندي : « وأمه لبابة جارية إبراهيم بن الأشتر وكانت كردية »[١]

ولكن ابن كثير يرى أن الجعد بن درهم يرجع إلى أصول فارسية حيث قال : « وأصله من خراسان »[٢] [٣] دون أن يذكر اسم المدينة التي ينتسب إليها . ويدعم هذا الرأي حادثة وقعت للجعد انتصر فيها لفارسيته .

* قال ابن الأثير : « وقيل : إن الجعد كان زنديقًا[٤] وعظه ميمون بن مهران « ١١٧ هـ » . فقال : « لشاة قباذ » أحب إلى مما تدين له »[٥] فكلمة « شاة قباذ » كلمة فارسية فـ « شاة » : معناها « ملك » و « قُباذ » : ملك من ملوك الفرس[٦] وهو قباذ بن فيروز والد كسرى أنوشروان .

---

(١) مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١ / ١٦٢ ، ط : الكويت .

(٢) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق : أزاذوار ، قصبة جوين ، وبيهق . وآخر حدودها مما يلي الهند : طخارستان ، وغزنة ، وسجستان ، وكرمان ، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشمل على أمهات من البلاد منها : نيسابور ، وهراة ، ومرو ، وبلخ ، وطالقان ، ونسا ، وأبيورد ، وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون . ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ، ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك . معجم البلدان ٢ / ٤٠٩ - ٤١٥ . ويقع جزء كبير من خراسان اليوم في شمال غربي أفغانستان ، والباقي موزع بين إيران من ناحية الجنوب الغربي ، وتركمانستان وطاجكستان وأزبكستان .

(٣) البداية ٩ / ٣٥٠ .

(٤) الزندقة : كلمة فارسية معربة ، والزنادقة هم الثانوية ولحق بهم سائر من اعتقد القدم ، وأبى حدوث العالم على رأسهم المانوية) (مروج الذهب ١ / ٢٥١) .

(٥) الكامل ٥ / ٤٢٩ .

(٦) قال الجواليقي في المُعَرّب (٢٦٥) : و « قباذ » ملك من ملوك الفرس ، أعجمي ، وقد تكلمت به العرب قديمًا . قال عدي بن زيد يذكر من هلك

سَلَبْنَ قُبَاذ رَبَّ فارِسَ مُلْكَهُ وحَشَّتْ بِكَفَّيْهَا بَوَارِقُ آمِدِ

فمعنى كلامه للملك قباذ أحب إلى من دين الإسلام . وفي هذا انتصار واضح للمجوسية الفارسية .

وعلى كل حال فإن الرجل ثبتت أعجميته ، وعلى القول بأن أصول الجعد فارسية ، فإن ذلك يدعم مقولة ابن حزم التي يقول فيها : « الأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم ، حتى إنهم يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم ؛ فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك يظهر اللّٰه سبحانه وتعالى الحق .. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح ، فأظهر قوم منهم الإسلام .. »[١] وبلا شك أن الإسلام وأهله كانوا في تلك العصور في عزة ومنعة وتمكين ، ولم يكن يجترئ كافر ولا منافق متعوذ بالإسلام من أبناء اليهود والنصارى وأنباط العراق أن يظهر ما في نفسه من الكفر وإنكار النبوة فرقًا من السيف ، وتخوفًا من الافتضاح . بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم ويعيشون فيهم على رغم[٢] .

ولو استقرينا أهل البدع لوجدنا أكثرهم من العجم فالجهم بن صفوان خليفة الجعد ووارث بدعته من العجم ، وكذا غيلان الدمشقي وهو من أوائل من

(١) الفصل ٢ / ١١٥ ، ١١٦ ، ولمن أراد الاستزادة فليطلع على كتاب « وجاء دور المجوس » للدكتور عبد اللّٰه محمد الغريب ، وكتاب « بيان مذهب الباطنية وبطلانه » ص ١٩ تأليف محمد بن الحسن الديلمي .

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص ٦ ، ٧ ، « بتصرف »

تكلم في القدر كان من العجم ، وكذا واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم . وليس هذا غضًا من شأن العجم ، ولكن أهل البدع منهم قد اجتمع فيهم الحقد على الإسلام وأهله ، وجهلهم بهذا الدين ولغته التي نزل فيها ، وقلة علمهم .

ومما يؤكد ذلك أن عمرو بن عبيد المعتزلي جاء إلى أبي عمرو بن العلاء يناظر في وجوب عذاب الفاسق ، فقال له : يا أبا عمرو اللّٰه يخلف وعده ؟ فقال : لن يخلف اللّٰه وعده ، فقال عمرو : فقد قال ، وذكر آية وعيد ، فقال عمرو : من العجمة أتيت ، الوعد غير الإيعاد ثم أنشد :

وإنـي وإن أوعـدْتُـه أو وعـدْتُـه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي(١)

فأمثال هؤلاء لم يفهموا القرآن والسنة فهمًا صحيحًا !!

ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيما أنزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي فإذا كان كذلك اختلفوا ... »(٢)

○ ○ ○ ○

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، الاعتصام ٢ / ٢٩٩ .

(٢) الاعتصام ٢ / ١٨٣ .

المطلب الثالث

مولده وموطنه

١ـ مولده :

لم تسعفنا كتب التاريخ والتراجم والمقالات بشيء عن تاريخ ولادته ، وليس ذلك بمستغرب ، فالرجل ضال مبتدع ، ولولا ما ابتدعه ما اشتهر وما عرف ، إضافة إلى أن العناية بهذا الجانب تعد ضعيفة إلى حد كبير في تراجم السابقين والجعد لم يعط عناية بتاريخ قتله فضلًا عن أن يعطى عناية بتاريخ مولده .

ب ـ موطنه :

إن مما لا شك فيه أن للبيئة التي ينشأ فيها الإنسان أثرها البالغ في حياته سلبًا وإيجابًا ، فالإنسان مدني بطبعه يتأثر بمن حوله ، ويؤثر على من حوله ، فإذا وجد الإنسان البيئة الصحيحة السليمة ساعد ذلك في تنشئته التنشئة السليمة ، وإعداده الإعداد الجيد ، وبنائه البناء السليم .

وإذا كان الأمر على العكس من ذلك ، بحيث ينشأ المرء في بيئة منحرفة متلوثة بالأفكار الفاسدة ، فإن ذلك ينعكس سلبًا على الشخص الذي ينشأ في هذه البيئة ، فقد يتشرب تلك الأفكار ويعتقدها ويكون من حملة لوائها .

والجعد بن درهم من هذا الصنف الثاني ، فبيئته التي نشأ فيها ساعدت على حمله لأفكار الضلال وتشربه لها . وسأحرر لك القول في موطنه وبلدته التي نشأ فيها ومن ثم أوضح لك مدى تأثير بيئة الجعد على ما حمله من أفكار .
فأقول وبالله التوفيق :

أما من حيث المنطقة :

فهو ينسب إلى الجزيرة الفراتية وفي ذلك يقول الهروي : « فأما الجعد فكان جزري الأصل »[١] وهذه النسبة إلى الجزيرة وهي بلاد بين دجلة والفرات وإنما قيل لها جزيرة لهذا وفيها عدة بلاد منها الموصل ، وحران ، والرقة ، وغيرها[٢] .

أما عن موطنه وبلده :

فالجعد بن درهم فيما قيل من أهل « حران »[٣] كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال الإمام أحمد : وكان يقال إنه [أي الجعد] من أهل حران »[٤] .

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران »[٥] .

* وقال ابن عساكر : « وقيل إنه كان من أهل حران »[٦] .

---

(١) ذم الكلام للهروي (ق ١٤٣ / ١) النسخة الظاهرية حديث ٣٣٧ .

(٢) الأنساب ٣ / ٢٤٨ .

(٣) « حرّان » : بتشديد الراء ، بلدة في الجزيرة بين الشام والعراق ومكانها الآن في جنوب شرق تركيا وهي مدينة قديمة بين الرها والرقة ، وقيل إن هاران عم إبراهيم الخليل عليه السلام عمرها ، فسميت باسمه وقيل « هاران » ثم إنها عربت فقيل « حران » (معجم البلدان ٢ / ٢٣٥ ، معجم ما استعجم ١ / ٤٣٥ ، الأنساب ٤ / ٩٦ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٣١٣ .

(٥) الفتوى الحموية ص ٤٧ ، مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ ، منهاج السنة ٢ / ١٩٢ .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .

* وقال الذهبي : « وأصله من حران »[١] .

وحرّان : مدينة تقع بالجزيرة الفراتية من أرض العراق ولا يتعارض هذا القول مع ما ذكره ابن كثير في تاريخه حيث قال : « قال غير واحد من الأئمة كان الجعد بن درهم من أهل الشام »[٢] .

فالجعد بن درهم حراني المولد والنشأة ، وكان يسكن الجزيرة الفراتية في أول أمره ، وعمل في تلك الفترة معلمًا ومؤدبًا لمروان بن محمد لما كان واليًا على الجزيرة أيام هشام بن عبد الملك[٣] ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق وسكن فيها[٤] ثم هرب من دمشق إلى الكوفة[٥] كما سنفصله عن قريب .

وإذا كان الجعد قد نشأ بحران وتعلم فيها ، فإن حران كانت دار الصابئة المشركين[٦] ، وفيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين المشركين ، وكانت الصابئة إلا قليلًا منهم إذ ذاك على الشرك ، وعلماؤهم هم الفلاسفة وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل[٧] وكان بها هيكل « العلة الأولى » هيكل « العقل الأول » هيكل « النفس الكلية » هيكل « زحل » هيكل « المشترى » هيكل « المريخ » هيكل « الشمس » وكذلك « الزهرة » و « عطارد » و « القمر » .

(١) تاريخ الإسلام (وفيات ١٠١ - ١٢٠ ، ت ٣٤٣ ، ٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .
(٢) البداية ١٠ / ١٩ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ ، تاج العروس ٢ / ٣٢١ .
(٤) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ ، البداية ٩ / ٣٥٠ .
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ ، البداية ٩ / ٣٥٠ .
(٦) الرد على المنطقيين ص ٢٨٧ .
(٧) الفتوى الحموية ص ٤٨ ، ٤٩ .

وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم ، ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الإسلام . ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الإسلام إلى آخر وقت ، ولذا لما قدم الفارابي حران في أثناء المائة الرابعة دخل عليهم ، وتعلم منهم ، وأخذ عنهم ما أخذ من الفلسفة[١] .

فيكون الجعد قد أخذ مقالته عن هؤلاء الصابئة الفلاسفة الذين يقولون : إنه ليس للرب إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما[٢] .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال الإمام أحمد : وكان يقال إنه [أي الجعد] من أهل حران ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة ، بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ولهم مصنفات في دعوة الكواكب »[٣] .

○ ○ ○ ○

---

(١) الرد على المنطقيين ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) الفتوى الحموية ص ٤٩ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٣١٣ .

المبحث الثاني

بدء ظهوره وقصة قتله

□ وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : بدء ظهور مقالة الجعد .

المطلب الثاني : مقتل الجعد .

المطلب الثالث : موقف خلفاء بني أمية من أهل البدع .

● ● ● ●

المطلب الأول

بدء ظهور مقالة الجعد

تشير بعض المصادر إلى أن الجعد كان في بدء أمره يسكن الجزيرة الفراتية[١] من أرض العراق وفيها بدء نشر فِكْرِه الضال المنحرف .

* قال السمعاني : « الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة وقع إلى الجزيرة وأخذ برأيه جماعة ، وكان الولي بها إذ ذاك مروان بن محمد »[٢]

* وقال ابن الأثير : « مذهب الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة ، صار إلى الجزيرة ، وأخذ برأيه جماعة ، وكان الوالي حينئذ مروان بن محمد الحمار وإليه ينسب مروان فيقال الجعدي »[٣]

* وقال الزبيدي : « الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة صاحب رأي أخذ به جماعة بالجزيرة »[٤]

ومن أشهر من تأثر بفكر الجعد في هذه الفترة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ولهذا يقال له مروان الجعدي ، فنسب إليه إذ أن الجعد هو شيخه وأستاذه[٥] فالجعد كان مؤدبًا لمروان بن محمد في الفترة التي كان فيها مروان واليًا لهشام بن عبد الملك على الجزيرة من أرض العراق فتعلم مروان من الجعد

---

(١) الأعلام ٢ / ١٢٠ .

(٢) الأنساب ٣ / ٢٦٥ .

(٣) اللباب ١ / ٢٣٠ .

(٤) تاج العروس ٢ / ٣٢١ .

(٥) البداية ٩ / ٣٥٠ ، ١٠ / ١٩ ، مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .

مذهبه في القول بخلق القرآن ، والقدر وغير ذلك ، وكان الناس يذمون مروان لنسبته إليه[١] وقيل : إنه كان مؤدبا له في صغره[٢] فقد كان مولد مروان بالجزيرة في سنة اثنتين وسبعين للهجرة[٣] وذكر أنه كان مؤدبًا له ولولده[٤] .

وبسبب مروان بن محمد انتشر فكر الجعد في الجزيرة الفراتية قال ابن القيم : « وإنما نفق عند الناس لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ، ولهذا يسمى مروان الجعدي »[٥] .

وانتقل الجعد بعد ذلك من الجزيرة إلى دمشق ، وسكنها وهي يوم ذلك عاصمة الخلافة ، وحاضرة العلم والعلماء ، ولعل المبرر في انتقاله إليها : محاولته لبث فكره المنحرف الضال على نطاق أوسع ، لما تمثله دمشق في ذلك الوقت من كونها دار الخلافة ومركز الحضارة والعلم ، وملتقى العلماء وطلاب العلم .

ويظهر هذا القصد جليًا في إظهار الجعد لبدعته ، ومحاولته لطرحها في مجالس العلماء ، ومجادلتهم في ذلك ، كما هي حال أمثاله من المبتدعة الزنادقة الذين يستخدمون مثل هذه الأساليب في نشر فكرهم المنحرف .

* قال ابن كثير : « سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلاسيين إلى جانب الكنيسة »[٦] .

---

(١) الكامل ٥ / ١٦٠ ، تاج العروس ٢ / ٣٢١ .

(٢) الأعلام ٢ / ١٢٠ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٦ / ٧٤ .

(٤) الفهرست ص ٤٠١ .

(٥) مختصر الصواعق ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٦) البداية ٩ / ٣٥٠ .

* وقال ابن عساكر : « كان يسكن دمشق ، وله بها دار »[١] .

* وقال ابن كثير : « وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه »[٢] ، وأنه كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول : أجمع للعقل ، وكان يسأل وهبًا عن صفات اللَّه عز وجل ؛ فقال له وهب يومًا : ويلك يا جعد اقصر المسألة عن ذلك إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا اللَّه في كتابه أن له يدًا ما قلنا ذلك ، وأن له عينًا ما قلنا ذلك ، وأن له نفسًا ما قلنا ذلك ، وأن له سمعًا ما قلنا ذلك وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك »[٣] .

* وقال عبد الصمد بن معقل : قال الجعد بن درهم : ما كلمت عالمًا قط إلا غضب وحل حبوته غير وهب[٤] .

وقد كان لمناظرات الجعد ومجادلاته مع العلماء أثرها العكسي عليه ، فلم تحقق ما يصبو إليه من أهداف كزرع الشبه وزعزعة المعتقد وإحداث البلبلة في فكر المسلمين . بل على العكس من ذلك فقد ساعدت تلك المناظرات على كشفه وفضح مقاصده وبيان فساد معتقده ورفع أمره إلى ولي الأمر وخليفة المسلمين هشام بن عبد الملك المعروف بمواقفه من المبتدعة .

* ويروي لنا ابن الأثير سبب اكتشاف أمر الجعد وسبب طلب هشام له والقبض عليه فيقول : « وقيل إن الجعد كان زنديقًا ، وعظه ميمون بن مهران

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني ، العلامة الاخباري القصصي ثقة من الثالثة ، مات سنة بضع عشرة ومائة (تقريب التهذيب ص ٣٧٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٤) .

(٣) البداية ٩ / ٣٥٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٧ ، تاريخ دمشق ١٧ / ٤٧٧ / ب .

فقال : لشاه قباذ أحب إلي مما تدين به . فقال له : قتلك الله ، وهو قاتلك ، وشهد عليه ميمون وطلبه هشام وسيره إلى خالد القسري فقتله »(١) .

فهذا النص التاريخي يوضح أن الفضل في كشف أمر الجعد ورفع أمره يعود لميمون بن مهران الذي وعظ الجعد في بداية الأمر فلما رأى أن الموعظة لا تنفع شهد عليه ؛ فطلبه هشام بن عبد الملك .

وقد اختلفت الروايات التاريخية في طريقة إخراج الجعد من دمشق :

* فقال ابن الأثير : « وقيل إن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك ، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشامًا ، فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله ... »(٢) .

* ويروي ابن عساكر وابن كثير رواية تختلف عن رواية ابن الأثير فيقول ابن عساكر : « كان الجعد أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد فطلبه بنو أمية فهرب من دمشق وسكن الكوفة ، ومنه تعلم الجهم بن صفوان بالكوفة خلق القرآن »(٣) .

وقال ابن كثير : « وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن فتطلبه بنو أمية فهرب منهم ، فسكن الكوفة ، فلقيه فيها الجهم بن صفوان ، فتقلد هذا القول منه »(٤) .

---

(١) الكامل ٥ / ٤٢٩ .
(٢) الكامل ٥ / ٢٦٣ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .
(٤) البداية ٩ / ٣٥٠ .

* ويروي أبو محمد اليمني رواية ثالثة ، في قصة إخراج الجعد من دمشق فيقول : « فبان له [أي هشام بن عبد الملك] بعض زندقته فنفاه إلى البصرة ، وكان عليها إذ ذاك خالد بن عبد الله القسري ، فرفع إليه خبره في يوم الأضحى .. »(١) وذكر قصة ذبحه .

والروايات التاريخية تذكر أن للجعد نشاطًا بالبصرة وبالكوفة :

* فممن أشار إلى نشر الجعد لبدعته بالبصرة : الدارمي حيث قال : « كان أول من أظهر شيئًا منه [أي التكذيب بكلام الله] بعد كفار قريش الجعد بن درهم بالبصرة ، وجهم بخراسان ؛ اقتداءً بكفار قريش ، فقتل الله جهمًا شر قتلة ، وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، فذبحه ذبحًا بواسط يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ، ولا يعيبه به عائب ، ولا يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله ، وصوبوه من رأيه »(٢).

فالشاهد قوله إنه : « أظهره بالبصرة » .

وأما عن نشاطه في الكوفة : فقد تقدم قول ابن كثير : « فهرب من دمشق ، وسكن الكوفة ، ومنه تعلم الجهم بالكوفة خلق القرآن » .

فالذي يستنتج من تلك الروايات أن الجعد كان يتردد بين الكوفة والبصرة ، لكن تبقى مسألة نفيه محل النظر فمثل هذه المسألة لا يكون حلها بالنفي ، إلا أن يكون المقصود بالنفي السجن ، وبالتالي إذا كان هذا هو المراد فإن هذه الرواية تتفق مع رواية ابن الأثير .

---

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٨٧ .

(٢) الرد على الجهمية ص ٧ .

● **ويستنتج من الأخبار السابقة الأمور التالية :**

١ ـ أن بدعة الجعد ظهرت بوادرها في الجزيرة الفراتية من أرض العراق ، ثم أظهرها الجعد بدمشق لما انتقل إليها وسكن فيها ، فطلبه بنو أمية لما علموا بأمره فهرب منها إلى الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه .

٢ ـ أن زمن ظهور بدعة الجعد كان في أيام خلافة هشام بن عبد الملك الذي تولى الخلافة في الفترة ما بين ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ .

٣ ـ أن الفضل في الإنكار علىالجعد والأمر بقتله يعود في المقام الأول إلى هشام بن عبد الملك ، وليس لخالد بن عبد الله القسري ؛ فهشام هو الذي طلب الجعد لما أظهر بدعته بدمشق ، ولكن الجعد هرب إلى الكوفة ، فأرسل هشام في طلبه كما في خبر ابن كثير ، وابن عساكر . أو أن هشامًا نفاه إلى البصرة كما في خبر اليماني . أو أن هشامًا قبض عليه ، وأرسله إلى عامله بالعراق خالد القسري ، وأمره بقتله ، لكن خالد اكتفى بحبسه ولم يقتله فبلغ الخبر هشامًا ، فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله . كما أشار إلى ذلك ابن الأثير .

والذي يترجح عندي أن خبر ابن كثير وابن عساكر أقرب للصواب لأن الجعد عندما كان في الكوفة أخذ منه الجهم بن صفوان مقالته . وعمومًا فإن جميع الروايات توضح أن الفضل يعود في الدرجة الأولى لهشام ابن عبد الملك ، وإن كان الفضل يرجع لخالد القسري في طريقة إعلانه لهذا الأمر في مجمع الناس بعيد الأضحى ، ففي ذلك ترهيب لكل مبتدع . ولقد كان هشام شديدًا على أهل البدع ، وليست هذه هي المنقبة الوحيدة له . فقد كان من مناقبه في حرب أهل البدع والأهواء قتله لغيلان الدمشقي الذي أظهر القول بنفي القدر في أيام

عمر بن عبد العزيز ، فأحضره عمر ، واستتابه ، فتاب . ثم عاد للكلام فيه أيام هشام ، فأحضره من ناظرة ثم أحضر له الأوزاعي لمناظرته ، فأفتى الأوزاعي بقتله فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أمر به فصلب[١] .

فقد أخرج عبد اللّه بن الإمام أحمد بسنده عن أبي جعفر الخطمي قال : « شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر فقال له : ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك ؟

قال : يُكذَب عليَّ يا أمير المؤمنين ، ويُقالُ عليَّ ما لم أقل .

قال : ما تقول في العلم ؟ قال : قد نفذ العلم .

قال : فأنت مخصوم ، اذهب الآن فقل ما شئت ، ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت ، وإن جحدته كفرت ، وإنك أن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر . ثم قال : تقرأ ياسين ؟

قال : نعم . فقال : اقرأ ﴿ يَس * وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٢] .

فقرأ : ﴿ يَس * وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٣] إلى قوله : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] فقال : قف ، كيف ترى ؟

قال : كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين . قال : زد .

فقرأ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ *

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥ / ٢٦٣ ، الأعلام ٥ / ١٢٤ .

(٢) الآيتان ١ - ٢ من سورة يس .

(٣) الآيتان ١ - ٢ من سورة يس .

(٤) الآية ٧ من سورة يس .

وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[١]

قال : قال عمر رحمه الله : قل ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢] .

قال : كيف ترى ؟ قال : كأني لم أقرأ هذه الآيات قط ، وإني لأعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبدًا . قال : اذهب ، فلما ولى . قال : اللهم إن كان كاذبًا فيما قال فأذقه حر السلاح .

قال : فلم يتكلم زمن عمر رحمه الله ، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه فتكلم غيلان ، فلما ولي هشام أرسل إليه فقال : أليس عاهدت الله عز وجل لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبدًا ؟ قال : أقلني فوالله لا أعود .

قال : لا أقالني الله إن أقلتك هل تقرأ فاتحة الكتاب ؟ قال : نعم .

قال : فأقرأ . فقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣] .

قال : قف ، علام استعنته ؟ على أمر بيده لا تستطيعه إلا به ، أو على أمر في يدك أو بيدك ؟ اذهبوا فاقطعوا يديه ورجليه واضربوا عنقه واصلبوه »[٤] .

---

(١) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة يس .

(٢) الآية ١٠ من سورة يس .

(٣) الآيات ١ - ٥ من سورة الفاتحة .

(٤) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٢ / ٤٢٩ ، ٤٣٠ رقم ٩٤٨ ، وأخرجه الآجري في الشريعة (ص ٢٢٨) ، وانظر التنبيه والرد للملطي ص ١٦٨ .

وأخرج الآجري بسنده ، وكذا ابن حبان ، عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : « كنت عند عبادة بن نُسَيٍّ ، فأتاه رجل . فأخبره أن أمير المؤمنين هشامًا قطع يد غيلان ولسانه وصلبه ، فقال له : حقًّا ما تقول ؟ قال : نعم . قال : أصاب والله السنة والقضية ، ولأكتبن إلى أمير المؤمنين فلأحسنن له ما صنع »(١)

ومن مناقب هشام كذلك إصداره أمرًا لواليه بخراسان نصر بن سيار بقتل الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم .

فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن الإمام أحمد بن حنبل قال : « قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك إلى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فإن ظفرت به فاقتله »(٢)

ولكن هشام توفي قبل ذلك ، فقد كانت وفاته سنة (١٢٦ هـ) والجهم قتل سنة (١٢٨ هـ) .

فهذه ثلاث مناقب لهشام تظهر شدته على أهل البدع .

o o o o

---

(١) الشريعة للآجري ص ٢٢٩ ، المجروحين لابن حبان ٢ / ٢٠٠ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣ / ٣٨١ ، رقم ٦٣٧ ، وفتح الباري ١٣ / ٣٤٦ .

المطلب الثاني

مقتل الجعد

قُتِلَ الجعد بن درهم بالعراق في مدينة « واسط » في أوائل المائة الثانية على عهد علماء التابعين مثل الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وغيره(١) .

« سبب قتله »

ويروى ابن الأثير سبب قتله فيقول : « وقيل : إن الجعد كان زنديقًا ، وعظه ميمون بن مهران . فقال : لشاه قباذ(٢) أحب إلي مما تدين به . فقال له : قتلك اللّٰه ، وهو قاتلك ، وشهد عليه ميمون ، وطلبه هشام فظفر به وسيره إلى خالد القسري فقتله »(٣)

فهذه الرواية التاريخية تظهر أن ميمون بن مهران (ت ١١٧ هـ) وهو أحد الأربعة الذين كانوا هم علماء الناس في زمن هشام بن عبد الملك(٤) وهم مكحول والحسن والزهري وميمون بن مهران(٥) هو الذي رفع أمر الجعد لهشام وأعد الشهود الذين شهدوا على الجعد بالكفر(٦) .

وفي هذا رد على زعم من زعم أن قتل الجعد كان بدافع سياسي من أمثال

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ .
(٢) « لشاه قباذ » كلمة فارسية معناها الملك قباذ ، قال الجواليقي : (وقُبَاذُ ملك من ملوك الفرس) وهو والد كسرى أنوشروان .
(٣) الكامل لابن الأثير ٥ / ٤٢٩ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٩١ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢٦ .
(٦) أنساب الأشراف للبلاذري ٨ / ٢٤١ .

« شارل بلاذا » في كتابه « الجاحظ » حيث قال : « وقد تكون هناك أسباب سياسية أو عداء شخصي بين هشام والجعد لا تشير إليه المصادر ، وجعلت هشام بن عبد الملك يأمر بقتل الجعد »[1] .

وعلي سامي النشار حيث قال : « لا نستطيع أن نصدق أن قتله ـ أي الجعد ـ كان لآرائه الفكرية ، بل يبدو أنه لسبب سياسي »[2]

وهذا التشكيك لا مستند له إلا التخرصات والأوهام ولذلك لم يستطع أحد منهما أن يبرهن لذلك ويدلل عليه .

« تاريخ قتل الجعد »

حددت المصادر التاريخية وغيرها الساعة واليوم والشهر والبلد والمكان الذي قتل فيه الجعد والطريقة والأداة والذابح الذي ذبح الجعد .

فالساعة : هي صباح يوم عيد الأضحى بعد انتهاء الخطبة .

واليوم : هو اليوم العاشر .

والشهر : شهر ذي الحجة .

والبلد : هي واسط .

والمكان : أسفل المنبر .

والطريقة والأداة والذابح : ذبح بالسكين ذبحًا بيد خالد بن عبد اللّٰه القسري .

ولكن مع كل هذه المعلومات التفصيلية الدقيقة ، يبقى أن العام الذي قتل فيه

---

(١) الجاحظ ص ٣٠٨ ، نقلا عن كتاب الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي ص ٥٣ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٣٣١ .

الجعد لم يعرف بالتحديد ، ولم أقف على من حدد وقت قتله إلا الهروي في ذم الكلام حيث قال : « فأما الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد اللّه القسري على رؤوس الخلائق وما له يومئذ نكير ذلك سنة نيف وعشرين ومائة »[١]

ولكن هذه المعلومة غير صحيحة ؛ لأن عزل خالد بن عبد اللّه القسري عن إمارة العراق كان سنة عشرين ومائة . فكيف يكون قتل الجعد بعد العشرين ومائة ؟ فخالد بن عبد اللّه القسري تولى إمارة العراق سنة ست ومائة وعزل في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة[٢]

والذهبي ذكر قتل الجعد في حوادث سنة عشرين ومائة[٣] ولكن هذا لا يتفق مع عزل خالد الذي كان في شهر جمادى الأولى من هذه السنة والقتل وقع في شهر ذي الحجة ، ولكن ربما يحمل قول الذهبي على جبر الكسر ، وعلى هذا فإن قتل الجعد يكون قد وقع قبل سنة عشرين ومائة ، فالقتل وقع في أوائل المائة الثانية فيما بين سنة ست ومائة وسنة تسع عشرة ومائة . وهي مدة إمارة خالد القسري على العراق .

ولكن يمكن أن نستشف من عبارة شيخ الإسلام التي قال فيها : « فضحى بالجعد خالد بن عبد اللّه القسري بواسط على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين ، وهم بقايا التابعين في وقته مثل الحسن البصري وغيره الذين حمدوه على ما فعل وشكروا ذلك »[٤] أن قتله كان قبل سنة (١١٠ هـ)

---

(١) ذم الكلام ص ٣٠٥ .

(٢) الكامل ٥ / ٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢٦ .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ (٧ / ٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٤) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ .

فالحسن البصري مات سنة (١١٠ هـ) فإذا اعتمدنا قول شيخ الإسلام ابن تيمية فإن الحادثة تكون قد وقعت ما بين (١٠٦ هـ) و (١١٠ هـ) . ولكن يبقى التحديد الدقيق لسنة قتل الجعد غير معروف .

« واقعة قتل الجعد »

وقد ضحى بالجعد خالد بن عبد اللّٰه القسري بواسط على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين وهم بقايا التابعين في وقته مثل الحسن البصري وغيره ، الذين حمدوه على ما فعل وشكروا ذلك[١] .

* قال الدارمي : « أظهر الجعد بن درهم بعض رأيه في زمن خالد القسري فزعم أن اللّٰه تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليما فذبحه بواسط يوم الأضحى على رؤوس من حضره من المسلمين لم يعبه به عائب ، ولم يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه »[٢] .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولهذا لما ظهر هذا القول في أوائل الإسلام قُتل من أظهره ، وهو الجعد بن درهم يوم الأضحى ، فقتله خالد بن عبد اللّٰه القسري برضا علماء الإسلام »[٣] .

* وقال النديم في « الفهرست » : « وقَتَلَ الجعدَ هشامُ بن عبد الملك في خلافته بعد أن طال حبسه في يد خالد بن عبد اللّٰه القسري . فيقال إن آل الجعد رفعوا قصته إلى هشام ، يشكون ضعفهم وطول حبس الجعد ، فقال

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ .

(٢) الرد على الجهمية ص ١١٠ ، ط : المكتب الإسلامي .

(٣) منهاج السنة ص ١٦٥ .

هشام : أهو حي بعد ، وكتب إلى خالد في قتله ، فقتله يوم أضحى ، وجعله بدلًا من الأضحية بعد أن قال ذلك على المنبر بأمر هشام[١] .

* وقال ابن القيم : « فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي ، ومع هذا كانوا قليلين أولًا مقموعين مذمومين عند الأئمة ، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم ، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ، فلما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد اللّٰه القسري ، وكان أميرًا على العراق ، حتى ظفر به ، فخطب الناس في يوم الأضحى ، وكان آخر ما قال في خطبته : « أيها الناس ضحوا تقبل اللّٰه ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، فإنه زعم أن اللّٰه لم يكلم موسى تكليمًا ، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا ، تعالى اللّٰه عما يقول الجعد علوًا كبيرًا . ثم نزل فذبحه في أصل المنبر فكان ضحية . ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها والناس إذ ذاك عنق واحد »[٢] .

* وقال ابن العماد الحنبلي : « خطب خالد بن عبد اللّٰه القسري بواسط يوم أضحى وكان ممن حضره الجعد بن درهم . فقال خالد في خطبته الحمد للّٰه الذي اتخذ إبراهيم خليلًا وموسى كليمًا . فقال الجعد وهو بجانب المنبر : لم يتخذ اللّٰه إبراهيم خليلًا ولا موسى كليمًا ولكن من وراء وراء[٣] فلما أكمل خالد خطبته قال : يا أيها الناس ضحوا تقبل اللّٰه ضحاياكم فإني مضح بالجعد

---

(١) الفهرست ص ٤٠١ ، ط : طهران .

(٢) الصواعق المرسلة ٣ / ١٠٧٠ - ١٠٧٢ .

(٣) (من وَرَاءَ وَرَاءَ) : قال ابن الأثير : « هكذا يروى مبنيًا على الفتح : أي من خلف حجاب » النهاية ٥ / ١٧٨ .

ابن درهم فإنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولا موسى كليمًا في كلام طويل ثم نزل فذبحه في أسفل المنبر . فلله ما أعظمها وأقبلها من أضحية »[(١)]

* وقال ابن عساكر : « وأما الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد اللَّه القسري يوم الأضحى بالكوفة ، وكان خالد واليًا عليها ، أتي به في الوثاق حتى صلى وخطب ثم قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا تقبل اللَّه منا ومنكم ، فإني أريد أن أضحى اليوم بالجعد بن درهم ، فإنه يقول ما كلم اللَّه موسى تكليمًا ، ولا اتخذ إبراهيم خليلًا ، تعالى اللَّه عما يقول الجعد علوًا كبيرًا ؛ ثم نزل وجز رأسه بيده بالسكين »[(٢)] .

* وقد أخرج البخاري في كتابه « خلق أفعال العباد » ، وغيره : « قال : حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال : شهدت خالد بن عبد اللَّه القسري بواسط يوم أضحى وقال : ارجعوا فضحوا تقبل اللَّه منكم فإني مضح بالجعد بن درهم زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا تعالى اللَّه علوًا كبيرًا عما يقول الجعد بن درهم ثم نزل فذبحه »[(٣)] .

---

(١) شذرات الذهب ١ / ١٦٩ .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦ / ٥٠ .

(٣) انظر خلق أفعال العباد للبخاري ص ٧ ، والتاريخ الكبير للبخاري (١ / ١ / ٦٤ ، ١ / ٢ / ١٥٨ ت ١٤٣ - ٥٤٢) وعزاها ابن كثير في البداية (١٠ / ٢١) لابن أبي حاتم في السنة ، والسنة للخلال (٥ / ٨٧ ، ٨٨ ، رقم ١٦٩٠) والرد على الجهمية للدارمي (ص ٧) ، والرد على بشر المريسي (١١٨) ، والشريعة للآجري (٩٧ ، ٣٢٨) ، والرد على من يقول القرآن مخلوق للنجاد (٥٤) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢ / ٣١٩) رقم (٥١٢) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ / ٢٠٥) والأسماء والصفات للبيهقي (٣٢٥) وابن بطة في الإبانة =

* قال ابن عساكر : « ثم نزل وجز رأسه بالسكين »[١].

* وقال الذهبي في « العلو للعلي الغفار » : « قرأت في كتاب الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب التصانيف : حدثنا عيسى ابن أبي عمران الرملي حدثنا أيوب بن سويد عن السري بن يحيي قال : خطبنا خالد القسري وقال : انصرفوا إلى ضحاياكم تقبل اللّٰه منكم فإني مضح بالجعد ، وذكر القصة »[٢]

والقصة مشهورة كما قال عنها الذهبي[٣] وقد تناقلها جمع من علماء السنة منهم البخاري ، والدارمي ، وابن أبي حاتم ، واللالكائي ، والأجري ، وابن كثير ، والذهبي ، وابن تيمية ، وابن القيم وغيرهم .

وقد شكر علماء المسلمين هذا العمل وأثنوا عليه ، وعلى رأس أولئك الحسن البصري[٤]

* قال ابن القيم :

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني

= الكتاب الثالث الرد على الجهمية (٢ / ١٢٠ رقم ٣٨٦) وتارخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢ / ٤٢٥) ، وتهذيب الكمال للمزي (٨ / ١١٨) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥ / ٤٨٧) ، واللباب لابن الأثير ٣ / ٣٩٢ ، ومنهاج السنة ٣ / ١٦٥ ، ١٦٦ ، الصواعق المرسلة ٣ / ١٠٧١ ، شذرات الذهب ١ / ١٦٩ .

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .

(٢) العلو للعلي الغفار ص ١٠٠ .

(٣) ميزان الاعتدال (١ / ٣٩٩ ت ١٤٨٢) ، تاريخ الإسلام ٧ / ٣٣٨ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٧٧ ، ١٢ / ٣٥٠ .

شكرا لضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان[١]

* وقال أبو محمد اليمني : « فاستحسن الناس منه ذلك ، وقالوا نفى الغل عن الإسلام جزاه الله خيرًا »[٢].

* وقال الدارمي : « وأما الجعد ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، فذبحه ذبحًا بواسط في يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ، ولا يعيبه به عائب ، ولا يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله ، وصوبوه من رأيه »[٣] .

* وقال الذهبي بعد ذكره قصة قتل خالد القسري للجعد « هذه من حسناته هي وقتله مغيرة[٤] الكذاب »[٥] .

وكذلك من حسناته قتله لبيان بن سمعان النهدي[٦].

○ ○ ○ ○

---

(١) شرح القصيدة النونية للهراس ١ / ٢٥ .

(٢) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٨٧ .

(٣) الرد على الجهمية للدارمي (٧ - ١١٠) ط : المكتب الإسلامي .

(٤) المغيرة بن سعيد البجلي ، كان رافضيًا خبيثًا كذابًا ساحرًا ادعى النبوة ، وفضل علي على الأنبياء ، وكان مجسمًا . تاريخ الطبري (٧ / ١٢٨ ، ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٢٦) ، ميزان الاعتدال (٤ / ١٦٠ ، ١٦١) .

(٥) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٢ .

(٦) بيان بن سمعان من الغلاة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقتله خالد القسري على ذلك . الملل والنحل ١ / ١٥١ ، ١٥٢ .

المطلب الثالث

مواقف خلفاء بني امية من اهل البدع

للأسف الشديد أن أواخر بني أمية كانوا موالين لأهل البدع على خلاف ما كان عليه أوائلهم فالأوائل كانوا شديدين على المبتدعة لا يترددون في قمعهم فمن مواقفهم في ذلك :

١ ـ **موقف عبد الملك بن مروان** مع معبد الجهني الذي كان أول من تكلم في القدر بالبصرة ، فصلبه عبد الملك بن مروان بدمشق ثم قتله[(١)] .

٢ ـ **موقف عمر بن عبد العزيز** الذي كان مقيمًا للسنة حربًا على البدع وأهلها ومواقفه في ذلك مشهورة مشكورة ، ومن ذلك إحضاره لغيلان بن مسلم الدمشقي الذي تنسب إليه فرقة « الغيلانية » من القدرية ، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه ، لم يسبقه في ذلك سوى معبد الجهني ، وعنه أخذ غيلان . فأحضره عمر بن عبد العزيز فاستتابه فتاب ، فتركه[(٢)] .

٣ ـ **موقف هشام بن عبد الملك** وقد تقدم خبره مع غيلان والجعد والجهم .

وكل من يتأمل في التاريخ يجد أن لبني أمية الأوائل أياد بيضاء في هذا الجانب وإن كان لبعضهم هنات وزلات في جوانب أخرى ، والتاريخ يشهد لهم أن راية

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ميزان الاعتدال ٣ / ١٨٣ ، الاعلام ٧ / ٢٦٣ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٥ / ٢٦٣ ، الأعلام ٥ / ١٢٤ ، درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٧٣ ، وانظر خبر ذلك في كتاب الشريعة للآجري ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ، والتنبيه والرد للملطي ص ١٧٨ ، السنة لعبد الله بن أحمد ٢ / ٤٢٩ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢ / ٧٨٨ ، الإبانة لابن بطة ، كتاب القدر الثاني ص ٢٣١ ، الفتاوى ٧ / ١٤ .

السنة وعلماء السنة هم السادة في ذلك العصر ، ولكل زمان دولة ورجال .

أما أواخر خلفاء بني أمية فقد كان بعضهم مواليًا لأهل البدع بل يقول بقولهم ، ومن أولئك :

١ - **يزيد بن الوليد ـ يزيد الثاني ـ** والذي يلقب بيزيد الناقص وقد تولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ وكان قدريًا حتى أنه ولى على العراق منصور بن جمهور وكان يدين بمذهب الغيلانية القدرية[١]

* قال ابن الأثير : « ولم يكن منصور من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية »[٢] .

* وقال الشافعي : « لما ولى يزيد بن الوليد ، دعا الناس إلى القدر ، وحملهم عليه ، وقرب أصحاب غيلان »[٣] لكن خلافة يزيد لم تزد على ستة أشهر .

٢ - **مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار** ، وكان آخر خلفاء بني أمية وتولى الخلافة من سنة ١٢٧ هـ إلى ١٣٢ هـ وقد تقدم أنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن ، والقدر وغير ذلك . وكان يسمى بمروان الجعدي .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها »[٤] .

---

(١) البداية ١٠ / ١٤ ، شذرات الذهب ١ / ١٦٧ ، تاريخ ابن خلدون ٣ / ١٠٩ ، ١١٢ .

(٢) الكامل ٥ / ٢٩٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٨٢ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٨٢ .

* وقال أيضًا : « وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية ، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة ، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم اللّٰه ممن خالف الرسل ، وانتصر لهم »(١) .

« ولذلك كان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببًا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة »(٢) .

O O O O

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٧٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٧٨ .

الفصل الثاني

بدع الجعد ومقالاته والرد على بعض الشبه والمغالطات التي تثار حوله

□ وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بدع الجعد ومقالاته .

المبحث الثاني : الردود على بعض الشبه والمغالطات التي أثيرت حول الجعد بن درهم .

المبحث الأول

بدع الجعد ومقالاته

□ وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقوال العلماء فيه .

المطلب الثاني : بدعه ومقالاته .

● ● ● ●

المطلب الأول

أقوال العلماء فيه

١ـ * قال اللالكائي : عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سمعت أبي يقول : « أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم »(١) .

* وقال ابن عساكر في ترجمة الجعد : « أول من قال بخلق القرآن »(٢) .

* وقال الهروي : « وأما فتنة إنكار الكلام لله عز وجل فأول من زرعها جعد ابن درهم ، فلما ظهر جعد قال الزهري وهو أستاذ أئمة الإسلام وقائدهم : ليس الجعد من أمة محمد ﷺ »(٣) .

* وقال ابن الأثير : « وكان مروان يلقب بالحمار والجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وقيل إن الجعد كان زنديقًا »(٤) .

* وقال ابن كثير في ترجمة الجعد : « هو أول من قال بخلق القرآن »(٥) .

* وقال الذهبي : « وكان الجعد أول من تفوه بأن الله لا يتكلم »(٦) .

* وقال السيوطي في « الأوائل » : « أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣ / ٣٨٢ رقم ٦٤١ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ ، وانظر الوسائل في مسامرة الأوائل للسيوطي ص ١١٦ .

(٣) ذم الكلام للهروي ص ٣٠٤ .

(٤) الكامل في التاريخ ٥ / ٤٢٩ .

(٥) البداية ٩ / ٣٥٠ .

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات ١٠١ ، ١٢٠ ، ٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ ت ٣٤٣) .

الجعد بن درهم »[١] .

* وقال الذهبي في ترجمته في « الميزان » : « مبتدع ضال ، زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا ، فقتل على ذلك يوم النحر والقصة مشهورة »[٢] .

* وقال البيهقي بعد أن ساق بأسانيده أقوال أئمة السلف في أن القرآن الكريم كلام اللَّه غير مخلوق : « ولم يصح عندنا خلاف هذا القول عن أحد من الناس في زمان الصحابة والتابعين رضي اللَّه عنهم أجمعين ، وأول من خالف الجماعة في ذلك الجعد بن درهم فأنكر عليه خالد بن عبد اللَّه القسري وقتله »[٣].

* وقال الطبري : « إن أول من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم »[٤].

* قال ابن العماد الحنبلي : « والجعد هذا من أول من نفى الصفات وعنه انتشرت مقالة الجهمية إذ ممن حذا حذوه في ذلك الجهم بن صفوان عاملهما اللَّه تعالى بعدله »[٥] .

* وقال الذهبي في « ديوان الضعفاء » : « الجعد بن درهم ، الضال ، ذبحه خالد القسري ، أنكر أن إبراهيم عليه السلام خليل اللَّه »[٦] .

* وقال عنه أبو الحسن علي بن محمد المدائني الأخباري : « كان زنديقًا وقد

(١) لوامع الأنوار البهية ١ / ٢٣ .

(٢) ميزان الاعتدال (١ / ٣٩٩ ، ت ١٤٨٢) .

(٣) الأسماء والصفات ص ٣٢٥ .

(٤) صريح السنة .

(٥) شذرات الذهب ١ / ١٦٩ .

(٦) ديوان الضعفاء ص ٦٣ ت ٧٤٢ .

قال له وهب بن منبه إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا اللَّه أن له يدًا ، وأن له عينًا ما قلنا ذلك . ثم لم يلبث الجعد أن صلب »[١] .

* وقال ابن كثير : « وذكر أنه ـ أي الجعد ـ كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول أجمع للعقل ، وكان يسأل وهبًا عن صفات اللَّه عز وجل ؛ فقال له وهب يومًا : ويلك يا جعد اقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا اللَّه في كتابه أن له يدًا ما قلنا ذلك ، وأن له عينًا ما قلنا ذلك ، وأن له نفسًا ما قلنا ذلك وأن له سمعًا ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك . ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل ذكره ابن عساكر »[٢]

* وقال ابن حجر : « وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة منها أنه جعل في قارورة ترابًا وماءً فاستحال دودًا وهوامًا فقال : أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد فقال : فليقل كم هو ، وكم الذكران منه والإناث إن كان ، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره . فبلغه ذلك فرجع »[٣] .

* وقال ابن نباتة : « دخل على الجعد يومًا بُهْلول ، فقال أحسن اللَّه عزاءك في ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فإنها ماتت ! قال : وكيف تموت ؟

قال : لأنك تقول : إنها مخلوقة ، وكل مخلوق يموت »[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣ .

(٢) البداية ٩ / ٣٥٠ ، تاريخ الإسلام (وفيات ١٠١ ، ١٢٠) ٧ / ٣٣٨ .

(٣) لسان الميزان ٢ / ١٠٥ .

(٤) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٩٤ .

* وقال ابن عساكر : « وأخذ الجعد بن درهم من أبان بن سمعان وأخذ أبان من طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ، وكان لبيد يقرأ القرآن وكان يقول بخلق التوراة ، وأول من صنف في ذلك طالوت وكان طالوت زنديقًا وأفشى الزندقة ، ثم أظهرا جعد بن درهم »[1].

* وقال ابن كثير : « وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول اللَّه ﷺ وأخذها لبيد عن يهودي باليمن »[2].

* وقال النديم في « الفهرست » : « كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد ، فيقال مروان الجعدي ، وكان مؤدبًا له ولولده ، فأدخله في الزندقة »[3] .

* وقال ابن القيم : « فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي ، ومع هذا كانوا قليلين أولًا مقموعين مذمومين عند الأئمة ، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم ، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ولهذا كان يسمى مروان الجعدي ، وعلى رأسه سلب اللَّه بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة »[4]

---

(1) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .

(2) البداية ٩ / ٣٥٠ .

(3) الفهرست ص ٤٠١ .

(4) الصواعق المرسلة ٣ / ١٠٧٠ ، ١٠٧١ .

* وقال القلقشندي في ترجمة « مروان » : « ويعرف بالجعدي لأنه أخذ عن الجعد بن درهم مذهبه في الكلام في القول بخلق القرآن والقدر »[١] .

* قال المطهر بن طاهر المقدسي : « وقيل له الجعدي لأن الجعد بن درهم الزنديق كان غلب عليه وفيه يقول الشاعر :

أتـــاك قـــوم بـــرجـــالٍ جُـــرْد مـخـالـفًـا يـنـصُـرُ دِيـنَ الجَعـد

مكذبًا بجحـــد يومَ الـوَعْـد[٢]

○○○○

---

(١) مآثر الانافة في معالم الخلافة ١ / ١٦٢ ، ط : الكويت .

(٢) البدء والتاريخ ٦ / ٥٤ ، ٥٥ .

المطلب الثاني

بدعه ومقالته

وبعد فهذه جملة من الأفكار المنحرفة ذكر العلماء أن الجعد كان ينادي بها ويظهرها ويدعو إليها . ويمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ـ إنكاره لصفات الخالق :

ولا شك أن جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته[١] فأراد الجعد بذلك هدم الأصل الأول من أصلي الدين الذي هو « الإيمان باللّٰه » .

فالجعد وأمثاله لا يؤمنون بوجود حقيقي للّٰه تعالى ، ويجعلون وجود اللّٰه أمرًا مقدرًا في الذهن والخيال لا حقيقة له في الخارج ، فلذلك هم لا يصفونه بصفة ثبوتية ، ويقتصرون على وصفه بالصفات السلبية أو الإضافية أو المركبة منهما .

والجعد أول من أحدث ذلك في الإسلام ، وقد كان أسبق من الجهم بن صفوان ، ولكن الجهم كان له في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه ولذلك اشتهر نسبة هذه المقالة إليه[٢]فقيل مقالة الجهمية ، ولم يقال مقالة الجعدية .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهاتان الصفتان ـ أي كلامه ورضاه الذي يتضمن محبته ومشيئته ـ هما اللتان أنكرهما الجعد بن درهم أول الجهمية ، لما زعم أن اللّٰه لم يتخذ إبراهيم خليلًا ، إذ لا محبة له ولا رضا ؛ ولم يكلم موسى تكليما »[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥١ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ١ / ١٦٣ ، ١٦٤ « بتصرف » .

(٣) الاستقامة ١ / ٢١٥ .

٢ـ إنكاره أن اللَّه يتكلم حقيقة :

وهذا إنكار لحقيقة الرسالة[١] .

فالصابئة المتفلسفة شيوخ الجعد لا يثبتون وجود اللَّه على الحقيقة فضلًا أن يثبتوا له صفة الكلام ، ولذلك هم يقولون : (إن اللَّه ليس له كلام في الحقيقة وإن كلام اللَّه اسم لما يفيض على قلب النبي من « العقل الفعال » أو غيره . و« ملائكة اللَّه » اسم لما يتشكل في نفس من الصور النورانية ولهذا يقول هؤلاء إن خاصية النبي التخييل[٢] ، وإن ما جاء به النبي ليس كلامًا للَّه على الحقيقة وإنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور ، لا أنه بين به الحق ، ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق[٣] .

فأراد الجعد بذلك هدم الأصل الثاني من أصلي الدين الذي هو الإيمان بالنبي ﷺ ورسالته . وذلك من خلال إنكاره لكلام اللَّه المستلزم لإنكار حقيقة الرسالة وقد جعل بدعته هذه في قالب القول بخلق القرآن فهو أول من تكلم به .

* قال الهروي : « وأما الذين قالوا بإنكار الكلام للَّه عز وجل ، فأرادوا إبطال الكل ، فإن اللَّه على زعمهم الكاذب إذا لم يكن متكلمًا ، بطل الوحي ، وارتفع الأمر والنهي وذهبت الملة ، فلا يكون جبريل عليه السلام سمع ما بلغ ولا الرسول ﷺ أخذ ما أنفذ . فبطُلَ التسليم والسمع والتقليد ، ويبقى المعقول الذي به قاموا »[٤] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) ذم الكلام ص ٣٠٦ .

(٤) ذم الكلام ص ٣٠٦ .

٣- إنكاره محبة الله لأحد من عباده :

وبالتالي أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا ، وهو يريد بذلك الطعن في نبي الله إبراهيم الخليل إمام الحنفاء ، ولا غرابة في ذلك فأئمة الجعد هم الصابئة المشركون عباد الكواكب ، وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام إمام الحنفاء ، وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا[١] .

بل إن هؤلاء يقولون : إن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ، فلا يحب الرب عبده ولا يحب العبد ربه .

وهدفهم هو التعطيل والجحود ، لأن إنكار محبة العبد ربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إلها معبودًا .

كما أن إنكار محبته لعبده يستلزم إنكار مشيئته وهو يستلزم إنكار كونه ربًا خالقًا

فصار إنكار المحبة مستلزمًا لإنكار كونه رب العالمين ، ولكونه إله العالمين . وهذا هو قول أهل التعطيل والجحود[٢] ولذا أطلق إمام المعطلة الجعد بن درهم القول بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا[٣] .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكان الجعد بن درهم من أهل حران ، وكان فيهم بقايا من الصابئين والفلاسفة - خصوم إبراهيم الخليل عليه السلام - فلهذا أنكر تكليم موسى وخلة إبراهيم ، موافقة لفرعون ونمرود ، بناءً على أصل هؤلاء النفاة ، وهو أن الرب تعالى لا يقوم به كلام ، ولا يقوم به محبة

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٧ ، ٦٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٠ / ٧٣ ، منهاج السنة ٥ / ٣٢٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٠ / ٧١ .

لغيره ، فقتله المسلمون ، ثم انتشرت مقالته فيمن ضل من هذا الوجه . والمحبة متضمنة للإرادة ، ومسألة الكلام والإرادة ضل فيهما طوائف »[١] .

* وقال رحمه الله : « وكان أول من أنكر المحبة الجعد بن درهم ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري ، وقال : « ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليمًا ، ولا اتخذ إبراهيم خليلًا تعالى الله عما يقول الجعد علوًا كبيرًا » ثم نزل فذبحه .

فإن الخلة من توابع المحبة ، فمن كان من أصله أن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ، لم يكن للخلة عنده معنى[٢] .

٤ـ من بدع الجعد معارضته للنصوص بالعقليات :

وهو أول من أحدث هذه البدعة ، وفتح بابًا من أبواب الشر على المسلمين .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات ، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي رضي الله عنه ، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة ، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم ، لا يدَّعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص . ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين ، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم ، ... وأولهم الجعد بن درهم »[٣] .

فأول ما ظهر علم الكلام في الإسلام بعد المائة الأولى ، من جهة الجعد بن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، وانظر منهاج السنة ٣ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) منهاج السنة ٥ / ٣٢١ ، ٣٢٢ ، وانظر كتاب : مدارج السالكين ١ / ٩٢ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٢٤٤ .

درهم والجهم بن صفوان ، ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد ، كأبي الهذيل العلاف وأمثاله[١] .

فالجعد هو مشعل نار هذه الفتنة ، وعلم الكلام جر على المسلمين الكثير من البلايا والمحن والفتن التي لا نزال إلى يومنا هذا نعاني منها .

* وقال ابن القيم : « مضى الرعيل الأول [من الصحابة] في ضوء ذلك النور لم تطفئه عواصف الأهواء ، ولم تلتبس به ظلم الآراء وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم ، وأن لا يخرجوا عن طريقهم ، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة ، فبعدوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة ، ومع هذا لم يفارقوه بالكلية ، بل كانوا للنصوص معظمين ، وبها مستدلين ، ولها على العقول والآراء مقدمين ، ولم يدع أحد منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص ، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها ، والاستبداد بما ظهر لهم منها دون من قبلهم ، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلدين لهم ، فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر ، ورموهم بالعظائم ، وتبرؤوا منهم ، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير ، وكانوا لا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم ، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة ، وهو أكثر من أن يذكر هاهنا .

فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي ، ومع هذا كانوا قليلين أولًا مقموعين مذمومين عند الأئمة ، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم ، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم

---

(١) منهاج السنة ٨ / ٥ .

مروان بن محمد وشيخه ولهذا كان يسمى مروان الجعدي ، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة »[١] .

٥ ـ من بدع الجعد إنكاره للقدر :

* فقد ذكره البغدادي في عداد القدرية ، حيث قال : « ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، والجعد بن درهم »[٢] .

وذكر أن الحمارية من القدرية قد تأثروا ببعض أفكار الجعد في هذه المسألة فقال : « وأخذوا من جعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري قوله بأن النظر الذي يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلًا لا فاعل لها »[٣] .

وقد زعم هؤلاء الحمارية أن الخمر ليست من فعل الله ، وإنما هي من فعل الخمار ، لأن الله تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعًا من الحيوانات ، كاللحم إذا دفنه الإنسان أو يضعه في الشمس فيدود ، وزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان ، وكذلك العقارب التي تظهر من التبن تحت الآجُرّ زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجُرّ والتبن[٤] .

وهذا الزعم كان الجعد أسبق من الحمارية إليه فقد ذكر ابن حجر في اللسان أن الجعد كان يقول بذلك حيث قال : « وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة منها

---

(١) الصواعق المرسلة ٣ / ١٠٦٩ ، ١٠٧١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨ ـ ١٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٧٩ .

أنه جعل في قارورة ترابًا وماءً فاستحال دودًا وهواما فقال : أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه »[١] .

ولذلك فإني لا أستبعد أن تكون الحمارية نسبة إلى مروان الحمار الذي تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك كما أشار إلى ذلك ابن الأثير[٢] وغيره[٣] .

وبهذا يعلم أن أفكار الجعد كانت تدور حول تعطيل ذي الجلال والإكرام وإنكار صفاته ، وتكذيب رسله ، وإبطال وحيه »[٤] .

○ ○ ○ ○

---

(١) لسان الميزان ٢ / ١٠٥ .

(٢) الكامل ٥ / ٤٢٩ .

(٣) انظر مآثر الإناقة في معالم الخلافة للقلقشندي ١ / ١٦٢ .

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (ص ٧) ط : المكتب الإسلامي .

المبحث الثاني

الردود على بعض الشبه والمغالطات التي أثيرت حول الجعد بن درهم

□ وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المغالطة الأولى .

المطلب الثاني : المغالطة الثانية .

المطلب الثالث : المغالطة الثالثة .

● ● ● ●

ردود على بعض الشبه والمغالطات

وإن مما يؤسف له أن بعض الكتاب المعاصرين حاول الطعن في ثبوت قصة قتل الجعد من جهة إسنادها ، وتحامل في الوقت نفسه على خلفاء بني أمية وكذا على خالد القسري ، وطعن بطعون ، لم يكن هو السابق إليها وإنما هو مقلد لغيره فيها . ومجارٍ لبعض من سبقه من الكتاب .

وسأتعرض لهذه الطعون وأرد عليها بما يفتح اللَّه علي في ذلك .

قال صاحب كتاب « قصص لا تثبت » « مشهور بن حسن » في الجزء الثالث ، الباب الخامس : « من قصص الأمراء والسلاطين » القصة « التاسعة والعشرون » « ذبح خالد بن عبد اللَّه القسري الجعد بن درهم » ٣ / ٢٥١-٢٥٦ .

قال تحت عنوان : « **تنبيهات هامة** »

« ومما يضعف هذه القصة أمور منها » :

أولًا : هذه القصة مدارها على ضعفاء ومجاهيل ، فهي غير ثابتة على معايير أهل النقد .

ثانيًا : ترجمة خالد بن عبد اللَّه القسري مظلمة ، وفيها ما يفيد أنه كان ظالمًا ولذا قال الذهبي في « السير » (٥ / ٤٣٢) عقب القصة : « قلت : هذه من حسناته » .

ثالثًا : لم يكن من همِّ أمثال القسري ـ آنذاك ـ هذه الغيرة التي لا تكون إلا لمن يعتقد العقيدة الحقة ، وكان الخلفاء وولاتهم في زمن الأمويين أبعد الناس عن قتل المسلمين في مسائل مثل هذه ، ولهذا قال بعض الباحثين المعاصرين إن قتل الجعد لم يكن إلا لسبب سياسي لا لآرائه في العقيدة .

رابعًا : الذي يهمنا هنا تقرير وتأكيد أن هذه الحادثة مع تعليل القتل الذي فيها لم يرد إلينا بإسناد نظيف ، واللّه الهادي »[١] .

قلت : اللائق بالعنوان الذي وضعه وسماه « تنبيهات مهمة » أن يسمى « مغالطات وشبهات ساقطات » وسأعلل للقارئ الكريم وطلاب العلم ذلك من خلال الرد على كل فقرة من الفقرات التي ذكرها .

O O O O

(١) قصص لا تثبت ٣ / ٢٥٦ ، الناشر : دار الصميعي .

المطلب الأول

المغالطة الأولى

ذكر المؤلف في الفقرة الأولى : « **أن هذه القصة مدارها على ومجاهيل ، فهي غير ثابتة على معايير أهل النقد** » .

والجواب على ذلك :

هذه أولى المغالطات حيث سوى بين علم الحديث وعلم التاريخ وفي النقد ، وأراد أن يطبق منهج المحدثين تطبيقًا حرفيًا في نقد الروايات ال وهذا خطأ جسيم وأمر لا يُسَلِّم به لا علماء الحديث ولا التاريخ ، للقارئ الكريم نقلًا واحدًا يدل على فساد زعم المؤلف أن هذه القصة غ على معايير أهل النقد .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال الإمام أحمد « ثلاثة علوم ل أصول : المغازي والملاحم والتفسير » وفي لفظ « ليس لها أسانيد » ذلك أن الغالب عليها أنها مرسلة ومنقطعة ، فإذا كان الشيء مشهورًا ع الفن وقد تعددت طرقه فهذا مما يرجع إليه أهل العلم بخلاف غيره انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قلت : هذه معايير أهل النقد يبينها ابن تيمية :

١ ـ أن يكون الشيء مشهورًا عند أهل الفن .

٢ ـ تعدد طرقه .

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ص ١٦ ـ ١٧ . ط : الدار العلمية ، الهند .

والقصة التي معنا اجتمع فيها الشرطان :

١ـ شهرتها عند أهل الفن :

* وقد شهد بذلك الذهبي حيث قال : « وهذه قصة مشهورة رواها قتيبة بن سعيد والحسن بن الصباح وعثمان بن سعيد الدارمي عن ابن أبي سفيان المعمري »[١] .

* وقال في « ميزان الاعتدال » : « والقصة مشهورة »[٢] .

* وقال ابن كثير بعد أن ذكر القصة : « وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد اللّه بن أحمد وذكره ابن عساكر في التاريخ »[٣] .

* وقال في موضع آخر ذكر فيه القصة : « وقد روى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ، وابن أبي حاتم في السنة ، وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ... »[٤] وذكر القصة .

فهذه شهادة من عالمين من علماء هذا الفن ، وقد نقل المؤلف هذه الشهادات ووضعها تحت عنوان : « شهرة القصة » ولكن ـ واللّه أعلم ـ يبدو أنه لا يفهم معنى هذه العبارة ودلالتها في معايير أهل النقد .

وهنا يحق لنا أن نتمثل بقول الشاعر :

---

(١) تاريخ الإسلام (وفيات ١٠١ ـ ١٢٠ ، ٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ ت ٣٤٣) .
(٢) ١ / ٣٩٩ .
(٣) البداية ٩ / ٣٥٠ .
(٤) البداية ١٠ / ١٩ .

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولذلك فإني أقول إن المؤلف جازف بقوله : « **فهي غير ثابتة على معايير أهل النقد** » فيجب عليه أن يتعلم معايير نقد الروايات التاريخية ، ويفرق بينها وبين معايير المحدثين قبل أن يخوض في المسألة بمثل هذا الخوض الساقط الفاسد .

٢ـ وأما الشرط الثاني الذي ذكره شيخ الإسلام فهو « **تعدد الطرق** » .

وقصة قتل الجعد جاءت من طريقين سبق ذكرهما وقد ذكرهما الذهبي في العلو للعلي الغفار وذكرهما المؤلف في كتابه .

وبما أن القصة قد تحقق فيها شرط الشهرة وشرط تعدد الطرق .

فهي كما ذكر شيخ الإسلام تكون معتبرة عند أهل الفن ، ولا يضرها كونها مرسلة أو منقطعة أو غير ذلك من العلل التي يمكن اعتبارها سببًا في رد الأحاديث المرفوعة ومن المعلوم أن الأخبار التاريخية يتسامح فيها بما لا يتسامح فيه فيما يتصل بالسنة ، ويا ليت المؤلف المذكور أمعن النظر في تعليق الألباني على العلو للذهبي .

* حيث قال معلقًا على صنيع ابن أبي حاتم في رواية هذه القصة عن عيسى ابن أبي عمران مع قوله في الجرح والتعديل : « كتبت عنه بالرملة ، فنظر أبي في حديثه ، فقال : يدل حديثه أنه غير صدوق ، فتركت الرواية عنه »[1] .

فقال الألباني : « قلت : ولعل روايته عنه هذه القصة ، لأنها ليست حديثًا مرفوعًا ، والله أعلم »[2] انتهى كلام الألباني ، وكلامه يدل على التفريق بين

---

(١) ٦ / ٢٨٦ .

(٢) مختصر العلو ص ١٣٤ .

الفنين فن الحديث وفن التاريخ . فلكل واحد منهما قواعد وضوابط تخصه .

* قال ابن تيمية رحمه الله : « فعلماء الدين أكثر ما يحررون النقل فيما نقل عن النبي ﷺ لأنه واجب القبول أو فيما ينقل عن الصحابة ، وأما الاسرائيليات ونحوها فهم لا يكترثون بضبطها ولا بأحوال نقلها »[١] .

بل حتى في فن الحديث يفرق بين الأحاديث المتعلقة بالعقائد والأحكام والحلال والحرام والسنن والأحاديث المتعلقة بفضائل الأعمال والترغيب والترهيب والدعوات ، فيتساهل في أسانيد هذه ويتشدد في أسانيد تلك .

* قال شيخنا الشيخ حماد بن محمد الأنصاري : « إن الحديث إذا لم يتضمن عقيدة ولا حلالًا ولا حرامًا جاز العمل به في الفضائل ، لأن باب الفضائل لا يشدد فيه هذا التشديد إذا كان لهذه الفضيلة أصل في الشرع »[٢] .

* قال الحاكم قال عبد الرحمن بن مهدي : إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحث والدعوات تساهلنا في الأسانيد »[٣] .

* وقال الإمام أحمد : إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام شددنا وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكمًا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد[٤] .

* وقد ذكر البيهقي أقسام الخبر وقال : « وضرب لا يكون راويه متهمًا

---

(١) الرد على البكري ص ٢٠ .

(٢) رفع الاشتباه عن حديث من صلى في مسجدي أربعين صلاة ص ٣٦ .

(٣) المستدرك كتاب الدعاء ١ / ٤٩٠ .

(٤) المدخل إلى الصحيحين للحاكم .

بالوضع غير أنه عرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط في رواياته ويكون مجهولًا لم يتثبت من عدالته وشرائط قبوله ما يوجب القبول ، فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملًا في الأحكام كما لا تكون شهادة من هذه صفته مقبولة عند الحكام ، وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي فيما لا يتعلق به حكم »[1] .

فإذا كان يُفرق بمثل هذا التفريق داخل فن الحديث ، فما بال المؤلف المذكور يخلط مثل هذا الخلط ويصدر حكمه الجائر فيقول : « **غير ثابتة على معايير أهل النقد** » فيا ليته على أقل أحواله رضي بحكم الألباني حيث قال : « لكنه يتقوى بالذي بعده فإن إسناده خير منه ، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة ... » .

وهذا كلام رصين متين فالألباني يعترف بجزم العلماء بهذه القصة ، وأنت أيها التلميذ تجزم بعدم ثبوتها !!!

ثم إنه لمن الغريب حقًّا أنه لم يسبق لأحد من العلماء الذين ذكروا هذه القصة على كثرتهم وشهرتهم وإمامتهم ، أن تعقب هذه القصة بمثل ما ذكره هذا المؤلف ، فكيف مضت مئات السنين ولا نجد من ينتقد هذه القصة ويطعن في ثبوتها ، مع مرورها على أساطين المحدثين والمؤرخين ، وهم الأعلم والأدرى بمعايير النقد وموازينه ؟

أو يعقل أنك أيها المؤلف ـ خبير البحث الحديث ـ المكتشف الوحيد لزيف هذه القصة واختلاقها ؟! أعتقد أن الأمر مستبعد فالأمر في حقيقته كما قال الشاعر :

وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

---

(١) مختصر العلو ص ١٣٣ .

وإن من أعظم الظلم والبهتان أن ينكر الرجل ما تواتر به النقل وامتلأت به الكتب ، وشاع بين الخاص والعام . وحري بهذا المؤلف وأمثاله أن لا يخوضوا في هذه المسائل وهم يعلمون أن الأئمة الكبار قد تلقوا ذلك بالقبول ولم يرد منهم اعتراض يذكر لا من قريب أو بعيد .

o o o o

المطلب الثاني

المغالطة الثانية

قال المؤلف : « **ثانيًا : ترجمة خالد بن عبد الله القسري مظلمة ، وفيها ما يفيد أنه كان ظالماً ، ولذا قال الذهبي في « السير » (٥ / ٤٣٢) عقب القصة : « قلت : هذه من حسناته »** ! . انتهى كلامه .

قلت : المؤلف متناقض في مواقفه ويكيل بمكيالين ويزن بميزانين ، فهو في قصة قتل الجعد يريد تطبيق شروط المحدثين في ثبوت الحديث المرفوع على قصة تاريخية . وهنا في سيرة خالد القسري أصدر حكمًا بأنها مظلمة دون أن يحقق في أسانيد سيرته أو أن يُفصل شيئا من ذلك وهذا الغمز في هذه القصة من هذا الوجه لم يكن المؤلف أول من طعن في ذلك بل هو مجارٍ لغيره فيه .

فمن قبله جمال القاسمي في كتابه « تاريخ الجهمية والمعتزلة »[١] الذي نقل خليطًا من الروايات في الطعن في خالد بن عبد الله القسري بأنه جعل الولاية للنصارى والمجوس على المسلمين ، وأنه كان ناصبيًا يبغض عليًا رضي الله عنه وأن الإسلام كان في عهده ذليلًا ، وأحال من أراد استيفاء أحواله وأخباره إلى كتاب « الأغاني » للأصفهاني الشيعي[٢] .

ولنا مع كلام المؤلف وكلام القاسمي وقفات :

الوقفة الأولى : زعْمُ المؤلف بأن ترجمة القسري مظلمة وكذا التهم التي ذكرها القاسمي ، على فرض صحتها ، لا تطعن في صحة القصة ، فلو قرأ

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٣٨ ـ ٤٢ .

(٢) انظر كتاب السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني لوليد الأعظمي .

المؤلف ومن قبله القاسمي التاريخ بتأمل لعلموا أن صاحب القرار في إعدام وقتل الجعد هو هشام بن عبد الملك ، فالفضل يعود إليه في المقام الأول فلو اعتمدنا رواية ابن الأثير للقصة ، لعلمنا أن هشامًا هو الذي قبض على الجعد وأرسله إلى خالد القسري وأن خالدًا القسري اكتفى بحبسه ولم ينفذ أمر القتل وأن هشامًا أرسل إلى خالد يلومه ويعزم عليه بقتله .

* قال ابن الأثير : « وقيل إن الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك ، فأخذه هشام وأرسله إلى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشامًا ، فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله »[١] .

ولو اعتمدنا رواية ابن عساكر وابن كثير لوجدنا كذلك هشام بن عبد الملك هو الذي طلب القبض على الجعد في بداية الأمر عندما كان في دمشق لكن الجعد هرب إلى الكوفة .

* قال ابن عساكر : « كان الجعد أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد فطلبه بنو أمية فهرب من دمشق إلى الكوفة »[٢] .

* وقال ابن كثير : « وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم ، فسكن الكوفة ... »[٣] .

والنديم في « الفهرست » ينص على أن هشامًا هو الذي أمر بقتل الجعد حيث قال : « وقتَلَ الجعدَ هشامُ بن عبد الملك في خلافته بعد أن طال حبسه في يد

(١) الكامل ٥ / ٢٦٣ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٥٠ .
(٣) البداية ٩ / ٣٥٠ .

خالد بن عبد الله القسري . فيقال إن آل الجعد رفعوا قصة إلى هشام ، يشكون ضعفهم وطول حبس الجعد ، فقال هشام : أهو حي بعد ؟! وكتب إلى خالد في قتله ، فقتله يوم أضحى ، وجعله بدلًا من الأضحية بعد أن قال ذلك على المنبر ، بأمر هشام .. »[١] . فالروايات التاريخية السابق ذكرها تؤكد أن هشام ابن عبد الملك هو صاحب القرار في ذلك .

الوقفة الثانية : لا يسلم للمؤلف زعمه بأن ترجمة خالد بن عبد الله القسري مظلمة ، وفيها ما يفيد أنه كان ظالمًا ، وليس الأمر كما زعم فالرجل له وعليه ، وهناك صفحات مشرقة في تاريخه ، وبعض ما نسب إليه لا يصح عنه .

* فهذا الذهبي ينصفه ويقول في ترجمته : « الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقين لهشام ، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان وكان جوادًا ممدحًا معظمًا عالي الرتبة من نبلاء الرجال ، لكنه فيه نصب معروف ... » .

وقد اعتذر له بعد أن ذكر شيئًا مما له وعليه فقال : « وكان خالد على هناته يرجع إلى الإسلام »[٢] .

وقد أشاد الذهبي بقتله للجعد بن درهم وقال : « هذه من حسناته هي وقتله مغيرة الكذاب » .

* وقد دافع عنه ابن كثير في « البداية » بعد أن أورد بعضًا من تلك المثالب التي نسبت إليه وقال : « والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه ، فإنه كان قائمًا

---

(١) الفهرست ص ٤٠١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٢٥ - ٤٣٢ .

في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد[١] وقد نسب إليه صاحب العقد[٢] أشياء لا تصح ، لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة لأهل البيت »[٣] .

وحال صاحب « كتاب الأغاني » الذي اعتمد عليه القاسمي في ترجمة القسري ليس ببعيد عن صاحب « العقد الفريد » .

* فقد قال عنه ابن كثير : « وكان فيه تشيع ، قال ابن الجوزي : ومثله لا يوثق به ، فإنه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر »[٤] والأصبهاني قد روى الكثير من أخبار كتابه عن طائفة من الرواة الكذابين[٥] .

وأما عن اتهامه بالنصب وشتم علي رضي الله عنه فأجاب عنه ابن الأثير فقال : « قيل كان يفعل ذلك نفيا للتهمة وتقربًا إلى القوم »[٦] وقال : « وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم »[٧] .

وفي العموم فإن خالدًا القسري ليست ترجمته مظلمة بالصورة التي حاول المؤلف والقاسمي رسمها عنه في ذهن القارئ وأترك الحكم للقارئ الكريم ليقارن بين كلام الذهبي وابن كثير من جهة - وهما إمامان من أئمة أهل السنة في المعتقد

---

(١) يقصد قتله للمغيرة الكذاب ، وبيان بن سمعان .

(٢) صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه .

(٣) البداية ١٠ / ٢١ .

(٤) البداية ١١ / ٢٦٣ .

(٥) مقالات في المذاهب والفرق ص ٧٣ ، جمع عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف .

(٦) الكامل ٥ / ٢٢٤ .

(٧) الكامل ٥ / ٢٢٤ .

والتاريخ - وبين كلام صاحب « العقد الفريد » وصاحب « الأغاني » - الشيعيين الحاقدين على أعلام أهل السنة ـ فأي الفريقين خير مقامًا .

الوقفة الثالثة : أساء المؤلف استخدام عبارة الذهبي في السير (٥ / ٤٣٢)

* حيث قال الذهبي بعد إيراده لقصة قتل الجعد : « قلت : هذا من حسناته هي وقتله مغيرة الكذاب » ، فقد أراد المؤلف إفهام القارئ أن الذهبي يذم خالد بن عبد اللّٰه القسري ، والأمر في حقيقته على العكس من ذلك ، فلقد أنصف الذهبي خالدًا القسري ، ولم يقصد بتلك العبارة انتقاصه أو التقليل من حسناته ومن يقرأ « سير أعلام النبلاء » يدرك صواب ما أقول . ولذا فإني أنصح المؤلف بأن لا يكون ممن يحرفون الكلم عن مواضعه .

وقد شكر علماء المسلمين هذا العمل وأثنوا عليه ، وعلى رأس أولئك الحسن البصري[١] .

* وقال ابن القيم :

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة للّٰه درك من أخي قربان[٢]

* وقال أبو محمد اليمني : « فاستحسن الناس منه ذلك ، وقالوا نفى الغل عن الإسلام جزاه اللّٰه خيرًا »[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣ / ١٧٧ ، ١٢ / ٣٥٠ .
(٢) شرح القصيدة النونية للهراس ١ / ٢٥ .
(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ١ / ٢٨٧ .

* وقال الدارمي : « وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري ، فذبحه ذبحًا بواسط يوم الأضحى ، على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين ولا يعيبه به عائب ، ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله وصوبوه من رأيه »[1] .

○ ○ ○ ○

(١) الرد على الجهمية للدارمي (٧ - ١١٠) ط : المكتب الإسلامي .

المطلب الثالث

المغالطة الثالثة

قال المؤلف : « **ثالثا : لم يكن من همِّ أمثال القسري ـ آنذاك ـ هذه الغيرة التي لا تكون إلا من يعتقد العقيدة الحقة ، وكان الخلفاء وولاتهم في زمن الأمويين أبعد الناس عن قتل المسلمين في مسائل مثل هذه ، ولهذا قال بعض الباحثين المعاصرين إن قتل الجعد لم يكن إلا لسبب سياسي لا لآرائه في العقيدة** » انتهى كلامه[1] .

قلت : لي مع هذه المغالطة وقفات :

الوقفة الأولى : قول المؤلف : « **لم يكن من همِّ أمثال القسري ـ آنذاك ـ هذه الغيرة التي لا تكون إلا من يعتقد العقيدة الحقة** » .

هذا الطعن في القسري يكذبه قول ابن كثير : « والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه فإنه كان قائمًا في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد »[2] .

ولست أدرى ما موقف المؤلف من كلام هذا الإمام العلم الحافظ ابن كثير ؟

ولو وزنَّا كلام المؤلف المغمور مع كلام هذا الإمام المشهور لاتضح لنا فساد هذا الزعم وضلاله . ولعل هذه تكفي .

الوقفة الثانية : قول المؤلف : « **وكان الخلفاء وولاتهم في زمن الأمويين**

---

(١) قصص لا تثبت ٣ / ٢٥٦ .

(٢) البداية ١٠ / ٢١ .

أبعد الناس عن قتل المسلمين في مسائل مثل هذه » .

الرد عليه : هذه العبارة ليست من كلام المؤلف وإنما نقلها عن شعيب الأرنؤوط في تعليقه على السير وعزاها الأرنؤوط إلى بعض الباحثين[1] .

والمؤلف هنا أورد هذه العبارة بطريقة توهم أنها من كلامه وهي عبارة خطيرة لأنها لم تستثنِ أحدًا من خلفاء بني أمية ولا حتى الصحابي الجليل معاوية رضي اللّه عنه ، أول خلفاء بني أمية ، وكذلك لم تستثنِ عمر بن عبد العزيز وهو أحد خلفاء بني أمية وعلم من أعلام أهل السنة وهذا يكشف مدى التجني والتحامل الواضح ، وأن المؤلف ينقل عبارات وينسبها لنفسه وهو لا يدرك مدى خطورتها وفسادها ، فمثل هذه العبارة لا تصدر من شخص يحمل عقيدة أهل السنة . وهذا يؤكد أن المؤلف قد تناول الموضوع بسطحية تنم عن جهل وظلم ، وعدم إلمام بقراءة التاريخ .

وقد سبق أن تحدثت عن جهود بني أمية الأوائل في الدفاع عن السنة وإطفاء نار أهل الضلال والبدع ، والحق يقال إنَّ راية السنة وكلمة علماء السنة كانت هي العليا في تلك الفترة ، ولم يكن أهل البدع يتجرؤون على إظهار بدعهم فضلا عن أن يدعوا إليها .

الوقفة الثالثة : قال المؤلف : « **ولهذا قال بعض الباحثين المعاصرين إن قتل الجعد لم يكن إلا لسبب سياسي لا لآرائه في العقيدة** » وأشار في الحاشية إلى سير أعلام النبلاء (٥ / ٤٣٣) .

والجواب عن ذلك : نقل المؤلف هذا الكلام عن شعيب الأرنؤوط من

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٣ .

تعليقه على حاشية « سير أعلام النبلاء » ، وقد سود الأرنؤوط حاشية السير هذه بكلام لا يصدر إلا من صاحب بدعة ، فنَفَس التعطيل فيه واضح ، فقد قال بعد أن نقل كلام ابن كثير عن الجعد وأنه أخذ مقالته عن اليهود ، قلت ـ القائل الأرنؤوط ـ لم يذكر ابن كثير سنده في هذا الخبر حتى ننظر فيه ، ويغلب على الظن أنه افتعله أعداء الجعد . ولم يحكموه لأن أفكاره التي طرحها في العقيدة مناقضة كل المناقضة لما عليه اليهود ، فهو ينكر بعض الصفات القديمة القائمة بذات اللّٰه ، ويؤولها لينزه اللّٰه تعالى عن سمات الحدوث ، ويقول بخلق القرآن وأن اللّٰه لم يكلم موسى بكلام قديم بل بكلام حادث ، بينما اليهود المعروف عنهم الإغراق في التجسيم والتشبيه ، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن قتل الجعد كان لسبب سياسي لا لآرائه في العقيدة ، ويعلل ذلك بأن خلفاء بني أمية وولاتهم كانوا أبعد الناس عن قتل المسلمين في مسائل تمت إلى العقيدة » انتهى كلام الأرنؤوط وهو كلام مشحون بالطعن والغمز والافتراء ، وواضح أن مسطره يتكلم بنفس أشعري أو ماتريدي ، ولست هنا بصدد الرد على جميع ما ورد في هذا النقل من عبارات باطلة ، لكن المقصود الرد على زعم من قال بأن الدافع لقتل الجعد كان سياسيًا .

وقد شارك علي سامي النشار الأرنؤوط في هذا الزعم والتسويغ لضلالات الجعد وانحرافاته حيث يقول : « لا نستطيع أن نصدق أن قتله ـ أي الجعد ـ كان لآرائه الفكرية ، بل يبدو أنه سبب سياسي »[1] .

ولكن لم يوضح صاحب الأرنؤوط ولا النشار ما هو الدافع السياسي وراء قتل

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١ / ٣٣١ .

الجعد ، فبقيت دعواهم مجرد استنتاج لا دليل عليه ولا برهان ، وهو استنتاج لا يقوم على أساس من الواقع ، ويحق لنا أن نسأل ما هو الدافع السياسي المزعوم ، وأي ثقل كان الجعد يشكله في الساحة السياسية آنذاك ، خاصة إذا علمنا أنه من الموالي والعمل السياسي آنذاك بيد العرب فهم الولاة وهم القادة وهم أهل الحل والعقد والرأي والمشورة ، ولذلك كان يحسب لهم حسابهم في كل تحرك سياسي على عهد الأمويين ، ولم يكن للموالي دور سياسي إلا في عهد العباسيين ولذلك فإن هذه الدعوى أوهن من بيت العنكبوت .

والحقيقة أن قتل الجعد كان لزندقته وإلحاده[١] .

وفي هذا يقول ابن تيمية : « فضحى بالجعد خالد بن عبد الله القسري بواسط على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين ، وهم بقايا التابعين في وقته : مثل الحسن البصري وغيره الذين حمدوه على ما فعل ، وشكروا ذلك »[٢] .

وختامًا : حري بأدعياء السلفية أن يكشفوا عن وجوههم ويظهروا ما في بواطنهم ، فأقلامهم تُظهر وتكشف عن سريرة قلوبهم ، وما هذا الغمز واللمز الذي يظهر بين الحين والآخر في بعض المسائل ، إلا أصدق دليل وأوضح برهان على زيف دعواهم . وما كنت لأسطر هذه الكلمات إلا إحقاقًا للحق ودفاعًا عنه ، والله أسأل أن ينفع بما كتبت وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

○ ○ ○ ○

---

(١) مقالات في المذاهب والفرق ص ٧٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٥٠ .

فهرس المصادر والمراجع

١ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة . ابن بطة العكبري . الناشر : دار الراية .

٢ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة الجهمية ، لابن القيم الجوزية . الناشر : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٣ـ أحسن التقاسيم ، تأليف محمد بن أحمد المقدسي : الطبعة الأولى ، ١٩٠٦ م. ليدن

٤ـ الاستقامة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق د / محمد رشاد سالم . ط : جامعة الإمام محمد ابن سعود ، الطبعة الأولى .

٥ـ الأسماء والصفات للبيهقي . الناشر : دار الكتب العلمية .

٦ـ إشارات المرام من عبارات الإمام ، تأليف كمال الدين أحمد البياضي ، الحنفي ، تحقيق : يوسف عبد الرزاق ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى .

٧ـ الاعتصام للشاطبي . الناشر : دار المعرفة ؛ للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٨ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي . الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٩ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم . الناشر : مكتبة المعارف بالرياض .

١٠ـ كتاب الإيمان لابن تيمية . ط : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة .

١١ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس تأليف : حسين بن محمد الدياربكري . ط : مصورة ، مؤسسة شعبان بيروت .

١٢ـ تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي . الطبعة الثانية ؛ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ هـ .

١٣ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط .

١٤ـ تاريخ الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الرابعة ، دار المعارف . القاهرة .

١٥ـ تاج العروس للزبيدي ، المطبعة الخيرية القاهرة .

١٦ـ تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد ، لإبراهيم اللقاني . الناشر دار الكتب العلمية ، لبنان .

١٧ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية تأليف : فالح بن مهدي آل مهدي ، ط : الجامعة الإسلامية .

١٨ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، للسيوطي . الناشر : دار الكتب الحديثه ، القاهرة ، ط : الثانية ١٣٨٥ هـ .

١٩ـ تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي ، الطبعة الرابعة ، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد ، الهند ١٣٨٨ هـ .

٢٠ـ التصوف وابن تيمية . للدكتور مصطفى حلمي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية .

٢١ـ تفسير الطبري « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » محمد بن جرير الطبري ، الناشر : مكتبة الحلبي

ط : الثالثة .
٢٢- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، الناشر : دار نشر الكتب الإسلامية ، كوجرانوله باكستان الطبعة الأولى .
٢٣- تلبيس إبليس لابن الجوزي ، الناشر : مكتبة المدني .
٢٤- التمهيد للباقلاني بتحقيق الخضيري وأبو ريده
٢٥- التنبيه والرد لأبي الحسين محمد بن أحمد المطلي ، ط : مكتبة المثني ، بغداد ١٣٨٨ هـ .
٢٦- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، الهند .
٢٧- تهذيب اللغة للأزهري ، بتحقيق عبد السلام هارون ، الناشر : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .
٢٨- كتاب التوحيد لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، بتحقيق : د / فتح الله خليف ، الناشر : المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
٢٩- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، تأليف أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي .
٣٠- جامع المتون في حق أنواع الصفات الإلهية والعقائد الماتريدية ، أحمد ضياء الدين بن مصطفى ، الطبعة الأولى على الحجر ، دار الطباعة العامرة ، الاستانة ١٢٧٣ هـ .
٣١- الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي تأليف : خالد العلى ، الناشر : المكتبة الأهلية ، بغداد .
٣٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٣- الحسنة والسيئة تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية ، بتحقيق د / محمد جميل غازي ، الناشر : مكتبة المدني ومطبعتها . جدة .
٣٤- الخطط للمقريزي طبعة بولاق .
٣٥- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل . للإمام البخاري ، طالعه وترجم للمؤلف عبد الحق الهاشمي ، ط : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة .
٣٦- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د / محمد رشاد سالم ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٣٧- ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي . بتحقيق الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، الناشر : مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
٣٨- ذم الكلام للهروي
٣٩- الرد على البكري . لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : الدار العلمية ، الهند .
٤٠- الرد على الجهمية للدارمي ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط : المكتب الإسلامي .

٤١- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل . تحقيق : على سامي النشار وعمار الطالبي ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية .
٤٢- الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ، بتحقيق د / محمد باكريم ، ط : الجامعة الإسلامية
٤٣- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : إدارة ترجمة السنة ، لاهور ، باكستان .
٤٤- رفع الاشتباه عن حديث من صلى في مسجدي أربعين صلاة . تأليف : الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ، الناشر : مكتبة الدار .
٤٥- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون تأليف جمال الدين بن نباته المصري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
٤٦- السنة لعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق : د / محمد بن سعيد القحطاني ، الطبعة الأولى ، دار ابن القيم ، الدمام ١٤٠٦ هـ .
٤٧- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ، الناشر مؤسسة الرسالة .
٤٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٤٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ، بتحقيق : د / أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر : دار طيبة .
٥٠- شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : دار الكتب الإسلامية .
٥١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، الناشر : مكتبة وهبه .
٥٢- شرح القصيدة النونية للهراس ، الناشر : دار الكتب العلمية .
٥٣- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ : عبد الله الغنيمان ، الناشر : مكتبة الدار بالمدينة .
٥٤- الشريعة تأليف محمد بن الحسين الآجري : الناشر : حديث اكاديمي ، باكستان .
٥٥- الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه تأليف : أحمد بن حجر آل بوطامي ، من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
٥٦- صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر ، الناشر : دار الفكر .
٥٧- صحيح مسلم ط : دار المعرفة .
٥٨- صريح السنة تأليف : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : بدر بن يوسف المعتوق ، الناشر : دار الخلفاء ، ط : الأولى .
٥٩- كتاب الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
٦٠- الصواعق المرسلة لابن القيم الجوزية ، بتحقيق د / علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر : دار

العاصمة .
٦١ـ عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ، تحقيق د / محمد بن زربان ، مكتبة العلوم والحكم .
٦٢ـ العقيدة السلفية في كلام رب البرية تأليف : عبد الله بن يوسف الجديع ، ط : مطابع دار السياسة ، الكويت .
٦٣ـ العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ، الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ .
٦٤ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، الناشر : دار الفكر .
٦٥ـ الفتوحات المكية لابن عربي ، ط : دار صادر ، بيروت .
٦٦ـ الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : دار فجر للتراث .
٦٧ـ الفرق بين الفرق تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٦٨ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ، الناشر : مكتبة الخانجي ، مصر .
٦٩ـ فصوص الحكم لابن عربي ، تحقيق : محمود محمود غراب ، ط : مطبعة زيد بن ثابت ١٤٠٥ هـ
٧٠ـ الفهرست لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق ، ط : إيران .
٧١ـ قصص لا تثبت تاليف مشهور بن حسن ، الناشر : دار الصميعي .
٧٢ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، الناشر : دار بيروت ، الطبعة الأولى .
٧٣ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية تأليف الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان ، ط : مطابع المجد
٧٤ـ لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول تأليف : يوسف بن محمد المكلاتي ، تحقيق فوقية محمد ، الناشر : دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
٧٥ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند .
٧٦ـ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ، ط : دار صادر بيروت .
٧٧ـ لوامع الأنوار البهية تأليف : محمد بن أحمد السفاريني ، الناشر : مطبعة المدني .
٧٨ـ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات فخر الدين الرازي ، راجعة وقدم له وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط : الأولى .
٧٩ـ كتاب باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأمل لأحمد بن يحيي المرتضى ، اعتنى بتصحيحه توما أرنلد ، الناشر : دار صادر ، بيروت .
٨٠ـ البدء والتاريخ تأليف المطهر بن طاهر المقدسي ، بعناية : هوار ، باريس ١٨٩٩ م .
٨١ـ البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت .

٨٢- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود لعبد الله الجميلي ، الناشر : مكتبة الغرباء .
٨٣- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد . تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د / موسى بن سليمان الدويش ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم .
٨٤- كتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه تأليف محمد بن الحسن الديلمي ، عنى بتصحيحه ر ـ شدو طمان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ، الناشر : المكتبة الامدادية ، مكة المكرمة .
٨٥- مآثر الأناقة في معالم الخلافة للقلقشندي ، ط : الكويت .
٨٦- الماتريدية دراسة وتقويم تأليف : أحمد بن عوض الله الحربي ، الناشر : دار العاصمة .
٨٧- الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات تأليف : د / شمس الأفغاني
٨٨- المجروحين لابن حبان ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، الناشر : دار الوعي بحلب .
٨٩- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد .
٩٠- مختصر تاريخ دمشق تأليف : الإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ، دار الفكر ، دمشق .
٩١- مختصر العلو للذهبي ، اختصره الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي .
٩٢- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة لابن القيم الجوزية ، اختصره محمد الموصلي ، الناشر دار الفكر .
٩٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط : دار المعرفة بيروت .
٩٤- المسايرة لابن الهمام ، ط : مطبعة السعادة ، بمصر .
٩٥- المعتزلة وأصولهم الخمسة تأليف : عبد الله بن عواد المعتق ، الناشر : دار العاصمة .
٩٦- معجم البلدان تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط : دار صادر ، بيروت .
٩٧- معجم مقاييس اللغة تأليف : أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
٩٨- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تأليف : عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط : الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت .
٩٩- المُغرِب في ترتيب المعرب تأليف : أبي الفتح ناصر الدين المطرزي ، الناشر : مكتبة أسامة بن زيد .
١٠٠- مفتاح السعادة ومصباح السيادة تأليف : طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٠١- مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعري ، الناشر : دار إحياء التراث العربي .
١٠٢- مقالات المذاهب والفرق جمع عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، الناشر : دار الوطن .

١٠٣- مقدمة ابن خلدون بتحقيق مصطفى محمد ، الناشر : دار الفكر ، بيروت .
١٠٤- الملل والنحل للشهرستاني ، الناشر : دار الكتبة العلمية .
١٠٥- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ، ط : دار صادر ، بيروت .
١٠٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : جامعة الإمام محمد بن سعود .
١٠٧- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تأليف : خالد بن عبد اللطيف ، الناشر : مكتبة الغرباء .
١٠٨- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ط : الجامعة الإسلامية .
١٠٩- موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف : د / عبد الرحمن بن صالح المحمود ، الناشر : مكتبة الرشد الرياض .
١١٠- ميزان الاعتدال للإمام الذهبي ، تحقيق : على البخاري ، ط : دار المعرفة ، بيروت .
١١١- النبوات شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : دار الكتب ، بيروت .
١١٢- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، الطبعة الأولى ، القاهرة .
١١٣- نشأة الأشعرية وتطورها د / جلال موسى ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٣٩٥ هـ .
١١٤- نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام تأليف : د / علي سامي النشار ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، القاهرة .
١١٥- نظم الفرائد وجمع الفوائد عبد الرحيم بن علي شيخ زادة ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .
١١٦- نقض تأسيس الجهمية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط : مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة .
١١٧- وجاء دور المجوس تأليف : عبد الله محمد الغريب ، الناشر : دار الجيل للطباعة ، مصر .
١١٨- الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد زغلول ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

○ ○ ○ ○

المحتويات

المقدمة ٣

الباب الأول : التعريف بالتعطيل واطواره ١١

الفصل الأول : تعريف التعطيل ودرجاته ١٣

المبحث الأول : تعريف التعطيل وأنواعه ١٥

المطلب الأول : تعريف التعطيل ١٦

المطلب الثاني : أنواع التعطيل في توحيد الله ٢١

المبحث الثاني : درجات التعطيل في أسماء الله وصفاته ٢٣

المطلب الأول : درجات التعطيل في باب الأسماء والصفات عموماً .. ٢٤

القسم الأول : نفي جميع الأسماء والصفات ٢٤

القسم الثاني : نفي الصفات دون الأسماء ٢٤

القسم الثالث : إثبات الأسماء وبعض الصفات ونفي البعض الآخر .. ٢٥

المطلب الثاني : درجات التعطيل في باب الأسماء الحسنى ٢٦

القول الأول : من يقول إن الله لا يسمى بشيء ٢٦

القول الثاني : أن الله يسمى باسمين فقط هما : « الخالق » و « القادر » ٢٩

القول الثالث : إثبات الأسماء مجردة عن الصفات ٣٠

القول الرابع : إثبات الأسماء الحسنى مع إثبات معاني البعض وتحريف معاني البعض الآخر ٣١

المطلب الثالث : درجات التعطيل في باب صفات الله تعالى ٣٣

القول الأول : نفاة جميع الصفات ٣٣

خلاصة أقوال غلاة المعطلة ٣٨

١- الأصل الأول ٣٨

٢- الأصل الثاني ٣٨

النجارية ٤١

الضرارية ٤٢

القول الثاني : نفاة الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة. ٤٢
القول الثالث : من يقول بإثبات سبع صفات فقط ٤٨
الفصل الثاني : أطوار مقالة التعطيل ٥٥
المبحث الأول : المقالات السابقة لمقالة التعطيل ٥٧
المطلب الأول : مقالة الخوارج ٥٨
المطلب الثاني : مقالة الشيعة ٦٠
الطائفة الأولى ٦٠
الطائفة الثانية ٦٠
الطائفة الثالثة ٦٠
المطلب الثالث : مقالة القدرية ٦٤
المطلب الرابع : مقالة المعتزلة ٦٨
المطلب الخامس : مقالة المرجئة ٧٠
المبحث الثاني : نشأة التعطيل وأطواره ٧٣
المطلب الأول : خطورة مقالة التعطيل ٧٤
المطلب الثاني : مراحل التعطيل الأولى ٧٨
مرحلة الجعد بن درهم ٧٨
مرحلة الجهم بن صفوان ٧٩
مرحلة اشتهار مقالة التعطيل ٨٠
المطلب الثالث : مراحل اتساع دائرة التعطيل ٨٥
مرحلة المعتزلة ٨٥
مشاهير المعتزلة ٨٨
١- فرع البصرة ٨٨
٢- فرع بغداد ٨٩
مرحلة الصفاتية ٩٠
١- الكلابية ٩٠
٢- الأشعرية ٩٤

مشاهير الأشاعرة ١٠٣
الماتريدية ١٠٥
مشاهير الماتريدية ١١٢
مرحلة ظهور الفلاسفة والباطنية ١١٤
الباب الثاني : الجعد بن درهم ١٢٧
الفصل الأول : تاريخ الجعد بن درهم ١٢٩
المبحث الأول : نسبه ونشأته ١٣١
تمهيد : تاريخ الجعد بن درهم ١٣٢
المطلب الأول : اسمه ونسبه ١٣٤
المطلب الثاني : أصول الجعد ١٣٦
المطلب الثالث : مولده وموطنه ١٤٠
المبحث الثاني : بدء ظهوره وقصة قتله ١٤٤
المطلب الأول : بدء ظهور مقالة الجعد ١٤٥
المطلب الثاني : مقتل الجعد ١٥٤
المطلب الثالث : موقف خلفاء بني أمية من أهل البدع ١٦٢
الفصل الثاني : بدع الجعد ومقالاته والرد على بعض الشبه والمغالطات التي تثار حوله ١٦٥
المبحث الأول : بدع الجعد ومقالته ١٦٧
المطلب الأول : أقول العلماء فيه ١٦٨
المطلب الثاني : بدعه ومقالاته ١٦٨
المبحث الثاني : الردود على بعض الشبه والمغالطات التي أثيرت حول الجعد ابن درهم ١٨٠
ردود على بعض الشبه والمغالطات ١٨١
المطلب الأول : المغالطة الأولى ١٨٣
المطلب الثاني : المغالطة الثانية ١٨٩
المطلب الثالث : المغالطة الثالثة ١٩٥

فهرس المصادر والمراجع ١٩٩
المحتويات ٢٠٥

○ ○ ○ ○